استاذنا الفاضل .. الاديب الكبير / فيصل عزب

تحية اعزاز وتقدير

محمد عبد الله عيسى

الاسكندرية
٨ / ١١ / ٢٠٠٤

قراءة فى مشهد الإفتتاح ..

و

(دموع أوجينى) ..

محمد عبد الله عيسى

لوحة الغلاف مهداة من :

الفنان القدير / عبد الرحمن نور الدين

إهداء ..

إلى ..
شهداء حفر القناة
وشهداء الزوّد عنها ..

وإلى .. صلاح ..
صديقي المسافر أبدا
حتى نلتقي ..

محمد عبد الله عيسى

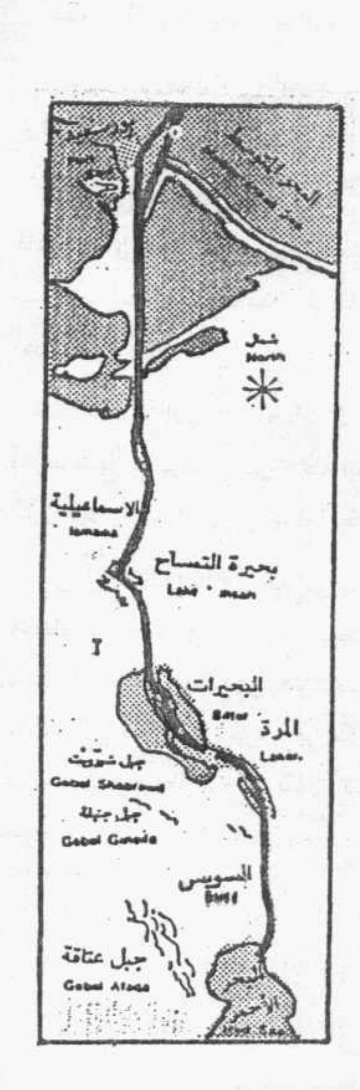
إهداء

إلى ..

زملائي في أسرة
هيئة قناة السويس ..
والي ..

إنسان مدن القناة
بورسعيد .. الاسماعيلية .. السويس ..

ماقبل القراءة



ما قبل القراءة ..

عندما سألني صديقي ذات يوم " ماذا تكتب ؟ "

كــان ردي التلقائـــي البسيط .. " أنني أكتب ما كنت أتمنى أن أقرأه .. و لو كنت قرأته ما كتبته "

على أنني أعود في كل مرة إلى (أجندتي) الخاصة – التي أدون فيها كل ما كنت أغفله .. أو نسيته في زحم العشوائيات المعلوماتية المبعثرة هنا ... هناك .. أعيد .. تــرتيب الحدث و صياغته بطريقة أطمئن معها إلى أنني لن أغفل .. و لن أنسى مرة أخرى ..

فــإذا مـــا راقني ما توصلت إليه .. حملت خواطري إلى رفاق الدرب و الكلمة .. أعرضـــها علـــيهم .. فإن لاقت قبولاً و ترحيباً منهم .. كان لزاماً عليّ أن أنقلها إلى الذين نسوا .. و الذين لم يعرفوا بعد ...

على أن الفضل كله يرجع إلى هؤلاء الرواد الذين لم يبخلوا يوما بعطائهم السخي ، ليسجلوا ما لم ندركه .. و لعل بعضهم يتطلعون إلينا برضاء و فخر من المثوى الذي تسكنه أرواحهم الخالدة في خلود صفحاتهم التي نقلبها الآن .. و لعل البعض الأخر .. يتدثــر في صبره .. منزويا في مكان قصيّ .. بحثاً عن خلود آخر في رسالة أخرى .. تحية لهم جميعاً .. و لمؤلفاتهم التي لم تكتب سدى ..

....

....

عــندما كان الشيخ / عبد الرحمن الشثري (رئيس الحرس الوطني السعودي) في ضــيافة جريدة (أخبار الأدب) في صيف سنة ١٩٨٩ .. قام سعادته بزيارة لمدينة الإســماعيلية (و قــد كــان في زيارتها من قبله بأسبوعين جلاله الملك فهد – ملك المملكة العربية السعودية – بصحبة السيد الرئيس محمد حسني مبارك) ..

و لقــد أعــدت (هيــئة قناة السويس) برنامجاً حافلاً للضيف الكبير و رفاقه .. الصــحفي الأديــب / مصطفى عبد الله (جريدة أخبار الآداب) ، و الدكتور / عبد البديع عبد الله (أستاذ الأدب الحديث بجامعة قناة السويس) .. و غيرهم ..

و قــد بــدأت الــزيارة بمحطة مياه الإسماعيلية (التابعة لهيئة قناة السويس) ..ثم اســتراحة (دليســبس) .. فجولة بحرية في (بحيرة التمساح).. بعدها جولة حول منشــآت الهيئة و مبانيها .. التي يحيطها الأخضر من كل مكان .. و انتهى المطاف عــند شــط نــادي الشــاطئ (الدنفاه) ... و لأن للماء و الخضرة منزلة كبيرة في الــوجدان الســعودي .. راح الضيف الكبير يتابع في ذهول تلك السفن العملاقة التي تعبــر القناة على بعد خطوات منه .. و ينصت بإمعان و يقظة إلى كل ما سردناه في حضــرته عــن القناة منذ الحفر حتى تحطيم خط (بارليف) .. " أريد لأخواتكم في السعودية أن يعرفوا ما عرفته الآن " .. هكذا طلب الشيخ من الأديب / مصطفى عبد الله .. علــى أن نشاركه في إعداد (ملفا خاصاً بمناسبة مرور مائة و عشرين عاما علــى افتــتاح قناة السويس) لنشره في مجلة (الحرس الوطني) السعودية .. التي يرأس تحريرها ..

و لقد تنشر الملف في عدد نوفمبر ١٩٨٩ متضمناً الموضوعات الآتية :

– (قناة السويس .. تحديات الماضي و الحاضر و المستقبل)

للأستاذ / مصطفى عبد الله

(القناة .. و العالم .. و مصر)	للدكتور / عبد الـــــبديع عبد الله

(قراءة في مشهد الافتتـــــاح)	للمهندس / محمد عبد الله عيسي

....

....

و كـــنت من قبل (صيف عام ١٩٨٨) قد أرسلت إلى أستاذنا الكبير الأديب / جمال الغيطاني .. برسالة أبثه ألمي لعدم الالتفات و الانتباه لمناسبة (مرور مائة و عشرين عاماً على افتتاح قناة السويس) ... فتحمس في مصريته التي تتدفق في عروقه ..

و كتب في (يوميات الأخبار) بتاريخ ١٩٨٨/٩/٢٧ الأتي :

قناة السويس .. مائه و عشرون عاماً

إن المياه التي تجري في (قناة السويس) ، إنما تتدفق فوق عشرات الآلاف من شـــهدائنا سقطوا منذ حفرها و حتى اليوم .. عام واحد فقط .. عام أخر يمر و تكمل قناة السويس مائة و عشرين عاما من عمرها و بالتحديد في ١٧نوفمبر ١٩٨٩ .. هذه مناســـبة أرجو ألا تمر بدون احتفال مهيب ، خاصة أن مصر لم تتمكن من الاحتفال بمـــرور قـــرن على افتتاح القناة عام ١٩٦٩ لظروف نكسة يونيو .. فقد كان الجرح الدامي مازال طرياً ، ينزف بغزارة منذ عشرين عاماً .

المناسبة نبهني إليها الصديق الأديب محمد عبد الله عيسى .. و هو مهندس يعمل بهيئة القناة .. و يقيم في الإسماعيلية .. أرسل إلى خطابي يقول فيه :

..... لكــم نتمنى الاثمر هذه المناسبة الكبيرة التي قلما تتكرر في حياة الشعوب بدون احــتفال مهيب .. خاصة أن مصر لم تتمكن من الاحتفال بالعيد المئوي بالشكل اللائق عــام ١٩٦٩ لظــرف النكســة .. و كــذا لم يتم الاحتفال بمرور ١١٠ عام لظروف المقاطعــة العربية سنة ١٩٧٩ .. مع الإحاطة بأن افتتاح الأوبرا المصرية الجديدة في أكتوبــر القادم عام ١٩٨٨ ، لم ينبه الذاكرة المصرية بهذه المناسبة الكبيرة .. مع أن مــيلاد الأوبــرا – الأصل – كان بمناسبة افتتاح القناة .. و لم نحتفل مصر باليوبيل الفضي للقناة عام ١٨٩٤ .. و لا باليوبيل الذهبي في نوفمبر ١٩١٩ .. و لأن باليوبيل الماســي عام ١٩٤٤ في خضم الحرب العالمية الثانية . و لكم أتمنى أن تنتبه الذاكرة المصرية إلى تلك المناسبة الحميمة .

هذا ما كتبه الصديق محمد عبد الله عيسى ، و اشكر له التنبيه إلى هذه المناسبة .. فلم يرتبط مرفق في العصر الحديث بتاريخنا ، كما ارتبطت (قناة السوس) .

حفــرها فــي حد ذاته ، ملحمة إنسانية ، سجل تفاصلها المرحوم الدكتور عبد العزيز الشــناوي فــي كتابه عن (حفر القناة) .. و مياه القناة التي نراها تجري الآن بهدوء صــارم ، إنما تجري على جثث آلاف من الشهداء المصريين ، أولئك الذين انهارت فوقهم الكتل الترابية أثناء حفرها . أو الذين ماتوا ظمأ . أو بضربات الشمس .. و هم يقاســون السخرة .. أو أولئك الذين استشهدوا بقربها أثناء معارك البطل أحمد عرابي ضــد القــوات الاحتلال الإنجليزي في التل الكبير ، و التي استهدفت احتلال مصر و كانــت القــناة أقــوى الأسباب الدافعة .. و أولئك الذين استشهدوا عام ١٩٥٦ و هم يصدون العدوان الثلاثي الذي بدأ بعد أن استردتها مصر ..

و مــا يزال صوت الراحل العظيم جمال عبد الناصر يهز الأعماق منا عند نصغى إلى هدير صوته ..

" بأسم الأمة .. تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس .. شركة مساهمة مصرية "

هــذه القناة نفسها شهدت ضفتاها إنتفاضة روح الأمة العربية في عام ١٩٧٣ ، عندما وثب عشرات الألوف من أغلى أبنائها . ليعبروها إلى الضفة الشرقية ، دافعين رجس الاحتلال البغيض إلى الوراء ..

إن تاريخ مصر الحديث يرتبط ارتباطا وثيقاً بالقناة ، و مازال .. و أتصور أن هذا الاحــتفال يمكــن أن تساهم فيه هيئات عديدة ، بحيث يتخذ أبعاد ثقافية و تاريخية ، و فنية ، و بذلك نسلط الضوء على هذا الشريان الحيوي المار عبر جسد مصر ..
(أ. جمال الغيطانى / يوميات الأخبار ١٩٨٨/٩/٢٧) ....
....
....

و كــان الأديب الكبير جمال الغيطاني عند وعده – عشقه للقناة و مصر – فقد أصدر ملفــاً كاملاً في جريدة (أخبار الأدب) التي يشرف على تحريرها – بمناسبة مرور مائة و عشرين عاما على افتتاح قناة السويس .

و كان المانشيت الرئيسي للملف **(قناة السويس .. و الأدب)**

– في عدد ١٩٨٩/١١/٢٢ – و ضم الملف الموضوعات الآتية :–

- تجليات أدبية عن القناة ..... أ . جمال الغيطاني
- وجوه الأبنودي على الشط ....
- القناة في مناهج الألباب ... أ. مصطفى عبد الله .
- يوم أن فتحت قناة السويس ... أ . بركسام رمضان
- مائة و عشرون عاما على افتتاح البحر .. د . محمد المخزنجي .
- إلى الذين يفكرون في إعادة تمثال دليسبس . أ. ثناء أبو الحمد .

- أحلام مشروعة .... أ . محمد عبد الله عيسى .
- كتاب عن السخرة ..... أ . سامية سعيد .
- مكتبة قناة السويس ....

....

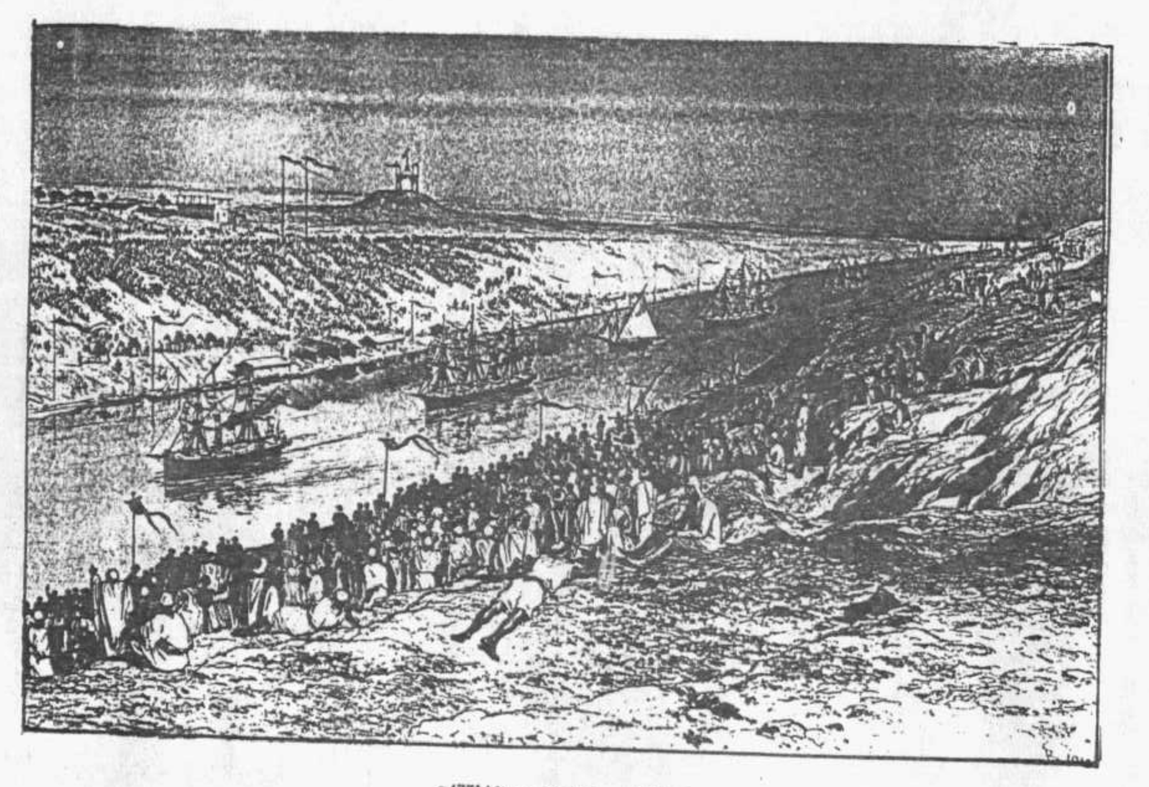
....

و نحـــن اليوم على مشارف استقبال عام ٢٠٠٤ الذي يواكب مرور ١٣٥ عاماً علـــى افتـــتاح (قناة السويس) ... أجدني .. أعيد قراءة مشهد الافتتاح .. و في يدي عدســـة مكبـــرة ، أطالـــع فيها شخوص الحدث ... أقربها من عيونهم التي تزوغ في الدهشة ..

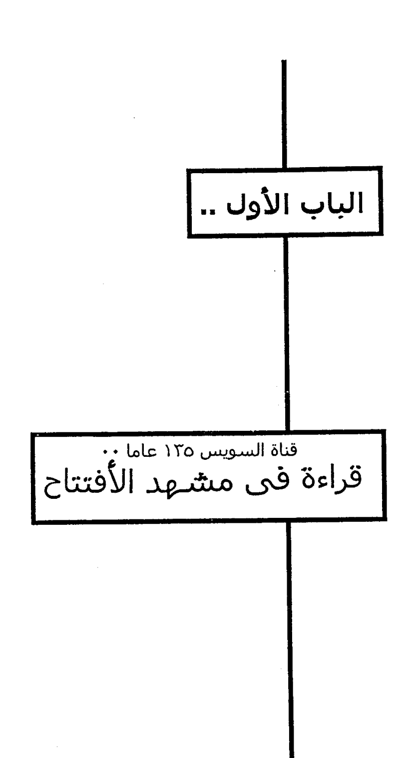
لا تحســـب للمجهول الذي يرصدها عن قرب .. يلملم حركاتهم ، و سكناتهم في زمـــن المغارقـــات المفجعة .. يصهرها في بوتقته الدارمية .. يصنع منها مداد لتلك السطور التي ستكتب عنهم في تاريخ الأيام .

محمد عبد الله عيسى ..

الإسماعيلية ٢٠٠٣/٨/٣٠



أطول قافلة تعبر القناة بعد الإفتتاح



الباب الأول ..

قناة السويس ١٣٥ عاما ..

قراءة فى مشهد الأفتتاح

- نشرت هذه القراءة بقلم المهندس/محمد عبد الله عيسى بمجلة (الحرس الوطني) السعودية ..
العدد السادس والثمانون ــ نوفمبر ١٩٨٩ م
بمناسبة مرور ١٢٠ عاما علي أفتتاح قناة السويس للملاحة الدولية ..

قناة السويس ١٣٥ عاما

قراءة في مشهد الافتتاح ..

يوافـق الـيوم السابع عشر من نوفمبر من عام ٢٠٠٤م مرور مائه و خمسة و ثلاثـين عامـاً علـى افتتاح قناة السويس .. الأمر الذي نرى معه من الأهمية بمكان (خاصة للأجيال الحديثة) إعادة قراءة مشهد الافتتاح في ذلك اليوم البعيد .

ففـي الحادي عشر من شهر شعبان ١٢٨٦هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م تم افتتاح قناة السويس حيث جرى التقاء مياه البحرين الأبيض و الأحمر عند مدينة الإسماعيلية . بعـد عمـل دام عشـر سنوات و قد بلغ طول القناة (١٦٥) كم ، و أنشئت مدينة الإسماعيلية عند نقطة انتهاء العمل و التقاء البحرين .. و كذلك أنشئت مدينة بورسعيد على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

كـان الخديو إسماعيل يريدها فرصة كي يطلع ملوك و أباطرة و أمراء أوربا على ما أسماه بالنهضة التي شملت مصر في عهده .

كـان نوبار (وزير خارجية مصر في ذلك الوقت) قد سافر إلى باريس للاجتماع مع (دي لسبس) ووضع الترتيب النهائي لبرنامج الاحتفال و أرسل البرنامج للخديو الـذي أدخـل علـيه بعض التعديلات قبل حفل الافتتاح بيوم واحد ، فقرر أن يكون الاحـتفال الديني ابتهاجا بافتتاح القناة في بور سعيد ، حيث يدخل شيخ الإسلام متقدماً المـوكب و يدعو الله و يشكره على النجاح المشروع و تضرب المدافع مائة طلقة و طلقة ..

كذلك أمر الخديو إسماعيل أن يخصص يوم ١٨ نوفمبر و هو اليوم التالي للاحتفال لأهـل مصر و من يحضر كذلك من أهل السودان لمشاهدة الضيوف و الترحيب بهم في الإسماعيلية .

و وافــق " دي ليسبس " على هذه التعديلات ووصل عدد المدعوين الأجانب إلى ألف مدعو .

الخديو يبحر إلى أوربا لتوجيه دعوات حضور حفل الافتتاح ..

و قــد أبحر الخديو إسماعيل إلى أوربا مع وزير خارجيته نوبار خصيصاً لتوجيه دعــوة حضور حفل افتتاح القناة إلى كبار الشخصيات العالم من الملوك و الرؤساء و الأمــراء و رجال العلم و الأدب و السياسة و الصحافة و عظماء مصر و السودان ، هــذا بالإضــافة إلى جمهور غفير من المغامرين الطامعين في بذخه و إسرافه ، كما أستحضــر الخديو ٥٠٠ طاه و خادم من فرنسا و إيطاليا علاوة على الطهاه و الخدم من المصريين و الأتراك الذين كانوا في خدمته .

و أعــدت للضــيوف رحلة إلى الوجه القبلي في النيل و ذلك قبل بدء المهرجان الرسمي لافتتاح القناة ، و أنفق إسماعيل عن بذخ و إسراف لا مثيل لهما .

كتب أحد المدعوين في كتاب يصف هذه الرحلة يقول : لم نصرف شئ بالمرة خلال هــذه الرحلة . كانت الفنادق في استقبالنا . لقد شاهدنا كرماً لا مثيل له . وضع الوالي تحــت تصرفنا كل العربات و الخيول و كل أنواع النقل و يسرلنا كل أسباب النزهة.. كــان إســماعيل يريد أن يحضر المدعوون من باريس إلى أسوان و من أسوان إلى باريس دون أن يكلفهم مليماً واحداً .

مــا أعظمــه مــن أمير و أغناه ! فهو يدعو مائه شخص من فرنسا و أسبانيا و ألمانــيا و الســويد على حسابه إلى مصر العليا ، ثم هو يدعو إلى جانب هؤلاء ٩٠٠ شخص آخرين يأكلون و يشربون و يسمعون الموسيقى و يتنزهون على حسابه . هذا كرم لا مثيل له !!

و لــيس أدل علــى عظمــة الاحــتفال و روعته مما ردده الضيوف أنفسهم من عــبارات تدعــو إلــى الدهشة و العجب لكونها صادرة من أعظم ملوك أوربا فقالت الإمبــراطورة أوجيني : ‘‘ يا إلهي لم أر في حياتي اجمل من هذا ‘‘ و قال أخر عن إســماعيل : " ما أغناه من أمير " و شكا أحد الوزراء المصريين إسراف الخديو لأحد الأمراء قائلاً .. ((أننا نأكل يا سيدي أحجار الأهرام حجراً حجراً)) فرد عليه الأمير ضــاحكاً : (لاتهــتم سنقرضــكم المال اللازم لتشتروا منا الأسمنت لاعادة بنائها) .. وصــدقت نبوءته ، فتراكم على مصر الدين تلو الدين حتى نضبت خزائنها .. الأمر الــذي أدى إلي وقوع مصر في أزمة مالية شديدة وارتباكات سياسية أدت إلي التدخل الأجنبي وانهيار صرح الاستقلال وعزل إسماعيل عن الحكم وأمره بمغادرة البلاد .

وأرسلت الصحف الأجنبية مراسلين لها لتغطية أنباء الاحتفال ووصل المدعوون الإســكندرية يوم الخامس عشر من أكتوبر أي قبل موعد الاحتفال الرسمي بأكثر من شهر وأعدت لهم نزهة نيلية من القاهرة إلى أسوان في السفن التي أعدت وجهزت لهذا الغرض .

وقبل قيامهم بهذه الرحلة حرص الخديو أن يقيم لهم حفل استقبال في قصر النيل ، حدثهم فيه عن الحالة التي أصبح عليها الفلاح المصري في عهده والرخاء الذي وصل أليه . ثم أقلتهم المراكب في النيل متجهين إلى أسوان وعلى طول الطريق أقيمت لهم الحفلات . ففي أسيوط أقام لهم مديرها حفلاً ، كذلك شهدوا في قنا حفلاً أخر .

وأمضــوا في الأقصر ثلاثة أيام وبعدها وصلوا إلي أسوان . ومن هناك بدأت عودتهم مــن حــيث أتــوا وحــيث كان موعد الافتتاح قد قرب .. وكانت إمبراطورة فرنسا (أوجينــي) قــد وصلت إلي مصر لمشاهدة حفل الافتتاح . مرت إمبراطورة فرنسا

بالقسطنطينية قبل وصولها إلى مصر حيث أستقبلها السلطان العثماني وأقام لها العديد من الولائم وأغدق عليها الكثير من الهدايا ثم وصلت إلى الإسكندرية يوم الجمعة ٢٢ أكتوبـــر ١٨٦٩ . ثـــم تـــبدأ الإمبراطورة في مغادرة اليخت (النسر) الذي أقلها من القســـطنطينية وتـــركب القطار من الإسكندرية إلى القاهرة حيث تجمع قناصل الدول والجالـــيات الأوروبـــية لاستقبالها وتمر الإمبراطورة تحت أقواس النصر التي أقيمت ابتهاجا بمقدمها .

القاهرة في أبهى حللها ..

وفـــي صباح اليوم التالي لوصولها صحبها الخديو في زيارة لمعالم المدينة وكانت الإمبـــراطورة قد كتبت لزوجها تقول : لقد خلعت القاهرة رداءها العتيق وبدت في أبهى حللهـــا . فحفلات الرقص والموسيقى التي أشاهدها خير شاهد على ذلك . ثم بدأت هي الأخرى رحلتها في الوجه القبلي وأعجبت كل الإعجاب بالآثار المصرية والأهرامات ، وكـــان تعليقها على ذلك (حيا الله المصريين إنهم يعطون للموت اهتمام الناس بالحياة) وحـــين انتهت رحلتها في الوجه القبلي عادت إلي الإسكندرية لتبدأ رحلتها إلى بورسعيد حيث تبدأ احتفالات الافتتاح . وفي اليوم السابق للاحتفال ١٦ نوفمبر ١٨٦٩م بدأ وصول الســـفن المقلـــة للضـــيوف وأخـــذت تـــدخل القناة عند بور سعيد وأخذت ترتيبها طبقاً للبـــروتوكول الخاص بأقدمية المدعوين . وحين وصلت الإمبراطورة في يختها استقبلها الخديو كما استقبلها الأمراء والحكام الأجانب ، ثم بدأ بعد ظهر هذا اليوم الاحتفال الديني وأخذت المدافع تضرب دون انقطاع ، ثم دعي الضيوف لمشاهدة مدينة بورسعيد وشبهها الكثيرون منهم بأنها أشبه بمدن أمريكا وأستراليا .

وفـــي الـــيوم الســـابع عشر من نوفمبر وهو يوم الاحتفال الرسمي تحرك الركب من بورســـعيد لدخول القناة وقد قسم إلى خمس قوافل وفي مقدمة هذا الركب تهادي يخت الإمبراطورة الفرنسية .

مراسم الاحتفال ..

اجـتمعت الحشـــود الغفيرة عند الإسماعيلية لاستقبال هذا الركب وامتلأت القناة العذبـــة هـــي الأخـــرى بالمراكب التي أصطف عليها الناس يحيون ضيوف الخديو ، وأعدت حفلة راقصة على ذهبية إسماعيل صديق باشا وزير المالية في عهد إسماعيل .. ثم استقبل الخديو ضيوفه في قصره الذي بناه في الإسماعيلية .. ومضى الركب بعد ذلـــك إلى السويس وهناك نزلت الإمبراطورة إلى الشاطئ الآسيوي . وكان عليها أن تـــزيح الستار عن تمثال للضابط الإنجليزي ((توماس واجهورن)) وهو التمثال الذي أقامـــته له شركة قناة السويس بصفته أول من لفت الأنظار إلى أهمية طريق السويس لكـــن الإمبـــراطورة تخلفـــت عن حضور هذا الاحتفال حيث ذهبت إلى عيون موسى وقضـــت هـــناك وقـــتاً طـــويلاً ، كذلك حرصت على أن تتفقد المكان الذي نزل فيه ((بونابـــرت)) فـــي السويس عند حضوره أليها لدراسة إمكان شق القناة أثناء حملته علـــى مصـــر .. ومـــن بورســـعيد عادت الإمبراطورة رأساً إلى فرنسا لكن بعض الضـــييوف الذين دعوا إلى حفل افتتاح القناة تخلفوا في القاهرة وبقوا فترة من الوقت في ضيافة الخديو ..

ومـــن الأعمال الباقية التي قام بها إسماعيل باشا لمناسبة مجيء الملوك والأمراء إلى مصـــر ، تعبـــيد طريق الهرم و أعداده لسير المركبات وقد تم أعداد هذا الطريق في ثلاثـــين يـــوماً بحيث استطاع الملوك والأمراء أن يذهبوا لأول مرة إلى أهرام الجيزة وهم يركبون الذهبية المطهمة يجري أمامها السواسي ..

وكذلك تم تشييد دار الأوبرا (حرقت في أوائل التسعينات من القرن الحالي) على عجل فيما لا يتجاوز خمسة أشهر وتكلف بناؤها ١٦٠ ألف جنيه بحساب ذلك الزمان)

وقد عهد إسماعيل باشا إلى (مريت باشا) مدير الآثار أن يختار من الآثار الفرعونية موضـــوع نــص يصلح لان يكون رواية أوبرا .. فوضع مريت باشا قصة (عايدة) المشـــهورة وأرسلت إلى الموسيقار الإيطالي (فيردي) لتلحينها حتى يشهدها ضيوف مصر عند افتتاح القناة .

وقـــد افتتحت دار الأوبرا في ٢٩ نوفمبر ولكن (فيردي) لم يكن قد أنتهي من تلحــين أوبرا (عايدة) فمثلت في هذا اليوم أوبرا (ريجولوتو) ولقد كان من سخرية القـــدر ، أن أوبـــرا (عايـــدة) كانـــت تمثل على الأوبرا المصرية يوم عودة جثمان إسماعيل باشا إلى مصر عام ١٨٩٥ ..

أما عن مشهد حفلة افتتاح قناة السويس ببورسعيد – يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩ – فقد أقيمت في هذه الحفلة ثلاث منصات خصصت المنصة الكبرى للملوك والأمراء وكبار المدعـــوين ، والثانـــية لرجال الدين الإسلامي ، واثالثة لرجال الاكليروس وجلس في المنصـــة الكبـــرى الخديـــو إسماعيل . (أوجيني) إمبراطورة الفرنسيين ، (فرنسوا جوزيف) إمبراطور النمسا وملك المجر (الأمير فرديك ويلهلم ولى عهد بروسيا) الأمير (هنري) أخو ملك هولندا والأميرة قرينته ، السير هنري إليوت سفير إنجلترا بالاستانه وعقيلته الليدي اليوت ، الأمير مورا ، الأمير محمد توفيق باشا ولي العهد ، الأميـــر هوهـــنلوه ، الجنـــرال اجناتيف ، الأمير طوسون باشا بن محمد سعيد باشا ، شريف باشا وزير الداخلية ورئيس المجلس الخصوصي العالي (مجلس الوزراء) ، نـــوبار باشـــا وزيـــر الخارجية ، شاهين باشا وزير الحربية والبحرية ، رياض باشا خازنـــدار الخديو ، المسيو فردينان دي لسبس ، الأمير عبد القادر الجزائري ، المسيو

دوبســت والكــونت اندراســي من وزراء النمسا ، البارون بروكنش سفير النمسا في الاستانه .. الخ .. الخ .

وقــد ألقى الشيخ (إبراهيم السقا) في هذا الاحتفال كلمة مباركة باللغة العربية . ثم تلاه المونسينور (بوير) واعظ نابليون الثالث الذي جاء خصيصاً من فرنسا لحضور الاحــتفال و ألقــى خطبة تبريك باللغة الفرنسية .. (وقد اقتبست صورة الافتتاح من كــتاب افتــتاح قــناة السويس للمسيو (نيكول) وهذا الكتاب وضع خصيصاً لوصف حفلات القناة والصورة للرسام (ريو) ..

ويكفــي دلــيلا على مبلغ الإسراف أن نعرف نفقات الحفلات ، فقد بلغت على أصح تقديــر (١,٤٠٠,٠٠٠) جنــية ، ولا توجد حكومة رشيدة تكلف خزانتها هذا المبلغ الضخم في ذلك الزمان .

وبالرغم من ذلك انهالت التهاني على دي لسبس غداة افتتاح القناة تنسب له فضل هذا المشــروع العظيم ، ولم يذكر أحد اسم مصر في هذا المجال أو يشيد بمدى تضحياتها في هذه الناحية ....

....

....

المصادر :

(١) موسوعة تاريخ مصر .. الأستاذ / أحمد حسين ص ١٠١٩

(٢) قناة السويس في مائة عام .. الدكتور / محمد عبد الرحمن برج ص ٤٢

(٣) قناة السويس – تاريخها وأهميتها العالمية .. الأستاذ / جورج حليم كيرلس ص ٩٩

(٤) عصر إسماعيل .. الأستاذ / عبد الرحمن الرافعي ص ١٠١



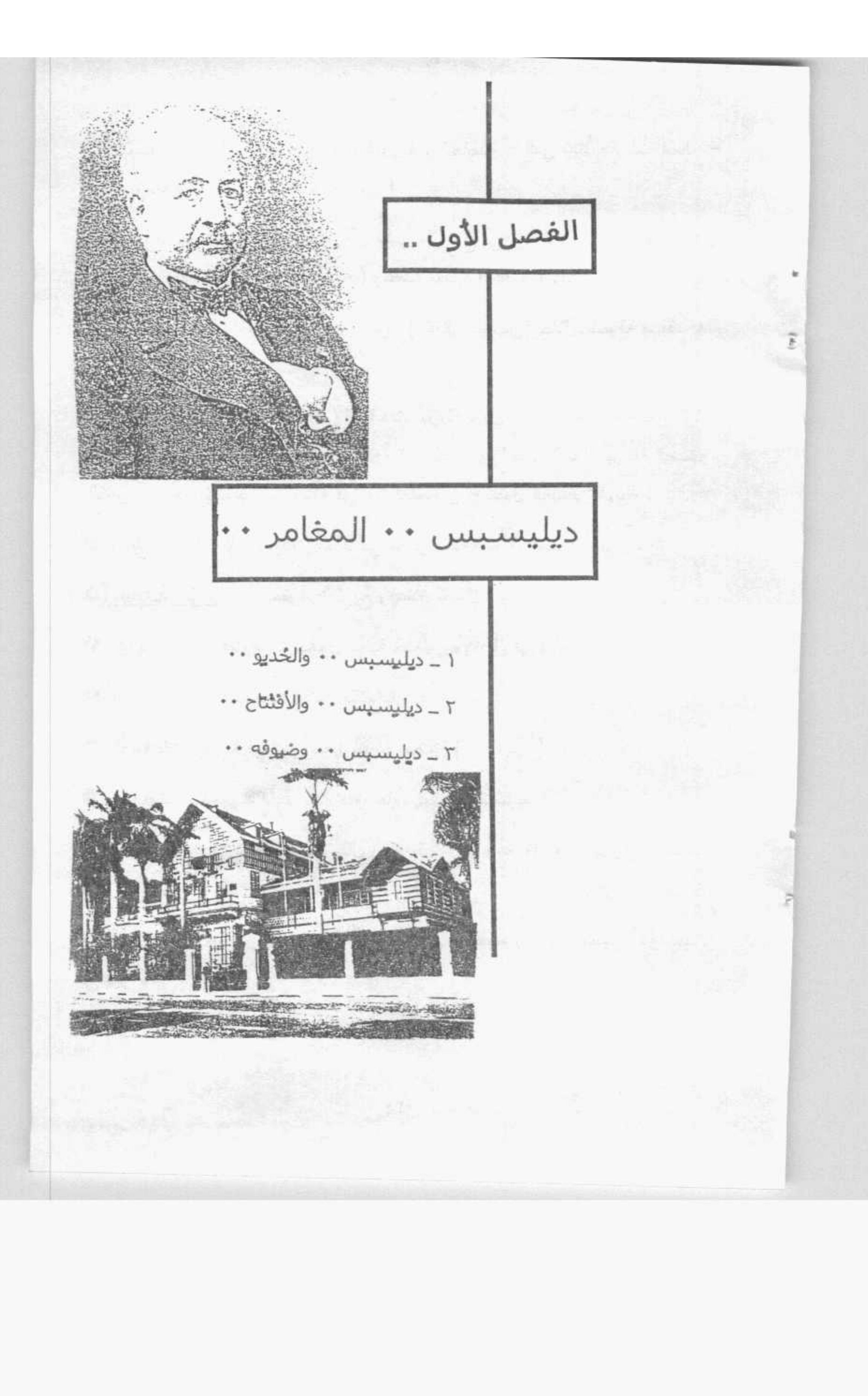
الباب الثاني ..

قراءة فى أحوال نجوم المشهد

- الفصل الأول .. ديليسبس المغامر ..
- الفصل الثانى .. الشفياليه اسماعيل ...
- الفصل الثالث .. أوجينى – عروس الأفتتاح ..
- الفصل الرابع .. ضيف .. آل (هايسبرج) ..
- الفصل الخامس .. ضيف .. آل (هو هنزولرن) ..



- تمثال (ديليسبس) .. (مدينة بورسعيد) ..



الفصل الأول ..

ديليسبس .. المغامر ..

١ ـ ديليسبس .. والخديو ..

٢ ـ ديليسبس .. والأفتتاح ..

٣ ـ ديليسبس .. وضيوفه ..

إن الكثيـــر مـــن المراجع والوثائق والدوريات الخاصة – التي تملأ مكتبات العالم – تذكره دوما، طالما ذكرت (قناة السويس)

فما زال اسم دليسبس – أشهر شخوص مشهد الافتتاح في زيه المميز – معروفا ، لدى الكثير من أبناء منطقة القناة (خاصة) وشعب مصر (عامة) ...

ولـــيس أول على ذلك من ذلك المثار حول (تمثال دليسبس) خلال سخونة صيف هذا العام ٢٠٠٣ ..

فقد طالعتنا جريدة (أخبار اليوم) بتحقيقات جريئة حول هذا الموضوع – ص ١٦ ، ١٧ مـــن عـــدد الســـبت ٢١ يوليو ٢٠٠٣ وكانت مانشيتات الصفحتين – الصغيرة والكبيرة ... مما لا مجال لتفصيله في هذا التلخيص – تحمل العناوين الآتية :

- (ديليسبس) صانع شريان الحياة في مصر يحلم بالعودة لقناة السويس .
- **المثقفون :** يجب احترام التاريخ وإعادة التمثال .. ليست دعوة للاحتلال ...
- (ديليسبس) .. دبلوماسي يحمل عقلية المغامر ويغرق في قناة (بنما) ...
- احتلال الشعوب بالجنود وليس بالتماثيل ..
- اجتماعات رسمية في بور سعيد لتقرير مصير(ديليسبس) ..
- المحافظ : ستحق التكريم لأنة حقق حلما عظيما للمصريين .
- أبـــناء المديـــنة الحـــرة : التمثال رمز حضاري وعودته تؤدي لرواج اقتصادي وسياحي ...
- المعارضون مهندس القناة يجب أن يكون في المتحف وزعماء مصر أحق بمكانه في بور سعيد ..

❁ . وجاء تكريم خديو مصر (عباس حلمي الثاني) لفرديناند ديليسبس ... بإقامة تمـثال له عام ١٨٩٩ ، وظل التمثال قائما ليجسد احتفاء مصر بهذه الشخصية حتى عـام ١٩٥٦ عـندما حطمته الجماهير الغاضبة احتجاجا على العدوان الثلاثي على مصر الذي شاركت فيه (فرنسا) ... فكان قرار الجماهير هو الانتقام من التمثال – الـذي تجسدت فيه (فرنسا) في هذه اللحظة التاريخية – وذلك بإسقاطه عن القاعدة الذي ترفعه ..

❁ بعـد زيـارة إلى (مكتبة الإسكندرية) في ١٣ / ٩ / ٢٠٠٣ ، وبالبحث في قسم (الـدوريات) تـم العثور على تلك المقالة عن (تمثال دليسبس) في مجلة الضياء / السـنة الثانية / لصاحبها الشيخ إبراهيم اليازجي المجلد رقم ٢ (مصر سنة ١٨٩٩ – ١٩٠٠) ص ١٨٠ – ١٨٢ .

تمثال ديليسبس

لا يجهـل أحـد ما نشأ عن فتح خليج السويس من المنافع التجارية للعالم القديم بأسـره ، بمـا قرب من المسافة الشاسعة بين الشرق والغرب وهو العمل الذي طالما تطالت أليه أماني الملوك وأحجمت همها عنه لما يقتضيه من التكاليف الشاقة والنفقات الطائلـة .. وقد تنبه له قبل (ديليسبس) البارون (دي لبنتز) في أواخر القرن السابع عشـر وعرض ما تمثل له من أمره على الملك (لويس الرابع عشر) فلم يوافق منه أذانـا صاغية ، ثم طوى أمره إلي أن ورد (نابليون الأول) على مصر سنة ١٧٩٨ فكـان أول مـا حدثته نفسه به فتح هذا الخليج ، وقد ذهب بنفسه فتفقد تلك البقعة ، ثم استشار المهندس (لوبير) فكان من رأيه أن هذا العمل يذهب سدى لزعمه أن البحر الأحمـر أعلـى من البحر الرومي ، فإذا جرى الماء لم يلبث أن ينصب في الثاني و

ويـــرجع الخليج جافاً فلا ينتفع منه بطائل . وهو وهم قديم ذكره (استرابون) المؤرخ ونـــبه علـــى بطلانـــه ثم تصدى لنفيه (لابلاس) (وفورياى) عندما انتشرت مقالة (لوبيـــر) ، وأشـــتغل (نابوليون) بعد ذلك عن معاودة الاهتمام به بما كان فيه من المناهضات ، فأهمل أيضا إلى أن تصدىّ له المرحوم (ديليسبس) سنة ١٨٥٤ ، وهي سنة ارتقاء المغفور له (محمد سعيد باشا) الأريكة المصرية مخاطبة في أمر الخليج ، ووصـــف له ما يكون عنه من الفوائد ، فوافقه على الشروع فيه وبوشر العمل سنة ١٨٦٩ ، وكـــان تمامه في عهد المغفور له (إسماعيل باشا) سنة ١٨٦٩ ، ففتح في احـــتفال باهـــر دعا أليه أعاظم رجال أوربا ، وممن شهده إمبراطور النمسا الحالي ، والإمبـــراطورة (أوجيـــنا) زوجة الإمبراطور (نابليون الثالث) ووليا عهد هولندا وبروســـيا والمرحوم الأمير (عبد القادر الحسيني) المشهور ، ومن الكبراء والسراة عدد كبير فكان له مهرجان عظيم لم ير مثله في الشرق ...

وقـــد مضـــى على فتح هذا الخليج إلى اليوم ثلاثون سنة ظهرت له فوائد لا تقدر ولو تبـــرح مـــنافعه تزداد كل يوم بازدياد الصلات بين الشرق والغرب ، فلا جرم أن من تولـــى هذا العمل الخطير في الأرض لجدير بأن يخلد ذكره فيها بما لا يمحوه كرور الإعصار ولا ينسيه توالي الليل والنهار ...

وقـــد قامـــت له بذلك شركة (أسهم الخليج) التي يرأسها اليوم البرنس (دار تبرح) فصنعت له تمثالا بديعاً نصبته في (بورسعيد) أمام فوهه الخليج مرفوعاً على قاعدة متيـــنة مشـــرفه بنـــتها في الماء ، وقد بلغت نفقات هذا التمثال فيما يقال مليونين من الفرنكات ...

وقـــد احـــتفلت الشركة المذكورة بإماطة الستار عن وجه هذا التمثال في اليوم السابع عشر من هذا الشهر (نوفمبر ١٨٩٩) ، وهو مثل اليوم الذي احتفل فيه بفتح الخليج ، ودعـــت لهـــذا الاحتفال جماً غفيراً من وجوه الأجانب والوطنيين وأرباب المناصب

والخطـط وفـي مقدمتهم سمو الأمير المعظم فكان يوماً مشهودا حضره ما يزيد على خمسـة آلاف نفس ... ثم انصرف الجمع من ذلك المشهد وفي مخيلة كل منهم رسم ذلك التمثال وهو ينشدهم عن صاحبه بلسان الحال

(إن أثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار) ...

....

....

❁ فـي مقدور كل روائي أن يخلق من خياله حوادث أي قصة شاء ، ألا هـذه القصـة ، هـذه القطعة من الحياة .. التي لم يكن في مقدور غير (القـدر) أن يؤلف أحداثها !!   (أ. حلمي مراد .. كتابي حث / العدد السابع ١٩٥٢) .

❁ إن جولتـنا فـي تلـك اللوحة .. ندور في فلكها .. نلقي الضوء على شخوصها ... وتكون المحصلة في النهاية خليطا من المعلومات والثقافات المتداخلة ..   (أ. جمال قطب .. ملهمات المشاهير ص ١١٦)

❁ إن في قراءة التاريخ .. مفتاح لكل حكمة ..

(الكاتب الإنجليزي جوناثان سويفت / فيلم (رحلات جليفر) ..

❁ وقـد راعيـنا في اختيار الفصول التي نعرضها – في هذا الإصدار – دون سـواها مـن الأصـول التي رجعنا أليها .. أنها تتضمن الكثير من الوقائع الجديدة المثيرة التي تعيد تنشيط الذاكرة في تلك المحاولة – القراءة الجديدة – لمشهد افتتاح قناة السويس يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ . (م ٠ ع)

- ففــي (٣٠ نوفمبــر عــام ٢٠٠٤) .. سيكون قد مر من الزمن مائة وخمسين عاما على امتياز قناة السويس الأول في (٣٠ نوفمبر ١٨٥٤) (م . ع)
- وفــي (١٩ نوفمبر عام ٢٠٠٥) سيكون قد مر من الزمن مائتي عام علــى مــيلاد فرديناند ديليسبس .. مغامر مشروع حفر قناة السويس .. (م . ع) .

اسم ديليسبس في شوارع وميادين مدن القناة ..

وفــي مدينة بور سعيد .. كان هناك ميدانا يحمل أسمه (المنشية الآن) يحيط به أفخــر محــلات المديــنة الحرة ، التي تكتظ بالبضائع الأجنبية – تلك المرة – وليس الجالــيات كما كان في (سطوة) الرجل وكان وهناك شارعاً باسمه يتقاطع مع شارع (رمسيس) في نفس الميدان ..

ومــا زالــت (الفيلا) التي كان يسكنها قائمة حتى ألان .. ويقطنها أصحابها ألان .. زوج وزوجة .. (مشيو وأيده) ..

وفــي مديــنة الإسماعيلية .. مازالت (الفيلا) التي كان يقطنها الرجل – تحمل متعلفاته وعبق الزمن – مزار للباحثين .. ويعرفها الأهالي بأسم (استراحة ديليسبس)

-هــي تحــت أشــرلف هيئة قناة السويس – بينما كان يقع خلفها شارعاً يحمل أسمه (المحافظة الآن) ...

أمــا في الميدان المجاور للاستراحة – ناحية كوبري (سالة) على ترعة الإسماعيلية فــي نهايــة تقاطــع الشــارع الذي كان يحمل أسمه مع الشارع الذي كان يحمل اسم

إمبـــراطورة بـــلاده (أوجيني) (أحمد عرابي الآن) – فقد تم يوم الخميس الموافق ٢٩ ســبتمبر ســنة ٢٠٠٣ افتتاح جداريه تعبر عن (مشهد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩) ..

- وفــي مديــنة بــور توفــيق (بالســويس) .. تغير اسم شارع ديليسبس (طريق الكورنيش الآن)..
-

١ ديلسبس .. و الخديو ..

١ مدينة الإسماعيلية (٤ مارس ١٨٦٣) ..

(لقد تأسست مدينة (الإسماعيلية) رسميا وأحتفل بوضع حجر الأساس لها في ٢٧ أبـــريل ١٨٦٢ بأسم (مدينة التمساح) – في عهد محمد سعيد باشا – وقد سميت بهـــذا الاسم لوقوعها يومئذ شمالي بحيرة التمساح .. تلك البحيرة التي كانت جزءً من البحـــر الأحمر قديما ، ولما أنسحب البحر جنوبا ترك هذه البحيرة شاهد على ما كان فـــي الماضي ، فظلت وسط الصحراء مستنقعا منخفضا ينمو حوله البوص إلي بداية تأســيس مدينة التمساح ويبلغ طول هذه البحيرة ثمانية كيلو مترات و مسطحها حوالي ٥,٠٠٠ فدان وعمق المياه فيها في ذلك الوقت كان يتراوح بين أربعة إلى خمسة أمتار وتخترقها قناة السويس ..

ولكـــن شـــركة القناة رأت بعد أن تولى (إسماعيل باشا) عرش مصر في ١٣ يناير ١٨٦٣ – بعد وفاة عمه سعيد باشا – أن تستغل الفرصة وتطلق أسمه على هذه المدينة الجديـــدة اعـــتقادا مـــنها أن هـــذا العمل سوف يساعد على خلق جو ودي بينها وبين (إســـماعيل) فيســـير علـــى سياسة سلفه في تأييد المشروع .. فأقامت في ٤ مارس ١٨٦٣ م حفلا كبيراً ، شهده رجال الشركة و (لورد إليوت) محافظ دلهي السابق .. ومســـيو (لانج) مندوب الشركة في إنجلترا .. وقد ألقى (دليسبس) خطاباً جاء فيه : " إن أسم (سعيد) قد أطلق على (مدينة بور سعيد) عند مدخل القناة .. ألا

يجـــدر بنا أن نطلق أسم الوالي الحال – إسماعيل باشا – على مدينة التمساح اعترافا بفضله "... *

ظــل (دليســبس) يهادان ويتقرب زلفي إلى جميع أفراد العائلة الحاكمة ...لدراتيه الواسعة بتقلب العروش ..

ولا شــك أن خلفائــه في الشركة قد ورثوا عنه تلك الفطنة ... ففي زمن أخر سميت المديــنة الســكنية للعاملــين بالشركة في السويس بأسم • مدينة بورتوفيق) .. ربما تقــربا للخديو (توفيق) نفسه في حياته ... أو توددا إلى ابنه الخديو (عباس حلمي الثاني) – بعد وفاة أبيه سنة ١٨٩٢ – بغرض تخليد اسم الأب ...

وفي زمن ما بعد (دليسبس) – الذي توفى سنة ١٨٩٤ – قام خلفاء الشركة الفطنين بتسمية المدينة السكنية للعاملين بالشركة – على جانب القناة اشرقي ببورسعيد – بأسم (مديــنة بورفــؤاد) .. تقرباً وتودداً إلى السلطان (أحمد فؤاد) – الملك فيما بعد – الذي تولى الحكم (من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦) ..

ويذكر (روبيرسوليه) في كتابه (مصر : دلع فرنسي) ** ص ١٣٣ الأتي :

إن (فــردينان دليســبس) لم يخترع شيئاً : ففي منتصف القرن التاسع عشر كان الوصل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ماثلاً في جميع الأذهان في أوروبا .. كانوا يحلمون بالسويس كما يحلمون أيضا بقناة (بناما) (التي تربط بين المحيط الباسيفيكي

---

* عــن مــرجع : الإسماعيلية ... بوابة مصر الشرقية .. ص ٢٦٤ ، ٢٧٨ (أعداد لجنة صياغة التاريخ بالحزب الديموقراطي بالإسماعيلية) ...

** مــن إصدارات مكتبة الأسرة ١٩٩٩ – مهرجان القراءة للجميع – الأعمال الفكرية .. ترجمة : لطيف فرج ..

والمحيط الأطلنطي) . إن البرزخين مرتبطان معاً في الخيال الجمعي ، فلابد أن يقود شق أحدهما إلى شق الأخر إن عاجلاً أو أجلا ....

و(دليسـبس) لـيس مهندسـا ولا ممولا .. إنه رجل عام غير متخصص يحوز على حاسـة استبصار وعلى مهارة وقوة عزيمة في كل شيء .. فإذا كان لم يخترع (قناة السـويس) إلا أنـه وجـد الوسيلة ، لتنفيذ المشروع بالكشف عن أوراقه في الوقت المناسب ..

٢ المعرض الدولي في (باريس) (١٥ يونيو ١٨٦٧) ..

كتب روبير سوليه في كتابه (مصر : ولع فرنسي) ص ١٧٢ وما بعدها

إذا لـم تذهب إلى مصر ، فمصر ستحضر إليك .. إن الأغلبية العظمى من الفرنسيين فـي عهد الإمبراطورية الثانية لم يذهبوا إلى وادي النيل ، ولم يكن هناك أي احتمال بأنهم سيتمكنون من الذهاب إليه ...

وقـد أتـاح لهم (المعرض الدولي) المقام عام ١٨٦٧ فرصة رؤية بلاد سقطت من الأصـل بلاد الفراعنة .. كانت أجنحة الشرق التي تستهدى السبع ملايين نسمه الذين سارعوا إلى زيارة هذا المعرض المقام بساحة (شان دي مارس) بباريس .. وكانت مصـر – التـي منحت حوالي عشرين ميدالية – تحتل في أجنحة هذا الشرق الساحر المكان الأول بلا منازع ..

وصل (إسماعيل باشا) إلى باريس لحضور افتتاح المعرض ، وكان مكللا بهاله لقب جديد هو لقب (خديو) ..

وكانت لدى (فرنسا) جميع الأسباب التي تدعوها إلى استقبال (الباشا) بأبهة وفخامة ، فهـو ناطـق بالفرنسية ، ومحب لفرنسا ، وخريج مدرسة (سان – سير العسكرية الفرنسية) ..

قامـت سـفن الأسطول الفرنسية المزينة بالأعلام باستقبال (المحروسة) حين رست بميـناء (طولـون) يوم ١٥ يونيو ١٨٦٧ .. بينما أطلقت مدفعية الحصون والقلاع نيرانها بلا انقطاع .. وكان البارون (أوسمان) حاكم (السين) في استقبال(الخديو) عند وصوله (باريس) .. وفي فناء محطة (ليون) (إحدى محطات السكك الحديدية بباريس) وقفت كتيبة تابعة لفرقة المشاة الثالثة والأربعين لتحية الضيف الكبير ..

وأستقل (إسماعيل باشا) وحاشيته خمس عربات تابعة للبلاط الإمبراطوري . وأدخل (الخديـو) إلى صالون القنصل الأول حيث كانت تجلس (الإمبراطورة) .. (ومن حـولها كبير فرسان القصر ، ورئيس مدربي الخيول ، ورئيس الصائدين والكلاب ، والقائـد الأعلـى للحـرس الإمبراطوري ، ووصيفة الإمبراطورة ، وبعض الضباط وسيدات الخدمة ..) .

كـان الإمبـراطور يعانـي من الام روماتيزمية ولهذا لم يحضر الاستقبال .. لم يكن مرضا دبلوماسيا .. وبعد مضي عشرة أيام دعى (نابليون الثالث) ضيفه (إسماعيل باشـا) الـذي أقام في مقصورة (مارسان) لكي يجلس إلى يمينه لاستعراض حامية (باريس) .. ودعاه إلى الغذاء في (سان – كلو) حيث رافقه بنفسه في جولة بقصر (فرساي) .. ثم ذهب فيما بعد لزيارته في المعرض برفقة أسرته ...

أحتل الجناح المصري الذي أسندت إقامته إلى (مارييت) ٦٠٠ متر مربع ..

وأشـتمل على عدة مبان توضح مصر الفرعونية ، الإسلامية ، والحديثة في أن واحد ...

وأبتغى (المبنى الأول) أن يكون توليفا بين الإمبراطورية القديمة والجديدة ، إذ شيد على نمط (معبد فيلة) والنمط (البطليموسي) أيضا ..

وفـــي (الدور الأول) من مبنى حديث تم عرض ٥٠٠ جمجمة للومياوات معروضة بترتيب الأسر ..

وأمام الجناح المخصص لقناة السويس .. كانوا يصطفون في طابور ...

وكان (فردينان ديلسبس) يشرح بنفسه المشروع بالأستعانه بخريطة ضخمة مجسمة ، تظهـــر علـــيها نمـــاذج مصغرة للجرافات والصنادل المسطحة والعربات القلابة .. وكانـــت تـــوجد (ديـــوراما) (لوحة أفقية رسمت عليها مشاهد وأشكال تسلط عليها أضـــواء وفقا لما كان سائدا في القرن التاسع عشر) .. صنعها مدير الأوبرا ، وتبين مـــراكب صـــغيرة بدأت بالفعل تعبر جزءاً من البرزخ ... وبطبيعة الحال أن تحصل الشركة على إحدى ميداليات المعرض الذهبية على جناحها هذا ..

وأستقبل (الخديو) باريس كلها في مبنى من الطراز العربي مزخرف ببذخ .. تدخل هـــذا المبنـــى مـــن بـــاب ذي مصراعين مغطى بالارابيسك ومزين بالعاج والآبنوس والبرونـــز .. بعض تكسيات الجدران الخشبية أحضرت من قصور القاهرة .. وتتدلى من السقف ستة من قناديل الجوامع ويرى الزوار (قرآنا) فخماً مزخرفاً ومجلداً بجلد ماعز أحمر اللون .. الرخام في كل مكان ومن جميع الألوان ...

وفد أفتتن أعيان (باريس) بحفيد (محمد على) الذي يتحدث معهم وهو جالس على أريكته يدخن (النارجيلة) ...

عهد القنوات (١٧٦٠- ١٨٤٠)

كتب (ل.ج . شيني) في كتابة (تاريخ العالم الغربي)* ص ٣٢٨ ..

الـــنقل المائي سهل رخيص .. وفي مدى فترة طويلة كانت سفن الشواطئ – التي تنقل الفحـــم – تحمـــل الفحـــم من (التاين) والتيمز) ومازالت تفعل .. وقناة (لانجدوك) الطـــويلة – التي تصل ما بين خليج (بسكاي) بالبحر الأبيض – هي التي أوحت لدوق (بردمونر) بفكرته في قناة تحمل الفحم من مناجم المعادن التي يملكها في(وورسلي) و (منشيســـتر) ... وقـــد اســـتعان بـــ(جيمس برندلي) – وهو من مقيمي الطواحين النابغـــين – في تخطيط مشروعه .. وعندما انتهت القناة في ١٧٦١ هبط ثمن الفحم في (منشستر) إلى النصف وحدث جنون حقيقي في أحتفار القنوات .. تصل نهراً بنهر .. وبلـــدة بـــبلدة .. وفـــتحت (لندن) – وهي أكبر الأسواق – لصناعات البقاع الوسطى والشـــمالية الأخذة في الانتشار ... وقد حمل بعض القنوات (صنادل) الركاب . ونقلت الحكـــومة عليها جنودا . وقامت البيوت والمصانع على طول شواطئها .. وهناك أنفتح الأمـــل بقيام مدينة قنوات ... مدينة غنية ، عامرة هادئة .. وإلى أن حلت سنة ١٨٣٠ أنـــزاح جـــنون الاحتفار ، على أن أوسع طريق مائية – وهي كاليدونيان كانال (القناة الخالـــدة) التي خططها (تلفورد) – أحتفرت ما بين ١٨٠٤ ، ١٨٢٢ ... ومن سوء الحظ أن القنوات كثيرة الاختلاف عمقا وعرضا .. وأن أصحاب السفن الذين استخدموها غلب عليهم الطمع ، في الأجور ، وعدم الدقة في المواعيد .

ومازال أحسن القنوات يستعمل حتى الآن ...

---

*الكتاب رقم(٥٤٦) سلسلة الألف كتاب (الأولى) ..
ترجمة : أ. مجد الدين حفني ناصف .
مراجعة : أ . على أدهم .

٢ ديلسبس .. و الافتتاح ..

✿✿ ويبقـــى السؤال مطروحا .. لماذا لم يوجه (إسماعيل) الدعوة إلى السلطان العثماني ؟

ولقـــد راح فـــريق من الدراسين يعتنق فكرة أن السلطان العثماني لم يكن بحاجة علـــى الإطـــلاق إلى دعوة ، وانه هو صاحب الحفل ورب البيت ولذا فقدكان الواجب علـــيه الحضور كل تلك الحفلات دونما دعوة .. لقد استندوا في ذلك إلا أنه حينما لام الســـلطان العثماني الخديو (إسماعيل) في عدم دعوته أجاب : " كيف أدعو صاحب البيت في بيته ؟ " ..

والحـــق أن هـــذا تفســـير مرفوض على الإطلاق من بعض المؤرخين ، فقد قرروا صراحة أنه تجاهل مقصود أراد به (إسماعيل) أن يعلن استقلال مصر أثناء حفلات الافتـــتاح ، وقـــد دلـــو على صدق رأيهم هذا إلى أن (دي لسبس) استطاع أن يوهم الخديو (إسماعيل) أنه يستطيع أن يلبس تاجاً حقيقياً ، وأن ينادي به ملكا مستقلا في حفلـــة افتتاح القناة .. وما عليه إلا أن يدعو الملوك وذوي التيجان .. وأنطوت الحيلة على (إسماعيل) ..

بالإضـــافة إلـــى ذلك فقد تعمد (إسماعيل) عدم دعوة السلطان لان حضور السلطان العثمانـــي (خليفة المسلمين) سيقلل من شأن الخديو (إسماعيل) وسيحجب الأضواء عنه ، وأن عدم حضوره سيكون رمزا على استقلاله بحكم مصر ..

وعلى الرغم من أن الخديو (إسماعيل) لم يوجه الدعوة إلى الخليفة الشرعي سلطان الدولـــة العثمانية ، إلا أنه قام بدعوة (نابليون الثالث)إمبراطور فرنسا .. الذي تعلل

بانشـــغاله بأمـــور الإمبراطورية الفرنسية في ذلك الوقت .. إلا أن هذا العذر لم يرق لكثير من المؤرخين فراحوا يعللون سبب عدم حضور (نابليون الثالث) إلا أنه – أي نابلـــيون الثالث – علم بالخطة أنفة الذكر . وخاصـة بأن الخديو (إسماعيل) سينتهز فرصة احتفالات القناة وينتهز حضور (نابليون الثالث) على وجه التحديد ليعلن على المـــلأ اســـتقلاله بمصر فخشى (نابليون الثالث) أن يوقعه ذلك في صدام مع الدولة العثمانية في ذلك الوقت ..

وعلـــى الـــرغم مـــن عدم حضور (نابليون الثالث) إلى الحفلات إلا أنه أرسل الإمبـــراطورة (أوجيني) زوجته بدلاً منه ... ومن ثم قرر الكثيرون في ذلك الوقت مـــن ساســـة بريطانيا وكتابها مثل : (كرومر) و (ملز) وسير (أوكلاند كلفن) و (ايلجور) و (زينلاند) أن الاحتفال الأسطوري لافتتاح قناة السويس في الإسماعيلية وغيرها .. كان مرضاة للإمبراطورة (أوجيني) ..

بلـــغ النفوذ الفرنسي أقصاه في حفلات الافتتاح .. فشركة القناة فرنسية ورئيسها (دي لسبس) فرنسي ، ورئيسة الاحتفالات الإمبراطورة (أوجيني) فرنسية ، ومن الجدير بالذكر أنه حينما حضر الإمبراطورة (أوجيني) إلى الإسماعيلية ، تركت علبة بودرة فضية على طاولة خشبية في غرفة (دي لسبس) الصغيرة .. تلك الغرفة التي ظلت تحتفظ بها الشركة بعناية ..

وأصر (دي لسبس) في قرارة نفسه على ألا تمر ذكرى أفتتاح القناة إلا وتكون هذه الذكـــرى معلقة في ذهنه برباط شخصي ، وعقد العزم أن يكون نخب هذه الذكرى أن يتزوج للمرة الثانية لأن زوجته الأولى قد توفيت .. وقد تزوج من ثم بكريمة (قنصل المكسيك) بالقاهرة . وكتب (أميل زولا) الكاتب الفرنسي يقول :

" لقد زوج المسيو (دي لسبس) البحر الأبيض بالبحر الأحمر ثم تزوج هو نفسه " ..

(عن كتاب : (الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية) .. ص ٣١٨ وما بعدها)

✿✿ وكـــان لدى (فرديناند ديلسبس) الذوق السليم لكي يرفض لقب(دوق السويس) الذي عرضه عليه (نابليون الثالث) ..

وبدأ هذا الرجل البالغ الرابعة والستين من العمر حياة جديدة في ظل المجد والفخار .. ففـــي خـــلال مـــدة لا تزيد على أيام قليلة تلقى أعلى الأوسمة – فرنسية ، عثمانية ، ونمساوية ، وبلجيكية ، وإيطالية – إلى أن تم استقباله كالأبطال في إنجلترا وانتخابه عضوا بالأكاديمية الفرنسية .. لكن الرجل الكبير يقوم بالاحتفال بهذه المناسبة بطريقته الخاصـــة .. فـــي يـــوم ٢٥ نوفمبـــر عقـــد قـــرانه (بكنيســـة الإسماعيلية) على (لويز هيلين) الفتاة التي يبلغ عمرها عشرين ربيعا ..

(عن كتاب : (مصر : ولع فرنسي / روبير سوليه) .. ص ١٩٢)

٢

دليسبس ..
و ضيـــوفه ..

كان (دليسبس) قد فتح بيته – في باريس – لكل من يقصده من المصريين ذوي الشـــأن ٠٠فكـــان يستقبلهم – هو و أولاده – و يحسن وفادتهم ، تحسبا لتقلب الأيام و العروش ٠٠ و خوفا علي شركته ٠٠

و نـــرجع في ذلك إلى (مذكراتي في نصف قرن) * لأحمد شفيق باشا تحت عنوان (ذكريات التعارف) ص٣١٠ وما بعدها ٠٠

و نلاحـــظ ممـــا ورد فـــي تلك المذكرات .. آن الأميران (عباس) و (محمد علي) ((أبـــناء (توفيق) خديو مصر في ذلك الوقت)) – كانا يترددان كثيراً على(باريس) خلال إجازاتهما الدراسية – حيث كانا يدرسان في (النمسا) على منزل (ديليسبس) ، الذي يستشعر بحاسته التي لا تخونه أبداً بأنه قد يصبح أي من الأميرين الصغيرين على رأس الحكم في مصر في يوم ما . ((ولقد صدق حدث الرجل ..فقد تولى الأمير عباس الحكم سنة ١٨٩٢ بعد وفاة والده في نفس العام .. و اصبح الخديو(عباس حلمي الثاني) .. وقد أدرك (ديليسبس) ذلك قبل وفاته بعامين ١٨٩٤))..

وكـــان في الوقت نفسه يستقبل خديو مصر السابق (إسماعيل) – في ذلك الحين – كلما زار (باريس) من مكان أقامته (منفاه) بسويسرا ..

ويحسن وفادته ..و.. و.. تحسباً لعودته إلى الحكم مرة أخرى ..

---

* إصدارات مكتبة الأسرة ١٩٩٩ – المصريات – الجزء الأول(من سنة ١٨٧٣ إلى ٨ يناير سنة ١٨٩٢)

ويذكر (أحمد شفيق باشا) في (ذكريات التعارف) ما يلي :

وأذا كان (معهد الرقص) قد هيأ لي التعرف ببعض الأسر . فقد كان هناك عاملان آخـران سـاعداني فـي التعـرف على الكثير من الأسر الراقية : الأول هو المسيو (فرديناند دولبس) و أسرته و الثاني هو مدموازيل (ميزون) ..

أسرة دولسبس :

فـي صـباح يوم ١٧ ديسمبر ١٨٨٦ . توجهت مع (إبراهيم بك ذو الفقار) إلى منـزل مسيو (دولسبس) .. وهو قصر فخم في شارع من احسن شوارع باريس .. فقابلـنا بغاية الترحاب وأمر صغرى بناته – التي عمرها لا يتجاوز خمس سنوات – أن تفرجنا على الاصطبل ، و العربخانه وما يتبعها . وبعدئذ دعانا لتناول الغذاء معه ، وكـان (إبراهيم بك) أعطاه جواباً حرره الباشا والده له بوصية .. وقد سر كثيراً لان (ذو الفقار باشا) كان ممن ساعدوه على نيل امتياز قناة السويس لدى سعيد باشا ..ولما جلسنا إلى المائدة معه و أولاده المسمي أحدهم (إسماعيل) ، واخذوا يسألوننا عن مصر وشئونها..

وفي أول يناير سنة ١٨٨٧ ذهبت و (إبراهيم بك) إلى دار (دولسبس) لتهنئه بالسنة الجديـدة ، فلـم نجـده وتركنا بطاقة الزيارة .. فبعث إلينا ردا علي التهنئة في اليوم الخامس منه ..

وفـي ٢٧ ينايـر سـنة ١٨٨٧ بـناء علـي دعوة (فرديناند دولسبس)، ذهبت و (إبـراهيم بك) حيث حضرنا حفلة ساهرة ،كان المدعون اغلبهم متقدمين في السن إلا بعـض الجـنس اللطـيف بملابسـهن الثمينة وأذرعهن وصدورهن العارية ، وكانت الموسـيقي مؤلفة من أربعة عازفين إيطاليين مهرة ..وهناك قابلنا(إبراهيم باشا توفيق) محـافظ القنال . كما تعرفنا ب(شارل دولبس) نجل فرديناند – كان لمسيو (دولسبس) ولدان من الزوجة الأولى هما (شارل)، (فيكتور) ..

وقدمـــنا مســـيو (دولسبس) لزوجته لأول مرة ، وذكرها بالوصية التي حملناها له في زيارتنا له في ١٧ ديسمبر ١٨٨٦ .

وقـــد اهتمت بالوصية ورحبت بنا. وقد كانت علي جانب عظيم من الجمال فهي ذات قـــد معـــتدل ... سمراء اللون ، باسمة الثغر ، خفيفة الروح في سن الشباب وان كـــان زوجها في سن الشيخوخة ..ودعتنا للحضور دائما في ليلتي السمر التي تقيمهما فـــي كـــل أســـبوع لأصدقائها ، فشكرناها ، واجبنا هذه الدعوة مرارا عديدة .. وهذا بخـــلاف الحفلات الكبرى التي مكنتنا من التعارف مع كثير من ارقي الأسر الفرنسية ومشاهدة احسن صور الحياة الاجتماعية الرفيعة ..

وفي يوم ٧ فبراير ذهبت و (إبراهيم بك) إلى منزل (دولسبس) ومعي أدوار موسيقية عـــربية و تركية طلبتها مني زوجته ، فلم نجدها بالنزل فتركتها مع بطاقتي .وفي يوم ١٠مـــنه وصـــلتني رسالة شكر منها ، فذهبت لزيارتها في مساء نفس اليوم فقابلتني بتـــرحاب ، وقدمتنـــي لجماعـــة من اخصائها .. منهم الكونت (ميرمون) وهو ضابط سواري في الجيش الفرنسي ، وسيم الطلعة ، أنيق المظهر ، وقد لاحظت في كل مرة قضيت السهرة عندها ، أني أجد هذا (الكونت) على الدوام بجانبها أثناء لعب الورق ... فقـــد رقـــص أولادها على سبيل التمرين . فأعجبت برقصهم .. و قالت لي أنهم سيرقصونها مرة أخرى في حفلة تقيمها مدام (كونجسفورت) قرينة أحد رجال المال في فرنسا . فرجوت المسيو (دولسبس) أن يطلب لي تذكرة دعوى لهذه الحفلة فوعد بأن يصحبني معه إليها فشكرته و قرينته على هذا العطف الكبير ..

و بعـــد ذلك بأيام ذهبت مع (إبراهيم بك) لزيارة (دولسبس) في مكتبة بشركة قناة الســـويس ، فأخبرنا انه سيقيم حفلة استقبال للخديوي (إسماعيل) و دعانا لحضورها .. و في اليوم المحدد (مساء ١٧ مارس ١٨٨٧) ، ذهبنا إلى داره بملابسنا الشرقية ، و كانـــت الحفلـــة فـــي منتهـــى العظمة و البهاء .. شهدها كثير من علية القوم من

(بارونـــات) و (كونتيسات) يرتدين الملابس الفاخرة و الجواهر الثمينة ، فتزيدهن جمالاً على جمالهن ... و كان بين الحضور أعضاء الأكاديمي و غيرهم من الكبراء.

و قـبلت أن أتعاطـــى مـــع ربة الدار و اثنتين من المدعوات ثلاث كوبات من الشـــمبانيا .. و قــد استغربت من عدم تأثير هذا المشروب تأثيراً سيئاً و لو إنني لم أشربه من قبل ..

و لم يحضر الخديو (إسماعيل) هذه الحفلة .. و علمنا انه أعتذر عن الحضور لمرضـــه . و لمـــا اســـتأذنا في الخروج سألت (دولسبس) عما إذا كان لديه وقت للـــتحدث فـــي مســـألة تختص بمصر و قناة السويس فأظهر استعداده .. و كان لذلك الموضـــوع علاقة عن رسالتي عن (نفوذ فرنسا في مصر) ثم سألته عن سفره إلى (ألمانـــيا) .. فذكر لي انه تحادث مع البرنس (بسمارك) بخصوص جلاء الجيوش الإنجليـــزية عـــن مصـــر .. و انه يثير هذه المسألة دائماً ، و يرجو أن يحصل على بعض النتائج ..

و فـــي يوم ١٤ أبريل كنا مدعوين لحفلة راقصة عند مسيو (دولسبس) و هناك قابلـــنا ســـفير (الدولة العثمانية) .. و كان يلبس قبعة .. و دام الرقص إلى الساعة الأولـــى بعد نصف الليل . و كنت ضـمن الراقصين .. و هناك قابلنا مسيو (فيكتور دولســـبس) و وعـــدت قـــرينته بأن أرسل إليها كمية من (البامية) التي وردت من مصر .. فشكرنا (فيكتور) ..

شارل دولسبس

عـــندما كـــنا عند (فرديناند دولسبس) في ٢٧ يناير سنة ١٨٨٧ – دعانا نجله (شـــارل) لتـــناول طعام العشاء عنده في ٣١ منه .. وفي تلك الليلة لقينا هناك أخاه (فيكـــتور دولســـبس) وقـــرينته ومسيو (أنسلين) قنصل جنرال هولندة في مصر (ســـابقا) .. والمسيو (بيات) وقرينته وهم من موظفي شركة قناة السويس ومسيو

(بـــوكار) من مديري الشركة وهو من الأغنياء وكان مفتشاً للغابات (سابقا) وكان أعـــزب .. وقـــد استقبلتنا مدام (شارل) بكثير من الحفاوة والظرف .. وبعد انتهاء السهرة انصرفنا شاكرين . وفي اليوم السابع من فبراير ذهبت ومعي (إبراهيم بك) لـــزيارتهما ثانية فلاقتنا مدام (شارل) بظرفها المعهود .. ويومئذ ترجمت لها بعض نقـــوش طســـت نحاس من صنع شارع (خان الخليلي) .. وكانت تختص بالسلطان (قايتـــباي) ولـــذلك رجتنى أن أكتب لها تاريخه مختصرا فوعدتها بذلك وانصرفنا ..وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٧ ، كنت مدعواً مع (إبراهيم بك) لتناول طعام العشاء عندهما.. وكان مسيو (بوكار) بين المدعوين ، وهو صديق حميم لمدام (شارل) ، وبعـــد تناول الطعام أخذنا في لعب الورق .. ولم أكن أعرف فيه شيئا ، فقالت لي ربة الدار : " الساذج تمتلئ يده " ..

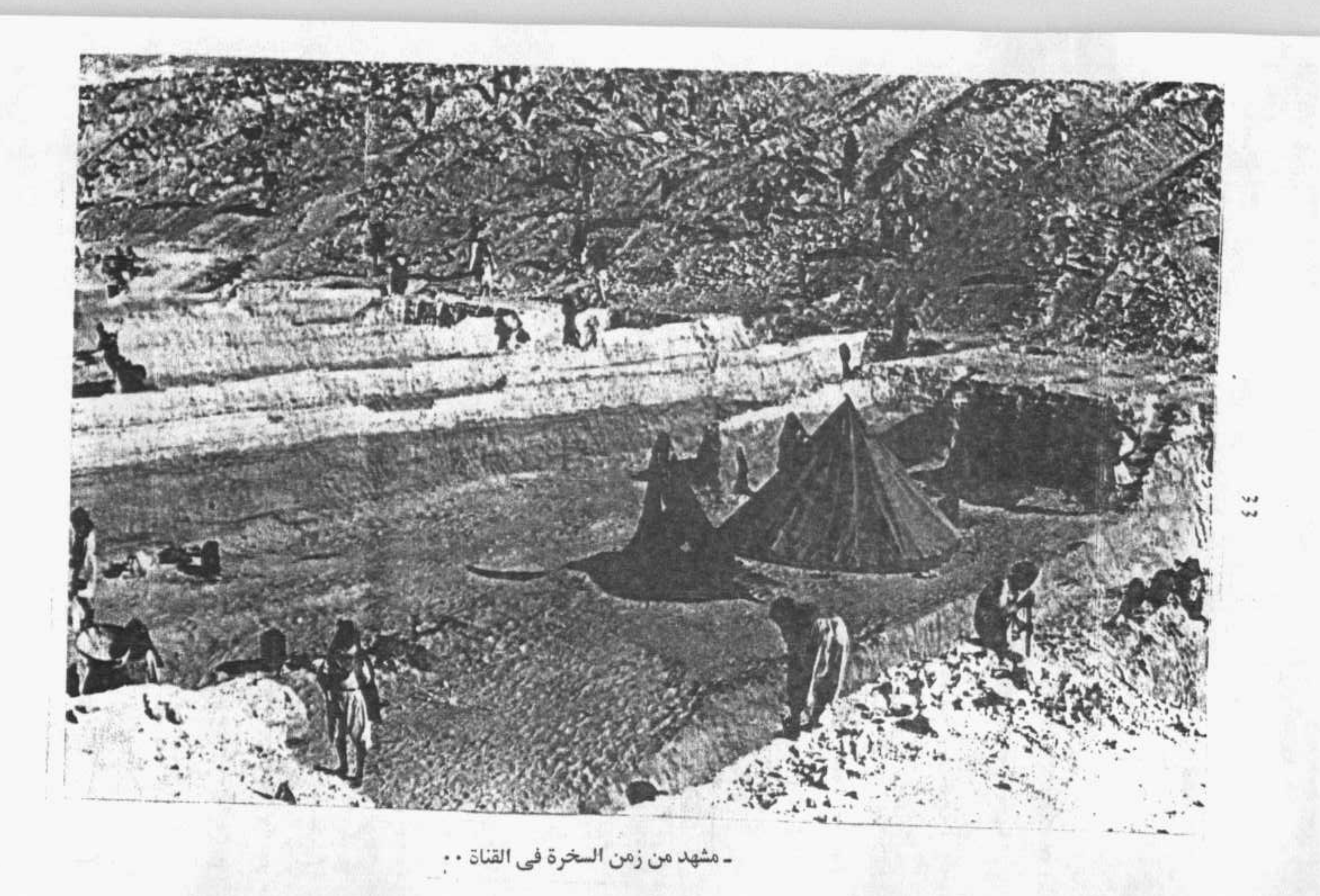
وأجلســـتني بجانـــبها لترشدني إلى اللعب .. ولكن رغم ذلك لم يصدق هذا المثل الفرنســـي الـــذي ذكرته ، فقد خسرت ٣٢ فرنكا .. بيد أن اللعب كان لمجرد التسلية والدعابة ..

فيكتور دولسبس

بناء على دعوة من مدام (فيكتور دولسبس) توجهت و (إبراهيم بك) في يوم ٣٠ إبـــريل ســـنة ١٨٨٧ حـــيث تناولنا طعام العشاء .. وكان من بين أنواع الطعام (البامية الناشفة) التي سبق أرسلناها هدية لهما .. وقد قوبلنا من الزوجين بالحفاوة والترحاب الفائقين .

وجلسنا بعد العشاء نتسامر إلي ساعة متأخرة من الليل .. ثم انصرفنا شاكرين ..

وقـــد أســـتمر التزوار بيننا وبين أسرة (دولسبس) وأنجاله طول مدة إقامتنا في (باريس) ..



- مشهد من زمن السخرة فى القناة ..



الفصل الثاني ..

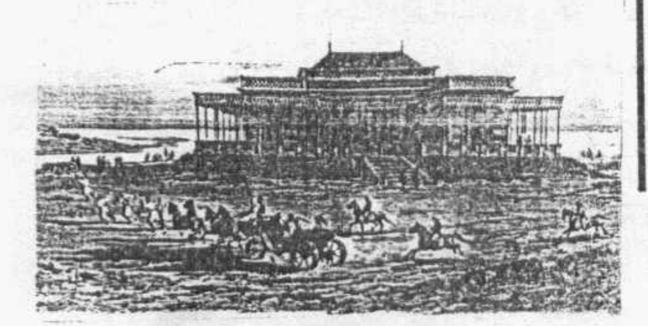
الشيفاليه .. اسماعيل..

١ ـ اسماعيل .. والنشأة ..

٢ ـ اسماعيل .. والشفياليه (راداميس) ..

٣ ـ الخديو .. والولع بفرنسا ..

٤ ـ الخديو .. والأفتتاح ...



✿ فـــي الإسكندرية .. أعيد تمثال الخديو إسماعيل .. ليحتل مكاناً أمام المسرح الروماني الصيفي – في صيف سنة ٢٠٠٠ – وعلى مقربة من الشارعين المتوازيين فـــي نفس الناحية – حي العطارين – واللذان يحملان أسماء ولديه .. شارع السلطان حسين .. شارع فؤاد (الحرية الآن) ..

✿ فـــي الإســـماعيلية .. المديـــنة باسمه مما أعطاها أمتيازاً كبيراً بين المدن الأخرى و قد تشيد تمثال للخديو (إسماعيل) – عند تقاطع شارع الثلاثيني و شارع محمد علي – في صيف ٢٠٠٤م ..

✿ وفي القاهرة .. كان قصر إسماعيل بالجزيرة لاستقبال (أوجيني) أصبح بعد ذلـــك فندق عالمي بأسم (ماريوت) .. وكان قصر الإسماعيلية الصغير الذي أصبح مكانـــه الآن مجمـــع التحرير بميدان التحرير – كان أسمه من قبل ميدان الإسماعيلية (عن مجلة نصف الدنيا – صيف ٢٠٠٣ – العدد ٦٩٢ ص ٤٦)

✿ كـــان يعلم – إسماعيل – الكثير من خبايا القصور الأوروبية – نظراً لطول المـــدة التـــي أقام فيها في (فرنسا) للتعلم) – والمؤتمرات السياسية ، والمؤتمرات العائلية التي تحاك في الظلام ..

وكـــذا الزيجات السياسية التي تعقد بين الملوك وما هي في الحقيقة إلا تحالف بن دولتين أو بين قوتين لهما تأثيرهما في تسيير التاريخ ولعبة الأمم ..

(ويمكن متابعة ذلك من لوحة العشاء ليلة الافتتاح ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ (أوجيني – أســـبانية) زوجـــة (نابليون الثالث – فرنسي) .. (فرنسوا جوزيف – النمسا) زوجـــته (اليزابيث – بافاريا) ... (فردريك وليم – بروسيا) زوجته (فيكتوريا) بنت فيكتوريا ملكة إنجلترا .. وهي نفسها من أصل (ألماني) .. الخ .. م. ع) .

وكـــان يعـــرف إسماعيل الكثير من أخلاقيات القصور الحاكمة في القرن التاسع عشر .. حيث كانت أخطر القرارات المصيرية آنذاك تصاغ من المخادع المذهبة في قصـــور التـــرف والـــرفاهية والـــبذخ ... و أن ومقالـــيد الحكم بين الملك ووزرائه ومستشـــاريه ، كانـــت بيد سيدة البلاط ، سواء أكانت هذه السيدة محظية أم زوجة أو خلـــيلة .. تســـتمد نفـــوذها وسلطانها من جمالها وفتنتها ، وخبرتها في المغامرات ، والعبث بقلوب الرجال .. رجال القمة في قصور الحكم ...

(عن كتاب : ملهمات المشاهير / أ جمال قطب ص ١٤٣) ..

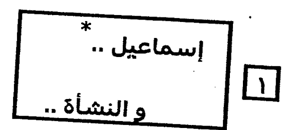
....

....

لـــم يجـــرؤ أحد من الكتاب أن يكتب عن حياة إسماعيل الخاصة - أو أي من أفراد العائلـــة العلـــوية – حتى لا يتعرض لسخط وغضب وعقاب أبنائه و أحفاده من حكام مصـــر – أبتداً من عصر إسماعيل نفسه عام ١٨٦٣ حتى نهاية حكم الآسرة في عهد حفيده الملك فاروق عام ١٩٥٢ ..

ثـــم جاءت (ثورة يوليو ١٩٥٢) التي حرمت وجرمت أي كتابات عن (أسرة محمد علـــى) ... وأمـــتد هـــذا التحريم أمداً طويلا .. حتى كان الانفراج في إعادة قراءة صفحات تلك الأسرة مع بداية التسعينات ..

لذلك نعرض بعض الصفحات – الموجزات – المطولة من الإصدارات الجديدة – التي تدعمها الدولة تلك المرة و منها إصدارات مكتبة الآسرة وغيرها – والتي تقدم بعض الوقائع التي لم تسجل في الكتب الصادرة من قبل عن نفس الموضوع ..



إسماعيل .. * و النشأة ..

١

هـــو إســـماعيل بن إبراهيم بن محمد على ، وهو ثاني أنجال إبراهيم باشا ، من والدة غير والدتي أخويه الأميرين (أحمد رفعت) و (مصطفى فاضل) .

ولد ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ ، في قصر المسافر خانة بالقاهرة (بالجمالية) ، و عنى أبـــوه بتـــربية فتعلم مبادئ العلوم و اللغات العربية و التركية والفارسية ، وقليلا من الرياضيات والطبيعيات ، وأرسله أبوه إلى (فينا) عاصمة (النمسا) ، وهو بعد في الـــرابعة عشـــرة مـــن عمره ، ليعالج بها من رمد صديدي أصابه ، ولتكمل تربيته ، وقضى بها عامين ، ثمّ أنتقل إلى (باريس) لينتظم في سلك البعثة المصرية الخامسة ، فأنضـــم إلـــى تلاميذها و وكان من بينهم الأمير (أحمد رفعت) أخوه ، والأميران (عبد الحليم) و (حسين) من أنجال (محمد على) ، ونال في (باريس) حظا من العلـــوم الهندسية والرياضية والطبيعية ، وأتقن اللغة الفرنسية كتابة وكلاما ، وبهرته (بـــاريس) ومـــا فـــيها مـــن جمال وروعة ، وغواية وفتنة ، ومن هنا نشأت ميوله الباريســـية ، التي لازمته طول حياته وجعلته بعد أن تولى الحكم يسعى في أن يجعل (القاهرة) باريسا ثانية ، ولو كلفه ذلك أن يمد يده إلى القروض التي ناءت بها البلاد ، وظاهر من مبلغ تعلمه أنه لم ينل من المعارف في (باريس) أ، (فينا) حظاً كبيراً ، بـــل اقتصر على مبادئ من العلوم ، ولم يستفد من مكثه (بباريس) إلا نصيباً قليلا مـــن العلـــوم الهندسية والحربية ، وأتقن اللغة الفرنسية التي كان يتكلمها كأحد أبنائها وكان له في ذكائه بعض العوض عما ينقصه من العلوم .

---

*عـــن كتاب : (عصر إسماعيل .. بقلم / عبد الرحمن الرافعي بك الجزء الأول الطبعة الأولى ١٩٣٢ .. ص ٧٤.٧٥)

عـــاد (إســـماعيل) إلـــى مصـــر في عهد ولاية أبيه (إبراهيم باشا) ، ولما مات (إبـــراهيم) خلفـــه في الحكم (عباس الأول) ، وكان يحقد على عمه ويجفوه ، فلما تولى الحكم شعر (إسماعيل) وأخوته بكراهية (عباس) لهم ، ثم مات(محمد على) واشـــتد الخصـــام بـــين (عـــباس) وبقية الأمراء على تقسيم ميراث جده ، وأرتحل (إسماعيل) وبعض الأمراء إلى (الآستانة) ، وعينه السلطان (عبد المجيد) عضوا بمجلـــس أحكام الدولة العثمانية ، وأنعم علية بالباشوية ... ولم يعد إلى (مصر) الابعد مقتل (عباس) في أثناء حكم (سعيد) ، ولما عاد من الاستانه لقى من عمه (سعيد باشـــا) عطفـــا كبيـــرا ، وعهد أليه برئاسة (مجلس الأحكام) الذي كان أكبر هيئة قضـــائية في البلاد ، وأوفده سنة ١٨٥٥ في مهمة سياسية لدى الإمبراطور (نابليون الثالث) ، تتعلق بسعي (سعيد) لدى الدول في توسيع نطاق استقلال (مصر) ، بعد اشتراكها مع الحلفاء في (حرب القرم) ، فأدى (إسماعيل) هذه المهمة بما أمتاز به من ذكاء ولباقة ، ووعده (نابليون الثالث) بتأييد مقترحه في مؤتمر الصلح بباريس ، ولكـــنه لـــم يحقـــق وعده ، وكذلك قابل البابا (بيو التاسع) في رحلته موفدا من قبل (سعيد) ، فأكرم الحبر الروماني مثواه ، ثم عاد إلى (مصر) ..

ولم يكن (إسماعيل) يفكر أثناء حكم (سعيد باشا) في أن يؤول إليه العرش من بعده ، إذ كـــان يحجبه عنه أخوه الأكبر الأمير (أحمد رفعت) ، ولكن حادثاً فجائيا ساقته الأقـــدار ســـنة ١٨٥٨ م أزالـــت العقبة القائمة في سبيله ليكون ولياً للعهد ، ذلك أن (سعيد باشا) أقام بالإسكندرية حفلة دعا إليها أمراء البيت العوي ، فلبوا الدعوة ومن بيـــنهم (أحمد رفعت) ، أما (إسماعيل) فقد أعتذر عن أجابتها لوعك في صحته ، وفيما كان الأميران (عبد الحليم) و(أحمد رفعت) عائدين إلى القاهرة بقطار خاص مـــع حاشـــيتهما ، سقطت العربة التي تقلهما في النيل عند (كفر الزيات) بعد غرق أخيه ولي عهد الأريكة المصرية بحكم نظام الوراثة القديم ..

وقـد مرن (إسماعيل) على بعض مناصب الدولة ، وهو بعد ولى للعهد ، فأستخلفه سـعيد مـرتين ، وجعله نائباً عنه (قائمقام) أثناء غيبته عن مصر ، المرة الأولى حيـنما زار (سـوريا) سنة ١٨٥٩ والمرة الثانية حينما ذهب إلى الحجاز) لزيارة (المدينة المنورة) في أوائل سنة ١٨٦١ ..

وكان (سعيد) يبدى لأبن أخيه ارتياحه من الطريقة التي أدى بها أعمال النيابة عنه ، ولمـا عاد للمرة الثانية إلى مصر جعله سرداراً للجيش المصري ، وعهد إليه بإخماد فتـنة بعض القبائل في (السودان) ، فأضطلع بهذه المهمة دون أن يسفك فيها قطرة من الدماء ...

ولما أدركت (سعيد) الوفاة ، خلفه على عرش (مصر) في (١٨ يناير ١٨٦٣) ..

....

....

على هامش القراءة ..

ازدهار الاقتصاد* سنة ١٨٦٤

في هذه السنة وصل الازدهار الاقتصادي في مصر الذي سببه اشتعال حرب التحرير الأمـريكية إلـى ذروتـه .. فقد كانت ولايات أمريكا الشمالية تحت زعامة (إبراهام لـنكولن) قـد أعلـنت الحرب على ولايات الجنوب التي رفضت (تحرير العبيد) وأعلنت رغبتها في الاستقلال .. ولما كانت الجنوب هي منتجة (القطن) .. فقد أمتنع وصـوله لمصانع أوروبا مدة عامين .. فاتجهت مصانع أوربا كلها صوب (مصر) وقطنها .. فارتفعت أسعار القطن المصري ارتفاعاً خيالياً بالنسبة لذلك الوقت .. حتى

---

* موسوعة تاريخ مصر ... الأستاذ / أحمد حسين

وصـــلت صادرات مصر في هذه السنة حوالي ١٦,٥ مليون جنية ، وهي لم تزد عام ١٨٦٢ علـــى ٤,٥ مليون جنية . (ص ١٠١١ الموسوعة) وقد كانت زراعة القطن ســنة ١٨٢٠ – (زمـــن محمد على باشا) – حيث عمم زرع نوع ممتاز منه طويل التيله وهو قطن (سي إيلاند) الأمريكي ... ولم تلبث زراعة القطن أن أزدهرت في مصر حتى الآن (من ٩٤٦ الموسوعة)

على هامش القراءة ٠٠

(جريدة الأهرام ٢٥ /٧ /٢٠٠٣ ــ ص٤١ أ ٠ سحر زهران)٠٠

من التراث الفنى النادر الذى تم انجازه فى القرن التاسع عشرثمانى لوحة زيتية سجل عليها الفنان الفرنـــى "ريوكس" مراحل حفر قناة السويس والذى بـــدأفى ١٨٥٩ واستمر ١٠ سنوات حتى الأحتفال بافتتاحها فى ١٨٦٩ وقد استغرق الفنان الفرنسى ٣٠ سنة فى رسم تلك اللوحات التىتعرض داخل متحف قناة السويس بشركة قناة السويس فى باريس

ويصل عدد الوثائق الخاصة بقناة السويس اكثر مـــن أربعة آلاف وثيقة سيتم اهداء بعضها الى جريدة "الأهرام" ومكتبة الأسكندرية ودار الكتب وقد تم اهداء جريدة " الأهرام " نسختين من لوحتى افتتاح قناة السويس وبعد افتتاحها بست سنوات فى عـــام ١٨٧٥ تأسست صحيفة "الأهرام" فكانت الرد التنويرى الثقافى والعقلى على هذا التحدى٠

٢

الخـــــديو ..

و الشيفاليه* (راداميس) ..

ثم جاء (إسماعيل باشا) إلى الحكم خلفا لعمه (سعيد باشا) سنة ١٨٦٣ ، و (إسماعيل) تربي في القصور ، وتربية القصور الناعمة غير تربية(جندي مرتزق) كجده ، فالجندي المرتزق رجل ضاقت به أسباب الرزق ، كما حدث (لمحمد علي) بعـد أن أفلس محل الدخان الذي كان يملكه في بلدة (قولة) فلم يجد عملا يتعيش منه ولم يكن لديه شيئاً يملكه غير شبابه فأنضم إلى الجيش .. أي جيش ، يعمل فيه ، فهو لم يحمل السلاح بنوع من الوطنية أو المبادئ إنما هو عمل الأعمال ...

ولكن (إسماعيل) تربى في القصور فهو أين (إبراهيم) الابن الأكبر(لمحمد على) وقائـد جيوشـه إلى مات تاركا الولد لجده يدلله وينعمه ، وأصبح (إسماعيل) بطبيعة يـبحث عن الترفيه ، والترف ، وأعتقد في نفسه إنه (شيفاليه) أي (فارس) من فرسان العصـور الوسـطى ... وهؤلاء ليسوا فرسان حرب ، بل فرسان استعراضات على الـواحد منهم أن يحب امرأة ذات أهمية خاصة يتفانى في حبها ، ويضحي في سبيلها بالغالي والرخيص ..

وهـذه المـرأة كمـا يقول الكاتب (هارولد نيكلسون) في كتابه (التصرف السليم) (تقضي تقاليد الفروسية أن لا تكون زوجة الرجل ، أو إحدى جواريه الخاضعات له ، فالزوجه لها وضع خاص في رئاسة البيت وإنجاب الخلف الصالح الذي سيرث عرش

---

* عن كتاب : (مذكرات الاميرة (جويدان) .. زوجة الخديو (عباس الثاني) ص ١٤ – ١٧

إعداد : أ . سعد رضوان – كتاب الهلال العدد (٣٥٦) أغسطس ١٩٨٠ ...

(الفــارس) ، والجاريــات وغيــرهن نزوات عابرة تنفعن في ساعات وأوقات اللهو والمرح ... لكن تلك المرأة يجب أن تكون شيئا ممتاز لها اعتبارها ، ووضعها ، وأن تكــون بعــيد المنال على (الفارس) لا يستطيع إخضاعها لسلطانه أو التحكم في مصيرها ، وتكون هي من جانبها قادرة على الصد وعلى المنح حسب هواها .. وعلى فارسها أن يقدم ما عنده من عطايا ، وأن يجثو عند قدميها ، ولا مانع من إنزال الدمع أمامهــا ، فتمســحه له بمنديلها الخالد الذي يعد وقوعه في يده دليلاً على رضاها عنه و استسلامها له .. حتى أن (ياجو) الخائن سرق منديل (ديدمونة) و سلمه لزوجها (عطيل) فقتلها معتقداً خيانتها له في مسرحية (شكسبير الشهيرة) ..

و هكذا بالنسبة لإسماعيل فإن صاحبة المنديل كان لابد أن تكون ذات أهمية خاصة .. و أختار (إسماعيل) (أوجيني) إمبراطورة (فرنسا) .. و لكي يدعو الإمبراطورة لــزيارته فــي (مصــر) صنع حضارة هامة تتلاءم مع أهمية شخصيتها ، و كانت المناسبة التي ستحضر فيها هي (افتتاح قناة السويس) ، و إقامة أو خط سكك حديدة مصــرية مــن (الإســماعيلية) إلــى (القاهرة) ، و إنشاء دار للأوبرا تتفرج فيها الإمبــراطورة و كلف ملحنا إيطاليا مشهور بتلحين أوبرا جديدة خصيصاً لهذا الافتتاح .. هي أوبرا (عايدة) .. التي كتب مادتها التاريخية (مريت بك) المؤرخ و مؤسس المــتحف المصــري .. و الذي لا يزال يوجد شارع باسمه في القاهرة .. و من هذه المادة التاريخية ألف (كامى دي لو كلي) المسرحية ..

عايدة ..

(و تــدور وقائــع أوبرا لعايدة) حول القائد (راداميس) الذي يحب (عايدة) الحبشية التي اختطفت ، و بيعت لتعمل وصيفة لبنت فرعون الأميرة (أمزيس) التي تحــب بــدورها القائد (راداميس) .. وهاجم (الأحباش) مصر بجيش ضخم يقوده الملك (عمو ناصر) ملك الحبش شخصيا .. ووقعت (عايدة) بين نارين ، فهي

أبـــنه الملـــك (عمو ناصر) وتدعو الله أن ينصره على القائد الذي أحبها وأحبته .. ولكـــن (رادامـــيس) ينتصر ، ويأسر أباها ، ويحضره إلي ممفيس) ، وأقيمت حفلة اســتقبال للقائد .. وفي الحفل صاح الناس طالبين قتل الأسرى ، ولكن القائد طلب من (الفرعون) العفو عنهم ، وعفا (الفرعون) عنهم على أن يبقى ملك الأحباش وابنته رهــائن حتـــى لا يعـــاود الأحــباش الحرب ، ووافق (فرعون) الذي أعلن خطبة (راداميس) لأبنته مع تعينه وليا للعهد ..

وذهبت (عايدة) إلى المعبد ، كما ذهب والدها ، وحرضها على معرفة الطريق الــذي سيسلكه الجيش المصري من حبيبها القائد ليقابله الأحباش ، وحضر القائد الذي كـــان يريد أن يهرب مع (عايدة) إلى حيث يتمتعان بحبهما ، فهو لا يريد أن يتزوج ابنه الفرعون الأميرة (أمزيس) التي ظهرت في هذه اللحظة ومعها الكاهن ، ورئيس الحرس ، وأمسكوا بالقائد لخيانته ..

وحضـــر (الفـــرعون) وحكـــم على رداميس) بالدفن حيا ، وأعدت له حجرة تحت الأرض ودفن بها وأغلقت عليه بالأحجار ...

وفي القبر ظهرت (عايدة) التي كانت قد غافلت الكهنة ، ونزلت إلى القبر لتموت مع حبيبها ... وانتهت (الأوبرا) (براداميس) يحتضن حبيبته (عايدة) وسط الظلام)

....

وهكـــذا فـــإن (إســـماعيل باشا) الذي تخيل نفسه (فارسا) من (شيفاليهات) العصــــور الوسطى قد نجح في علاقته بالإمبراطورة (أوجيني) التي ظلت محافظة علـــى العهـــد حتى بعد أن زال عنها وعنه العرش .. فهي تزور أسرته مرة كل عام

لتجتـــر الذكـــريات .. (كما جاء في مذكرات الأميرة جويدان) * .. التي تضيف في نفس الكتاب صـــ٨١ – ٨٢ ـــــ*)

كـــان لإســـماعيل باشا أربع زوجات .. و على عكس المألوف كانت هؤلاء الزوجات صـــديقات لاشـــحناء بيـــنهم و لابغضـــاء ، وقد ألف بينهم حبهن لرجل واحد .. هو إسماعيل ..

و كان (إسماعيل) قوي الشخصية ، شديد العزم ، فأستطاع بذلك أن يجعل من أربع (ضـــرائر) أربـــع صديقات .. بل استطاع أكثر من هذا فضم إليهن صديقة خامسة و هي امرأة تدله (إسماعيل) في حبها ..

كان (إسماعيل) إذا أحب لم يترك لمحب بعده مجالا ، و إذا أهدى أغدق حتى أغرق ، و إذا أراد البـــناء فإنه يهدم حياً بأكمله ليشيد عليه ما يريد ، و يستعمل آلاف الأيدي فـــي البناء يعملون على ضوء الشمس نهاراً و تضيئ لهم المشاعل ليلاً .. و على هذا المنوال قامت (سراي الجزيرة) التي بناها خصيصاً للإمبراطورة (أوجيني) لتكون لها مقاماً أثناء زيارتها لمصر ..

و لو استطاع لأحال مصر كلها إلى روضة غناء تخطر فيها هذه الملكة الجميلة ..

و لمـــا أبـــدت الإمبراطورة رغبتها في الطواف بالقاهرة على ظهر (حمار) رافقها الخديو في هذا الطواف ، و لما رجعا من النزهة كان حريم (إسماعيل) على استعداد لاستقبال الإمبراطورة ، و لم تشعر إحداهن بغيرة أو حسد ..

---

* يقول أ. سعد رضوان ص٢٠ في تقديمه لمذكرات الأميرة : القارئ لمذكرات (جويدان) يلاحظ إنها تجاهلـــت الأحـــداث السياسية .. ربما لأنها حين كتبت مذكراتها خافت من أن تقتحم نفسها في ألاعيب السياسة ...

و كـــان (إســـماعيل) باشـــا يحب حفيده (عباس حلمي) حباً شديداً و يعطف عليه العطــف كله ، و يوجد في قصر القبة دولاب مقفل يحتوي على أسلحة و الهدايا التي يأخـــذها (عـــباس) من جده ... و لما فتح الخديو (عباس) هذا الدولاب و أراني نفائس محتوياته أعطاني (علبة كبريت) ذهبية قال إنها كانت هدية من الإمبراطورة (أوجينـــي) إلى جده .. و لا تزال هذه العلبة أمامي الآن ... و عليها (مونجرام) ذلك الحاكم الكبير الذي كان يعرف معنى الحب ..

الخــــديو ..
و الولع بفرنسا ..

٢

كتب (روبير سوليه) في كتابه : (مصر : ولع فرنسي) صـ١٨٣-١٨٤ـ

كـــان (الخديـــو) إســـماعيل مهتماً بتعليم أبنائه الخاصين مع استثمار هذا التعليم في أغـــراض سياســـية . إذا مـــا كـــان ولي العهد (توفيق) يتابع تعليمه في مصر لدى مدرســـين خصوصـــيين ، إلا أن (حسين) و (حسن) أرسلا إلى أوربا خلال عام ١٨٦٨.. ذهب الأول إلى (باريس) .. حيث يتم تلقى أفضل تعليم .. و لأن إسماعيل يـــريد ملاطفـــة الإمبراطورة .. و ذهب الثاني إلى (لندن) حتى لا يغضب الإنجليز الذين قاموا على أية حال بمنحه نسق المعيشة الذي تعود عليه ..

و تـــم تكليف (نوبار باشا) وزير الخارجية بالإعداد بنفسه لوصول الأميرين إلى أوربـــا .. فقـــد أرسله (الخديو) إلى (باريس) بينما ظل من (القاهرة) يتابع هذا الموضوع خطوة بخطوة ، و يتبادل معه الرسائل التي يحدد فيها أدق التفاصيل .. كان الأمر يتعلق بعملية سياسية إلى حد كبير .. ففيما هو أبعد من اهتمامه برعاية العلاقات الفرنســـية – المصرية .. كان (إسماعيل) يتمنى قدوم الإمبراطورة (أوجيني) إلى مصر لافتتاح قناة السويس .. و طلب من الجنرال (فلوري) مرافق الإمبراطور أن يتفضـــل شخصـــياً بالإشراف على تعليم (حسين) ، و أن يوفر له اكتساب (جميع المميزات العظيمة التي يجب على أمير شباب التحلي بها) .. و بأن (يتيح له الولوج إلى أفضل مجتمع في باريس) ..

و كـــرس (نـــوبار) و (فلوري) جلسات عمل عديدة لوضع شروط و قواعد هذه العملية .. و تقرر أن يسلك (حسين) نفس النظام الذي يتبعه – (الأمير الفرنسي) – لويس نابليون الابن ..

و أعـــرب (نوبار) عن أمنيته بأن يكون (مربي) (حسين) برتبة (كولونيل) أي يكون حاصلاً على نفس رتبة مٌعلم (حسن) في لندن .. لكن (فلوري) شرح له بأن نظام الرتب في (فرنسا) يختلف عنه في إنجلترا : (يمكنك أن تجد في إنجلترا شباباً حاصــــلين علــــى رتبة (كولونيل) ، فهم يترقون هناك بشراء الرتب .. لكن هنا إذا وصل المرء إلى رتبة (كولونيل) فسيكون عجوزاً لم يعد يصلح لشيء .. هذا فضلاً عن (المقدم) في (فرنسا) يتعادل مع (كولونيل) إنجليزي ") ...

و في النهاية أختار (نابليون الثالث) بنفسه (المربي) .. إنه المقدم (كاستكس) عضو مجلس القيادة الذي سرعان ما رقى إلى (ليفتنانت – كولونيل) ..

و كتب (الخديو) في إحدى رسائله إلى وزير خارجيته :

((يجــب أن تتناســـب إقامــــة (حسين) باشا مع مكانته .. يلزم أن يكون لديه فندقاً يتم تأجيره لمدة أربع سنوات أن أمكن ، و يكون لديه (متر دوتيل) (رئيس خدم) و عدد كاف من الخدم ، و ثلاث عربات (فيكتوريا) [عربة مكشوفة] و كوبيه(عربة مقفلة) ، و لانـــدو (عــربة بأربـــع عجلات) ، و سبعة خيول ، من بينهما خيول الركوب و حصان (المربي) .. و مع ذلك لا أريد رفاهيته مفرطة تتماثل مع التبذير))

و بعـــد أن تشاور الوزير مع الجنرال (فلوري) الذي وجد فندقاً خاصاً في شارع (سان جرمان) ، كتب رسالة إلى (الخديو) يخبره بما تم ..

و تـــم وضــــع المنهج الدراسي بعناية : " عدم تقديم تعليم متخصص بمعنى تعليم فنــــي ، بل توفير تعليم عام بحيث يخرج أميراً و رجل دولة .. و من أجل هذا يجب العــــناية بدراسة التاريخ العقلاني بصورة متعمقة .. و يجب دراسة العلوم الطبيعية و الرياضـــيات بحـــيث لا يكون الأمير غريباً عن أي أختراع أو تقدم مادي .. و أخيراً تقـــديم دراســــة مـــتعمقة للأدب الفرنسي مشتملة على ترجمات لاتينية و يونانية حتى

تتوهج لدى الأمير الحمية التي تبعث الحياة في كل شئ سواء كانت رياضيات أو علوم طبيعية

و فــي يــوم ١٨ أكتوبر تم تقديم (حسين) و (حسن) للإمبراطور و الإمبراطورة بقصـــر (ســـان – كلو) .. و كان تقرير (نوبار) للخديو إيجابياً للغاية : " إذا كان الأميـــران قد اغتبطا بالمقابلة ، فإن الإمبراطور و الإمبراطورة وجدا أنهما مهذبان و ممتازان و أعجبا بهما أشد الإعجاب " ..

و أصـــبح (حســـين) (ســـلطان مصــــر فيما بعد) رفيق لعب للأمير الفرنسي ابن الإمبراطور . و في مارس ١٨٦٩ أرسل الوزير برقية ظافرة إلى الخديو بأن الدعوة قد قبلت : ستشارك الإمبراطورة (أوجيني) في احتفالات افتتاح قناة السويس ..

٤

الخديو .. و الافتتـــاح *

كانـــت الاســـتعدادات للاحتفالات في الإسماعيلية و غيرها تفوق الوصف . فقد أرســـل (الخديـــو إسماعيل) خطابات إلى متعهدي الحفلات المشهورين في العالم يسألهم الاستعداد مقدماً لإمداده بالنبيذ و الجرسونات و الأقمشة و الأطباق و الخيم التي ستقام في الإسماعيلية .

و لقـــد شـــهدت مدينة الإسماعيلية الاستعدادات التي تفوق الوصف . فقد روعي نظافـــة الأمـــاكن التـــي سيزورها أو سيشاهدها الزوار بالإضافة على أعداد ما يلزم للمـــآدب التـــي ســـتقام للمدعوين بإحضار الثلج من القاهرة و أعداد أنواع معينة من الأسماك الطازجة و اللحوم بكميات خرافية (قد بدأت تلك الاستعدادات من بداية شهر أكتوبر ١٨٦٩).. أمر (الخديو) في هذا الوقت بإجراء الزينات ، فبدأت الإسماعيلية علـــى الفـــور بإجراء الزينات و إخلاء الشوارع العمومية و ترتيب العساكر اللازمين لحفظ الأمن و النظام ليلاً ونهاراً و صرفت إليهم ملابس من الجوخ لهذه المناسبة ، و اســـتقدمت طلمبة للحريق بعساكرها استعدادا للطوارئ و تم دهان الأدوات و الأسلحة الخاصـــة بالعســـاكر و أضـــيئت الإســـماعيلية بالفوانيس و ارتفعت الأعلام و بدت الإسماعيلية في أبهى زينة .

لقـــد ضـــاقت (الإسماعيلية) بالمدعوين في تلك الأيام و الذين وفدوا إليها من شتى أنحاء العالم في لهفة و شوق لحضور حفل الاحتفال ، و كان من أصعب الأمور على الضـــيوف و السواح الأجانب ، العثور على سرير للنوم بفنادق و منازل المدينة لأنها كانت مشغولة و غاصة بالنازلين بها .

---

*عن كتاب : (الإسماعيلية .. بوابة مصر الشرقية) صـــ ٣٢٢ـــ و ما بعدها

و لكــن من حسن الحظ كان (الخديو) قد فكر في هذه الصعوبات فأمر بإقامة الخيام علــى ضفاف الترعة الحلوة و نصب الأسرة لمبيت الضيوف و الزائرين و انفجرت هذه الأزمة بسهولة تامة ..

و لــم تكــن أزمة المبيت – في الإسماعيلية – هذه راجعه أو تعود إلى عدد الأجانب النازلــين بهــا فقط ، بل تعود في جزء فيها إلى أن (الخديو) قد أوعز إلى مديري الأقاليم بإرسال عدد من الأهالي بنسائهم و أطفالهم وأدواتهم البيئية فانتشروا على طول القــناة فــي منطقة الإسماعيلية من عربان وفلاحين وصعايدة وغيرهم ، انتشروا في الأكواخ والعشش بخيولهم ونوقهم وحميرهم وبذلك تمثلت الأزياء المصرية والسودانية ، لقــد خــيمت الفوالق المصرية وأصطفت على ضفاف القناة حتى مدينة الإسماعيلية لحفظ النظام وزيادة البهجة ..

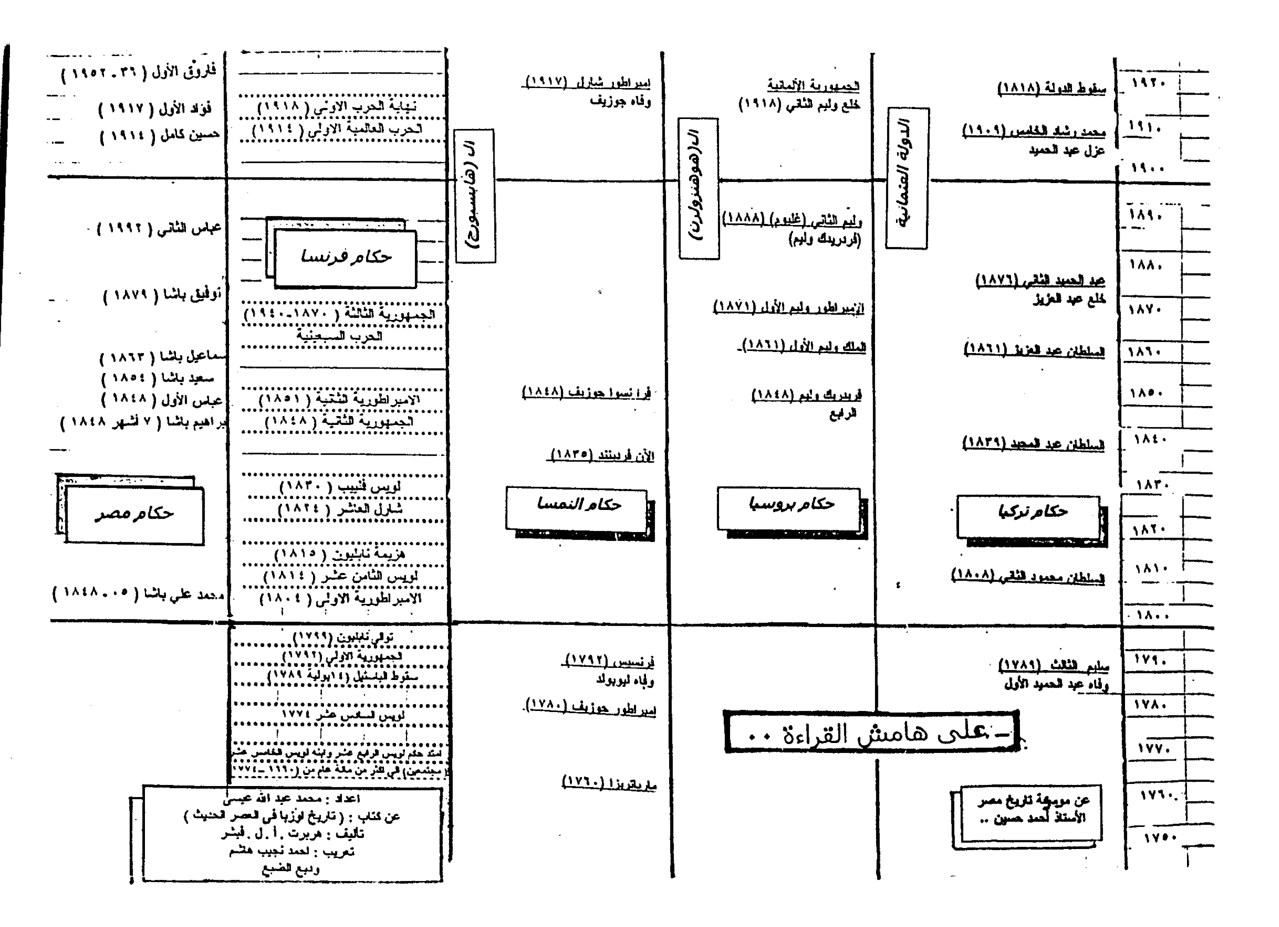
ماجــت المديــنة وأصــبحت غاصة بالزائرين والسواح من جميع الجناس ومن كافة الأشــكال ، ففي كل لحظة كانت تمر بشوارعها المتسعة مواكب الأعراب على هجنهم السريعة وقد حملوا على أكتافهم البنادق وفي خاصرهم الخناجر وتتبعهم قوافل محملة بالأقــوات والخــيام وأدوات المطبخ ، وقد حضر أيضا إلى مدينة الإسماعيلية جميع مشايخ وعمد القرى المصرية القريبة وأقاموا خيامهم على ضفاف بحيرة التمساح ..
[ولعل هذه الظاهرة تفسر أسباب خروج أهالي الإسماعيلية للمبيت في الحدائق خلال احــتفالات (شم النسيم) من كل عام .. وهي الظاهرة التي تنفرد بها الإسماعيلية عن كل المدن المرية .. م . ع] ..

وبلــغ عــدد مــن نزلوا بمدينة الإسماعيلية أثناء حفلات افتتاح القناة يومي ١٧ ، ١٨ نوفمبــر ١٨٦٩ على أقل تقدير ١٠٠,٠٠٠ نفس من الأجانب والمصريين .. وكانت المدينة تموج بزائريها كالبحر الزاخر .

حكام مصر من أسرة ** محمد علي باشا **

م	الحاكم	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	العمر	فترة الحكم	مدة الحكم	اللقب
١	محمد على باشا	١٧٦٩	١٨٤٩	٨٠ سنة	١٨٠٥-١٨٤٨	٤٣ سنه	الوالى
٢	ابراهيم باشا	١٧٤٩	١٨٤٨	٥٩ سنة		٧ اشهر	الوالى
٣	عباس الأول	١٨١٣	١٨٥٤	٤١ سنة	١٨٤٨ - ١٨٥٤	٦ سنوات	الوالى
٤	سعيد باشا	١٨٢٢	١٨٦٣	٤١ سنة	١٨٥٤ - ١٨٦٣	٩ سنوات	الوالى
٥	اسماعيل باشا	١٨٣٠	١٨٩٥	٦٥ سنة	١٨٦٣ - ١٨٧٩	١٦ سنه	الوالى - الخديوي
٦	توفيق	١٨٥٢	١٨٩٢	٤٠سنة	١٨٧٩ - ١٨٩٢	١٣ سنه	الخديوي
٧	عباس الثانى	١٨٧٤	١٩٤٤	٧٠ سنة	١٨٩٢ - ١٩١٤	٢٢ سنه	الخديوي
٨	حسين كامل	١٨٥٣	١٩١٧	٦٤ سنة	١٩١٤ - ١٩١٧	٣ سنوات	السلطان
٩	فؤاد الأول	١٨٦٩	١٩٣٦	٦٧ سنه	١٩١٧ - ١٩٣٦	١٩ سنه	السلطان - الملك
١٠	فاروق	١٩٢٠	١٩٦٥	٤٥ سنة	١٩٣٦ - ١٩٥٢	١٦ سنه	الملك

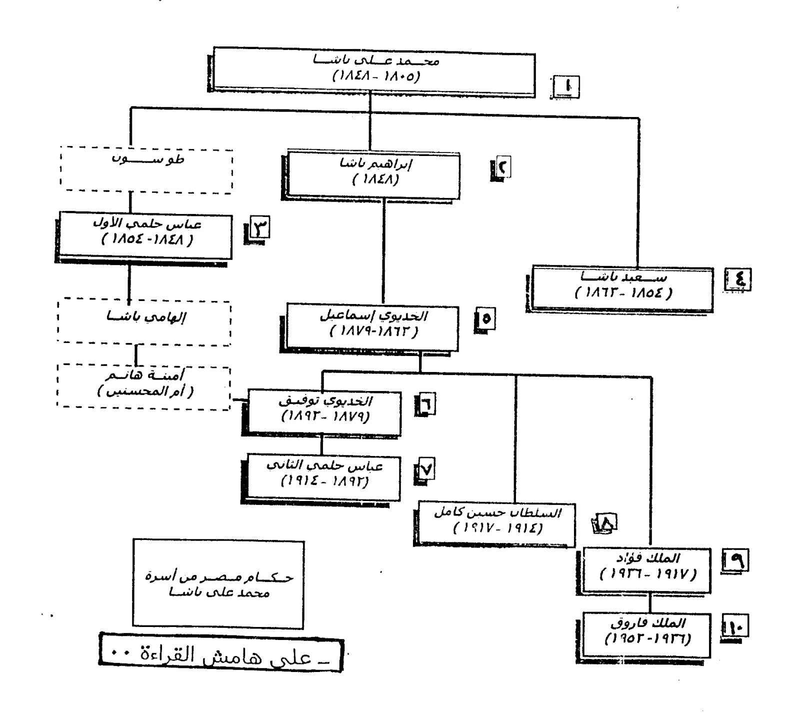
(المصدر ** موسوعة تاريخ مصر ** الأستاذ احمد حسين) *



على هامش القراءة ..
حكام مصر
فاروق الأول (٣٦ - ١٩٥٢)
فؤاد الأول (١٩١٧)
حسين كامل (١٩١٤)
عباس الثاني (١٩٩٢)
توفيق باشا (١٨٧٩)
اسماعيل باشا (١٨٦٣)
سعيد باشا (١٨٥٤)
عباس الأول (١٨٤٨)
ابراهيم باشا (٧ أشهر ١٨٤٨)
محمد علي باشا (١٨٤٨-٠٥)
حكام فرنسا
نهاية الحرب الاولى (١٩١٨)
الحرب العالمية الاولى (١٩١٤)
الجمهورية الثالثة (١٨٧٠-١٩٤٠)
الحرب السبعينية
الامبراطورية الثانية (١٨٥١)
الجمهورية الثانية (١٨٤٨)
لويس فليب (١٨٣٠)
شارل العاشر (١٨٢٤)
هزيمة نابليون (١٨١٥)
لويس الثامن عشر (١٨١٤)
الامبراطورية الاولى (١٨٠٤)
تولي نابليون (١٧٩٩)
الجمهورية الاولى (١٧٩٢)
سقوط الباستيل (١٤يولية ١٧٨٩)
لويس السادس عشر ١٧٧٤
امتد حكم لويس الرابع عشر وابنه لويس الخامس عشر مجتمعين في الفترة من عام ١٦٦١-١٧٧٤
ال (هابسبورج)
حكام النمسا
امبراطور شارل (١٩١٧)
وفاة جوزيف
فرانسوا جوزيف (١٨٤٨)
الأن فردیننند (١٨٣٥)
فرنسيس (١٧٩٢)
وفاة ليوبولد
امبراطور جوزيف (١٧٨٠)
ماريا تريزا (١٧٦٠)
ال(هوهنزولرن)
حكام بروسيا
الجمهورية الألمانية
خلع وليم الثاني (١٩١٨)
وليم الثاني (غليوم) (١٨٨٨)
(فردريك وليم)
الإمبراطور وليم الأول (١٨٧١)
الملك وليم الأول (١٨٦١)
فريدريك وليم (١٨٤٨)
الرابع
الدولة العثمانية
حكام تركيا
سقوط الدولة (١٨١٨)
محمد رشاد الخامس (١٩٠٩)
عزل عبد الحميد
عبد الحميد الثاني (١٨٧٦)
خلع عبد العزيز
السلطان عبد العزيز (١٨٦١)
السلطان عبد المجيد (١٨٣٩)
السلطان محمود الثاني (١٨٠٨)
سليم الثالث (١٧٨٩)
وفاة عبد الحميد الأول
١٩٢٠
١٩١٠
١٩٠٠
١٨٩٠
١٨٨٠
١٨٧٠
١٨٦٠
١٨٥٠
١٨٤٠
١٨٣٠
١٨٢٠
١٨١٠
١٨٠٠
١٧٩٠
١٧٨٠
١٧٧٠
١٧٦٠
١٧٥٠
اعداد : محمد عبد الله عيسى
عن كتاب : (تاريخ اوربا في العصر الحديث)
تاليف : هربرت . أ . ل . فيشر
تعريب : احمد نجيب هاشم
وديع الضبع
عن موسوعة تاريخ مصر
الأستاذ أحمد حسين ..



- وليمة العشاء التى أعدها الخديو أسماعيل لضيوفه ليلة ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ فى قصره بالأسماعيلية ...



— على هامش القراءة ..

ـ على هامش القراءة ..

السنوات

١٩٢٠ – ١٩١٠ – ١٩٠٠ – ١٨٩٠ – ١٨٨٠ – ١٨٧٠ – ١٨٦٠ – ١٨٥٠ – ١٨٤٠ – ١٨٣٠ – ١٨٢٠ – ١٨١٠ – ١٨٠٠ – ١٧٩٠ – ١٧٨٠ – ١٧٧٠ – ١٧٦٠ – ١٧٥٠

حكام انجلترا

- الملك جورج السادس (١٩٣٦-١٩٥٢)
- الملك جورج الخامس (١٩١٠ - ١٩٣٦)
- الملك ادوارد السابع ١٩٠١
- وفاه الملك فكتوريا
- الملكة فيكتوريا ١٨٣٧
- الملك وليم الرابع ١٨٣٠
- الملك جورج الرابع ١٨٢٠
- الملك جورج الثالث ١٧٦٠
- الملك جورج الثاني (١٧٢٧-١٧٦٠)
- الملك جورج الاول (١٧١٤-١٧٢٧)

حكام روسيا

- حرب روسيا واليابان (١٩٠٥)
- اسكندر الثالث (١٨٨١)
- تحرير العبيد (١٨٦١)
- اسكندر الثاني (١٨٥٥)
- حرب القرم بيم روسيا وتركيا (١٨٥٣)
- نيقولا الأول (١٨٢٥)
- صلح اسكندر الاول نابليون (١٨٠٧)
- تونى بول ١٧٩٦
- وفاة كترين ١٧٩٦
- كاترين الثانية مايو ١٧٦٢
- بطرس الثالث يناير ١٧٦٢
- وفاة الامبراطورة اليزابيث
- بطرس الاكبر (١٦٨٩-١٧٢٥)
- القيصر (ايفان الرهيب)

حكام امريكا

- دخول امريكا الحرب العالمية الثانية (١٩١٧
- مقتل لنكولن (١٨٦٥) (١٨٦٣)
- ابراهام لنكولن (١٨٦٠) تحرير العبيد
- (١٨١٢) السلام
- (١٨١٢) الحرب بين انجلترا وامريكا
- ١٧٨٧ جورج واشنطن (اول رئيس)
- ١٧٨٣ صلح فرساوى
- ٤ يوليو ١٧٧٦ وثيقة الاستقلال
- معركة الشاى – جورج الثالث (١٧٧٥)
- (١٧٥٢)
- هزيمة الانجليز من الفرنسيين

حكام فرنسا

- نهاية الحرب الاولى (١٩١٨)
- الحرب العالمية الاولى (١٩١٤)
- الجمهورية الثالثة (١٨٧٠-١٩٤٠)
- الحرب السبعينية
- الامبراطورية الثانية (١٨٥١)
- الجمهورية الثانية (١٨٤٨)
- لويس فليب (١٨٣٠)
- شارل العاشر (١٨٢٤)
- هزيمة نابليون (١٨١٥)
- لويس الثامن عشر (١٨١٤)
- الامبراطورية الاولى (١٨٠٤)
- تولي نابليون (١٧٩٩)
- الجمهورية الاولى (١٧٩٢)
- سقوط الباستيل (١٤يولية ١٧٨٩)
- لويس السادس عشر ١٧٧٤
- امتد حكم لويس الرابع عشر وابنه لويس الخامس عشر (مجتمعين) الى اكثر من مائة عام من (١٦٦٠ – ١٧٧٤

حكام مصر

- فاروق الأول (٣٦ - ١٩٥٢)
- فؤاد الأول (١٩١٧)
- حسين كامل (١٩١٤)
- عباس الثاني (١٩٩٢)
- توفيق باشا (١٨٧٩)
- اسماعيل باشا (١٨٦٣)
- سعيد باشا (١٨٥٤)
- عباس الأول (١٨٤٨)
- ابراهيم باشا (٧ اشهر ١٨٤٨)
- محمد علي باشا (٠٥ - ١٨٤٨)

اعداد : محمد عبد الله عيسى
عن كتاب : (تاريخ اوربا في العصر الحديث)
تأليف : هربرت . أ . ل . فيشر
تعريب : احمد نجيب هاشم
وديع الضبع



S.M. L' IMPÉRATRICE DES FRANÇAIS

الفصل الثالث ..

أوجينى .. عروس الأفتتاح

١ـ أوجينى .. وكارمن ..

٢ ـ أوجينى .. وآل (روتشيلد) ..

٣ ـ أوجينى .. والخديو ..

٤ ـ أوجينى .. عروس الأفتتاح ..

✿ كان في مدينة بورسعيد شارع يحمل أسم (أوجيني) صفية زغلول الآن) ..

✿ وكان في مدينة الإسماعيلية شارع يحمل أسمها (الآن) ، وفي نفس هذا الشارع كانت كنيسة سانت

✿ فـــي عصور الجمال والفروسية والرومانسية الأوربية .. كانت (باريس) مركز الإشـــعاع .. ومنتدى الخلايا الإبداعية والنهضة الفكرية ، تجذب إليها أنظار العالم ، كمـــا تســـتقطب بصـــائر العشـــاق ، ووجدان المحبين والمغامرين الذين يفدون إليها كالفراشات الهائمة تسعى إلى رحيق الزهرات اليافعة وتستهويها الأضواء المبهرة .. في ليال السهر والسمر والعطور النافذة والأنغام الحالمة ..

وكانـــت القصـــور الحاكمـــة مثلا يحتذى به في الترف والتأنق والبذخ التي تتضاءل بجانـــبها ليالي (ألف ليلة) ، فما من حاكم أو نبيل أو فنان أو مفكر شهير ، إلا وقد حـــام حـــول الـــبلاط الملكي من قريب أو بعيد ... يقدم ولاءه ... ويغترف من فيض العواطـــف الدافـــئة .. ليضيف أسطراً أو لمسات في تاريخ العاصمة الزاخرة بأسباب الشاعرية !! وكان طبيعيا أن تحتل فاتنات المجتمع وغانياته مركز الصدارة ... (لقد هـــام كـــل من الخديو إسماعيل والسلطان عبد العزيز ..عشقاً بإمبراطورة (فرنسا) الحسناء (أوجيني) .. م.ع)

[عن كتاب : ملهمات المشاهير / أ. جمال قطب ص ٦ ..]

✿ وعـــودة إلى (وليمة العشاء) – التي أعدها الخديو إسماعيل لضيوفه في قصره بمدينة الإسماعيلية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ – والتركيز على الشخصيات الآتية : تـــرى فـــي صدر المائدة الرئيسية الإمبراطورة (أوجيني) إمبراطورة الفرنسيين .. والى يمينها (فرانسوا جوزيف) إمبراطور (النمسا) وعن يسارها(فردريك ديلهلم) ولى عهد بروسيا ...: وأمامهم الخديو إسماعيل ثم المسيو (فرديناند دلسبس) ..

[عن كتاب عصر إسماعيل / أ. عبد الرحمن الرافعي ص ١٠٤ – الطبقة الأولى ١٩٣٢]

✿ لعــل تلــك الوليمة كانت (العشاء الإمبراطوري الأخير) الذي ضم أهم ضيوف الافتــتاح – نقصــد الشخصــيات السابق ذكرها – فلم تتح لهم الأقدار أن يلتقوا مرة أخــرى فــي مثل هذا الجمع .. وسوف نتتبع في الصفحات القادمة ما كان منهم في أيامهم حتى (زمن سقوط الإمبراطوريات) ..

وبالطــبع لم تكن تلك الشخصيات الخمس تبحث عن (براندللو) – الكاتب المسرحي الإيطالي الكبير (لويجى براندللو) مؤلف مسرحية : ست شخصيات تبحث عن مؤلف – ليؤلف عنها .. فيكفي ما سجلته الأيام عنهم .. تحسب ما لهم .. وما عليهم .. عبرة للأزمان .. فالتاريخ دائماً مفتاح كل حكمة .. (م. ع) .

✿ لــم يخطر على بال (أوجيني) في تلك اللحظة – أثناء مأدبة العشاء – إن الذي يجلس على يسارها .. سيسقط إمبراطوريتها بعد أقل من عشرة أشهر ، بعد أن يهزم زوجها (نابليون الثالث) ، ويعلن ميلاد إمبراطورية جديدة لألمانيا الموحدة ، وتتويج والــده إمبــراطوراً لهــا من قصر فرساي .. بعد هرب الإمبراطورة والإمبراطور الفرنسي – بعد الحرب السبعينية نسبة إلى سنة ١٨٧٠ – إلى إنجلترا . (م .ع) .

✿ لــم يخطر على بال إسماعيل الذي يجلس أمام أوجيني على مأدبة العشاء .. أن الــرجلان اللذان يجلسان أمامه وعلى جانبي الإمبراطورة عن المين وعن اليسار – (ألمانيا والنمسا) – سيأمران (فرنسا) و(إنجلترا) لخلعه من مصر عام ١٨٧٩ . (م . ع) .

✿ في مقدور كل روائي أن يخلق من خياله حوادث أية قصة شاء ، إلا هذه القصة ، هــذه القطعة من الحياة ، التي لم يكن في مقدور غير (القدر) أن يؤلف أحداثها !!

[عن مجلة : كتابي / أ. حلمي مراد – الكتاب السابع سنة ١٩٥٢]

١ أوجيني ..
و كارمن ..

أولاً أوجيني ..

يذكر د. محمد غلاب – في كتابه الروايات الواقعية في القرن التاسع عشر – إنه عندما قامت ثورة (سنة ١٨٣٠ في باريس – فر (شارل العاشر) إلى إنجلترا – كان الأديب الفرنسي [(بروسبير ميريميه*) – (١٨٠٣ – ١٨٣٠)]في رحلته الأولى إلى (أسبانيا) ..

وعـندما صـعد العـرش (لـويس دي أورليان) كملك دستوري وكان من وزرائه (الكونت دي أرجو) ، فعين هذا الأخير كاتبنا مديراً لمكتبه ..

[ونقد كتب (ميريميه) روايته الشهيرة (كارمن) سنة ١٨٤٥..والتي يحتمل أن يكون قد تأثر فيها بشخصية الفتاة (أوجيني) ... وذلك بعد زيارته الثانية لأسبانيا – م .ع]*.

ففي سنة ١٨٤٠ قام (ميريميه) برحلة أخرى إلى أسبانيا ، وإذ ذاك عرف اثنتين من عظـيمات نساء الأسبان ، وهما (الكونتيس دي مونتيجو) وأبنتها (أوجيني) وكانت لاتـزال فـي الرابعة عشرة من حياتها .. [ولدت في غرناطة بأسبانيا سنة ١٨٢٦ ، وكان والدها الكونت (تيبا) أشهر نبلاء أسبانيا في ذلك الحين] ..

وممـا زاد في وثاقة الصلة بينه و بينها أن (أوجيني) كانت تتلقى تربيتها في باريس بديـر (القلـب المقدس) الأرستقراطي النزعة والاتجاه . وبعد هذا التعارف حرمت

---

* والدته هي حفيدة (مدام لبرانس دي بومون) مؤلفة قصة (الجميلة والحيوان) .. والتي أقتبسها للسنما الكاتب الفرنسي (جان ككتو) ..

* ما بين القوسين وتحته خط .. ملاحظات المؤلف ..

(الكونتيس) نعمة الرضى السامي في بلاط (مدريد) ، فلم تعد بعد إتمام تربية أبنتها إلـــى وطـــنها ، وإنما جعلت تقوم برحلات متتابعة في جهات مختلفة من (أوربا) ..
وفي سنة ١٨٤٩ ألقتا عصا الترحال في (باريس) ..
وعلـــى أثـــر ذلك دعيتا – ككل ذوي الحيثيات من الأجانب – إلى مرقص (إيليزيه) وكـــان حينـــئذ مقـــر (لويس نابليون) رئيس الجمهورية الشابة التي أعلنت على إثر (ثورة سنة ١٨٤٨) ، فلم يلبث هذا الأمير أن لمح جمال تلك الفتاة الإسبانية الساحرة ، ومظهـــرها الـــذي تبدو عليه العزة والجلال و عقليتها المستنيرة التي ثقفتها الدراسة العميقة والأسفار المتباينة ..
وفي سنة ١٨٥١ نجح الأمير في قلب نظام الحكم و حول الجمهورية – وهي لا تزال في ربيع حياتها – إلى إمبراطورية .
وفـــي سنة ١٨٥٢ أصبح قابضا على صولجانها بأسم الإمبراطور (نابليون الثالث) ... ولما كان قد أفتتن بجمال (أوجيني دي مونتيجو) ، فقد جعل يدعوها بلا انقطاع إلى حفلات القصر في جميع المناسبات ، غير أنه أيقن باستحالة الظفر إلا عن طريق الزواج ، وهو مشروع عويص قامت في سبيله عقبات شتى .. فأعضاء أسرة نابليون ووزراؤه قـــد عارضـــوا فـــي هـــذا الزواج بكل ما لديهم من قوة .. وسيدات القصر الإمبراطوري وزوجات رجال البلاط ..
كانـــت الغيـــرة من جمال تلك الأسبانية الفاتنة تمزق نياط أفئدتهن إلى حد أنهن كن يدعـــونها علـــنا بالوصولية الدساسة ، وفوق ذلك فإنه كانت هناك سيدة إنجليزية ثرية تدعـــى (مس هورد) متصلة بالإمبراطور منذ أعوام ، وقد أعارته مبالغ ضخمة من المـــال ، ليستعين بها في إنجاح محاولاته المتعددة التي بذلها في سبيل الظفر بالسطان .. و لـــم يكن ذلك من جانبها طبعاً لمبدأ من المبادئ الأفلاطونية ، و إنما كانت تقوم بهذه المساعدات لغاية واحدة ، هي الأمل في أن تكون يوما ما إمبراطورة لفرنسا ...

و لكن شيئاً من ذلك كله لم يحل بين (نابليون الثالث) و بين تنفيذ تصميمه .. فأتجه إلـــى غايته في إصدار هادئ رزين .. و في إحدى الأمسيات الحافلة ، و بعد تحقيق الرمز المتفق عليه – و هو تقديم باقة من البنفسج إلى (أوجيني) – أعلن نبأ الخطبة في القصر بصورة رسمية ..

ثم تم الزواج بعد ذلك في (يناير ١٨٥٣) .. و هكذا أصبحت الفتاه الأسبانية صديقة (ميريميه) تدعى إمبراطورة فرنسا ..

و هكذا قدر لـــ(ميريميه) ذلك الصديق الوفي الأمين للإمبراطورة و والدتها – و الـــذي لـــم يتخل عنهما ، عندما قلب أكثر الناس لهما ظهر المجن – أن يصير في عصر مجدهما من المتصلين أوثق الاتصال بالبلاط الإمبراطوري ... فلم تكد مراسم الزواج تنتهي حتى عين كاتباً عضوا في مجلس الشيوخ ..

و كانـــت الإمبـــراطورة من أشد المعجبين برواية (كارمن) – التي تشمل على أوصـــاف دقـــيقة لطباع الإسبانيين و أخلاقهم و عادتهم و تقاليدهم بصورة واقعية لا نقص فيها و لا مغالاة – فتكثر الحديث عنها أمام رجال القصر و نسائه و في حفلاتها العالمية بما يشوق الناس إلى قراءتها و يدفعهم إلى احترام مؤلفها و إجلاله .

(الأمر الذي أثار حفيظة أدباء (فرنسا) العظماء في ذلك الوقت .. فيكتور هيجو – أميل زولا .. و غيرهم – م.ع) ..

و قـــد ازدادت شـــهرة الـــرواية عندما قام الموسيقار الفرنسي (بيزيه) باقتباسها في مسرحيته الموسيقية الشهيرة (كارمن) ..

ثانياً | كارمن ..

تــتلخص الــرواية في إن (كارمن) فتاة إسبانية .. رشيقة الظل .. خفيفة الروح .. تفيض رقة و ظرفا .. سريعة التحول و التنقل حتى في عواطفها القلبية .. و مشاعرها النفسية .. لا تسمع الأصوات هواها ..

– (كــل صفات (أوجيني) عندما ألتقي بها (ميرميه) في أسبانيا سنة ١٨٤٠ (م.ع) – تحــب هــذه الفتاه ضابطاً شاباً يدعى " دون جوزيه " و لا تزال به حتى تــوقعه فـــي حــبائل غــرامها .. و تجعله ينسى مجده و مستقبله و يتبعها في إحدى الــرحلات الوضـــعية ، لأن هذه الفتاه كانت عضوه في إحدى عصابات التهريب ، و لكن طبيعتها المتنقلة لا تلبث أن تشبع من هذا الحبيب القديم فتمله و تتعلق بشاب أخر ، و هو من محترفي مصارعة الثيران ، فينجرح غرور صاحبنا الضابط .. و تحمله العــزة من ناحية و الغيرة من ناحية ثانية على الانتقام لنفسه منها .. فيحاول إبعادها عــن هــذا الشـــاب فلا تقبل فيهددها بالقتل ، فلا تأبه لتهديده ، بل تسخر منه سخريه لازعة ، و تصرخ في وجهه بصوت عال قائلة : إنها لم تعد تحبه ، و لا علاقة بينها و بيــنه ، و إنهـــا تقــدم قلــبها إلى هذا المحبوب الجديد الذي هو موضوع إعجاب الإســـبانيين جمـــيعاً ، بهذه الانتصارات الباهرة التي يحرزها في الميادين العامة على أقوى الثيران و أكثرها سطوة و إرهاباً ..

فـــلا يكاد هذا الضابط المنهزم الموتور يسمع تلك الكلمات حتى يطير طائر العقل من رأسه .. و يطعنها بخنجره ، طعنة تقضي على حياتها في الحال .. و هكذا تنتهي هذه الرواية على أسوأ ما تنتهي إليه أحداث الحب من مآل و مصير ..

<u>(و كأنمـــا كان (ميرمبيه) – توفى ١٨٧٠ – يتنبأ بمصير العذابات التي ستواجهها (أوجينـــي) – تـــوفت ١٩٢٠ أي بعــد خمسين سنة من موت (ميرميه) – نتيجة طموحها و أحلامها البعيدة .. م.ع) .</u>

ثالثاً على هامش القراءة ..

١ نابليون الثالث ١٨٠٨ – ١٨٧٣

هـــو (لـــويس بونابرت) ، أبوه (لويس بونابرت) (أجلسه أخوه الإمبراطور على عرش هولندا سنة ١٨٠٦ و لكنه تنازل عنه ١٨١٠) .
، أمه (هرتنسى بوهارنيه) (أبنه الإمبراطورة (جوزفين) زوجة نابليون الأولى – من زوجها الأول) ..
و أصـــبح لويس بعد وفاة أبن عمه الدوق (دي ريشتاد) سنة ١٨٣٢ – الملقب أيضاً بملك (روما) – رأس أسرة نابليون ..
و كان شاباً مجداً ، غريب الأطوار ، كثير التفكير ، تملأ الأحلام خياله ، و التدابير و الخطـــط ذهنية .. و يعمر قلبه إيمان و طيد لا يتزعزع بأن العناية الإلهية قد اصطفته لإعادة بيت عمه إلى عرش (فرنسا)

(تاريخ أوربا / هربت فيشر صـــ١٦٥ـــ) ..

٢ نابليون الثاني ١٨١١ – ١٨٣٢

{الملقب بملك (روما) – الدوق (دي ريشتاد) }
حيـــنما تعـــب (فرانســـيس الأول) إمبـــراطور (النمسا) من الحرب مع (نابليون بونابرت) ، قبل بشروط الهدنة معه ، و زوجه أبته في سنة ١٨١٠– (ماري لويز) التي كانت في الثامنة عشر من عمرها – (زواجها سياسياً) لتكون بمثابة رهينة عنده و مـــرت أربـــع ســـنوات حتى ربيع ١٨١٤ ، عندما أعلن انهيار جيوش (نابليون) لينتهي أمره بنفيه إلى (سانت هيلانة) ..

و تمكنت (ماري لويز) من العودة إلى (النمسا) .. و تركت أبنها – أيجل (النسر الصغير) أو (نابليون الثاني) – في قصر أبيها بفينا ..

و لم يمضي وقت طويل حتى تزوجت الجنرال (نوبرج) الذي أختار لها منزلاً جميلاً في (سويسرا) للإقامة فيه .. و قضيا معا ثلاثة و ثلاثين عاما ، أنجبا خلالهما طفلين ..

(ملهمات المشاهير / أ. جمال قطب صـــ١٧١ــ) ..

٣ فيكتور هيجو (١٨٠٢ – ١٨٨٥)

قـــام بإصـــدار جريدة (الوقائع) ، ثم تصدى لمعارضة سياسية (نابليون الثالث) .. فنفى إلى (بلجيكا) .. و هناك أصدر عدة كتب ضد (نابليون) منها :

(نابليون الصغير) – (القصاص) – (تاريخ جريمة) ...

و بعـــد هزيمة (نابليون الثالث) و إعلان الجمهورية الثالثة عاد إلى (فرنسا) ، و أنتخب عضوا بمجلس النواب .. و لأصدر صحيفة (الشعب الحاكم) ..

(أجندة الحركة الروائية / للمؤلف صـــ٢٠ــ)

أوجيني .. * و آل (روتشيلد) ..

٢

أولاً : آل روتشيلد ..

وصل روتشيلد الى (هامبورغ) في أواخر (القرن الخامس عشر) مطروداً من (أسبانيا)، عندما طرد الأسبانيون كل العرب و اليهود المقيمين بها، ثم طرد من (هامبورغ) التي لا يسمح قانون بلدتها بإقامة اليهود فيها ، فوصل (فرنكفورت) بائسا ، معدما ، وأضطر الى امتهان أعمال وضيعة ليجد لقمة العيش ، وأنجب عدة أبناء كانوا يختلفون عن جدهم الأول ، حتى جاء أحد الأحفاد وهو (أمشيل) .. وكان أذكى أبناء الآسرة .. وبدأ يعمل في تجارة المخلفات (الروبابيكيا) ..

وفي عام ١٧٤٣ أنجب أبنه (ماير) الذي كان أول جيل من أسرة روتشيلد جاء والأموال مكدسة في خزائن الآسرة .. وتمكن (ماير) من مضاعفة تجارة أبيه وأصبح متعهدا لقصر الأمير حاكم (فرنكفورت) ، الذي يشتري كل ما يلزم المدينة ... ويبيع كل ما تستغني عنه !

وبعين التاجر ، تمكن (ماير أمشيل) من تكوين فرقة جنود المرتزقة كان يؤجرها للأمراء خلال حروبهم ، وتعهد بتموين أحد جيوش أوربا وكان يقدم لهم الأحذية المصنوعة من الورق المقوى والطعام الفاسد .. كما كان يقدم لهم الأسلحة التي تحدث ضحايا وخسائر في صفوف الجنود .. أكثر مما تحدثة في صفوف الأعداء ..

---

* المصدر : كتاب ملوك المال / أ. إبراهيم العربي عن عرض كتاب (آل روتشيلد .. من الروبابيكيا إلى إنشاء دولة إسرائيل) تأليف : دافيد جرامشون ..

وبدأت تجارته تتسع في أواخر القرن الثامن عشر ، وأقام فرعا لأعماله في (باريس) ، وهــناك التقى بأثرياء اليهود أمثال : أنزج ، وفابير ، ومونتيفتوري – (جد زوجة (بن جورين) ، جاء الى مصر في زمن (محمد على) لشراء أرض سيناء لتصبح وطناً لليهود) – وغيرهم من كبار الرأسماليين وكانت إرهاصات الثورة (الفرنسية) ضد الظلم تجتاح (باريس) والعواصم الأوروبية ...

وأحس أثرياء اليهود بالفرصة المؤاتية لهم لمضاعفة أرباحهم

مــات ماير عام ١٨١٢ ، بعد أن ترك ثروة ضخمة وخمسة أولاد بعث بهم قبل وفاته ليقــيموا فــي أوربــا ، ويتعاونوا سويا في المشروعات الكبرى : (ناثان) في لندن ، (جيمس) في باريس ، (سولومون) في فينا (كارل) في نابولي ، (أمشيل) ليدير الفــرع الرئيسي في فرانكفورت بألمانيا .. وكان أل روتشيلد الخمسة لا يترددون في الاتجــار بــأي شــيء يحقق لهم ربحا ، كتهريب العملة ، الخمور ، الآثار ، إقامة الملاهي الليلية ودور الدعارة !!

ورغم أن (ماير) الأب حقق أرباحه الكثيرة من الوقوف وراء انتصارات (نابليون) ، كــان أحفاده قد ضاعفوا أرباحهم من اندحار وهزائم (نابليون) أيضا ... فقد كان (ولنغتون) القائد الإنجليزي ، في حاجة الى قرض لتمويل معاركة ضد (نابليون) ، و لــم يكــن (جيمس روتشيلد) ، المقيم في (باريس) يستطيع أن يقوم بهذه العملية دون أن تكتشــفة عــيون (نابليون) المنتشرة في (فرنسا) ، فقام (ناثان روتشيلد) المقــيم في (لندن) بإرسال عملة ذهبية الى (سولومون روتشيلد) المقيم في (فينا) ليحولها الى إيطاليا) و(مالطة) ، ويتسلمها (ولنغتون) ، وقد ساهمت هذه القروض الممــنوحة مــن (أل روتشيلد) في هزيمة (نابليون) ... ويذكر التاريخ أنه بفضل انــدحار (نابليون) تمكنت أسرة روتشيلد من كسب صفقة بلغت أرباحها حوالي ٧٥ ملــيون جنــية ، فقد كان لأل روتشيلد عملاء في صفوف قوات (نابليون) ، وعندما

علم ناثان (لندن) بقرب انهزام (نابليون) في معركة (واترلو) ، أتصل بأخوته ، وباعــوا جميعا ما لديهم من أسهم ، فأنخفض السعر في كل بورصات أوربا .. وأمام ذلــك ، قام حملة الأسهم بالاستغناء عما يملكون بأبخس الأسعار ، فأنتهز أل روتشيلد الفرصـــة بعد ذلك اشتروا كل الأسهم المباعة بأسعار زهيدة جداً .. وحققت لهم اللعبة ٧٥ مليون جنية ..

وأكتشــف (نابلـــيون) ، قبل وفاته فقط اللعبة اليهودية التي رفعت به الى السماء ثم ألقت به الى مواطئ الأقدام ، لذلك لم ينس وهو يحتضر في منفاه أن يقول :

" لقد أكتشفت بالفعل ما يثبت ازدرائي لأحقر شعب على وجه الأرض " ...

أنتهـــي (نابلـــيون) ، ارتفعـــت إمبراطورية أل روتشيلد الخمسة الى القمة ، وكان ســـلاحها الأول والأخير هو الرشوة .. جاء عهد الملكية مرة ثانية الى فرنسا ، ووقف رجـــال المال وأل روتشيلد وراء (لويس فيليب) حتى مكنوه من أن يصبح ملكا على فرنســا ، وفـــي عـــام ١٨٣٠ أصـــبح (بنك روتشيلد) أكبر بنوك أوربا ، وكان أل روتشـــيلد حيـــنذاك قـــد قرروا أن يتفرغوا للأعمال المالية الكبيرة ، وتحول الأخوة الخمسة الى أرستقراطيين كبار ..

كـــان ســـولون (فيينا) هو الصديق الشخصي لمترنيخ ، مستشار (النمسا) وأقوى الحكـــام فـــي أوربـــا .. وكارل (نابولى) يستقبله البابا دون موعد سابق .. وناثان (لـــندن) أصـــبح مستشاراً للملكة فيكتوريا وتمكن من رفع صديقة (دزرائيلي) – الـــيهودي الـــذي تحـــول الـــى المسيحية – الى مرتبة رئاسة الحكومة الإنجليزية ... وجـــيمس (بـــاريس) الصديق الصدوق لملك فرنسا ، والذي تمكن من أن يقدم أحد أقـــرَبائه (كازميـــر) الى الملك لويس حتى بلغ مرتبة رئيس وزراء فرنسا .. وهكذا استطاع أل روتشيلد الخمسة تأمين مستقبلهم الزاهر ومضاعفة أرباحهم . من اتصالهم وقـــربهم مـــن طبقة أوربا الحاكمة .. وتمكنوا من احتكار عدة مواد أولية في أوربا ،

ومنها (الزئبق) ، عن طريق إقراض وتأييد (ماري كريستين) الوصية على عرش أسبانيا ...

ثانياً | أوجيني ..

وخـــبت شعلة آل روتشيلد فترة عند قيام ثورة ١٨٤٨ في (فرنسا) ، وانتشارها في (بروسيا) و(النمسا) .. ووقف ناثان (لندن) ، وكارل (نابولي) بجوار أخوتهما فـــي (باريس) ، و(فرانكفورت) و(فيينا) ... حتى مرت المحنة بسلام ، وأضطر الحكام الجدد إلى التعامل مرة ثانة مع بنك روتشيلد ، أقوى وأغنى بنوك أوربا في تلك الفترة ، وجاء (لويس نابليون) ليصبح إمبراطورا على (فرنسا) ، وكان حذرا من التعامل مع آل روتشيلد لأنه يعرف قصة آسرتهم مع عمه (نابليون) فتجنبهم ، وأتجه إلـــى البـــنوك الفرنسية الأخرى ، وفكر جيمس (باريس) بوسيلة للوصول إلى قلب الإمبراطور والاقتراب منه ، وعرف أن (لويس نابليون) مفتون بفتاة أسبانية صغيرة تدعـــى (أوجينـــي) ، وبطرق برع فيها آل روتشيلد وصل جيمس إلى الفتاة ، وقدمها ألـــيه بأنها مدعياً بنها شريكته في بعض المشروعات التجارية الناجحة ، وتمكن بذلك من أن يصل إلى الإمبراطور (لويس نابليون) عندما أصبحت (أوجيني) إمبراطورة فرنسا ..

وقام آل روتشيلد بتمويل الحملة العسكرية التي قادها الإمبراطور في شبة جزيرة القرم ، وتولـــى جيمس رئاسة (بنك فرنسا) المركزي ، وعندما مات في عام ١٨٦٨ ترك أبن في العشرين من عمره هو (أدموند جيمس ماير أمشيل روتشيلد) .. الذي كان له دور خطير في بلادنا العربية ..

ثالثاً | على هامش القراءة ..

١ | البيرماتيه ..

يذكر أعظم مؤرخي الثورة الفرنسية (البرماتييه) في كتاباته بالحرف الواحد : (لـم يكـن الماسونيون هم المتآمرون فقط ضد الحكم المطلق للملك (لويس السادس عشر) .. فرجال المال من اليهود كانوا يعملون على الإطاحة بالسلطة وبالنظام الذي يحـول دون تحقـيق خططهم ، لأن التشريعات السائدة حينذاك لم تكن في صالحهم ، ويـوم أن أسـتولي المتظاهرون على سجن الباستيل في (يوليو ١٧٨٩) ، قال أحد أعضـاء الجمعية الوطنية الجديدة (هل قضى النظام الجديد على كل أرستقراطية في البلاد ماعدا أرستقراطية اليهود أصحاب السلطة الجديدة ؟) ..)

وأضاف ماتييه [أن الثورة الفرنسية لم تكن عفوية أو تلقائية كما يقول البعض ، أنها لم تكن بعيدة عن خطط رجال المال وأصحاب المصارف الكبرى .. لقد جاءت الثورة محققـة لأمـالهم ، وقد ثبت أن صاحب أول شركة تأمين ضد الحريق في (باريس) وهـو يهودي ، ساهم مساهمة فعالة في الثورة ، فقد أقام في منزله مصنعا للسلاح ، وأنه وأولاده ساهموا في إشعال الحرائق ، وأعترف هذا اليهودي بأنه يستطيع أن يثبت عـن طـريق الإيصـالات التـي دفعت لعدد من المتظاهرين مقابل قيامهم بالأعمال التخريبية]..

٢ | الدرع الأحمر ..

" أيهـا الفرنسي .. أد التحية .. فهذا المار هو (روتشيلد) بنى ثروته لحظة أن كنت تضحي بدمائك ... " . (فيكتور هوجو) ..

(روتشيلد) .... وهي كلمة تعني بالألمانية .. الدرع الأحمر ...

أسم لأسرة من أصل يهودي ، أثرت وتؤثر في التاريخ السياسي والاقتصادي المعاصر ، وهـــي من الأسر التي تحكم العالم اليوم سراً ، ومن وراء الستار .. وللأسرة تاريخ عجـيب ، فمـــن الاتجار بالروبابيكيا ، الى التهريب ، الى الاتجار في كل شيء حتى الجيوش والفرق المرتزقة !!

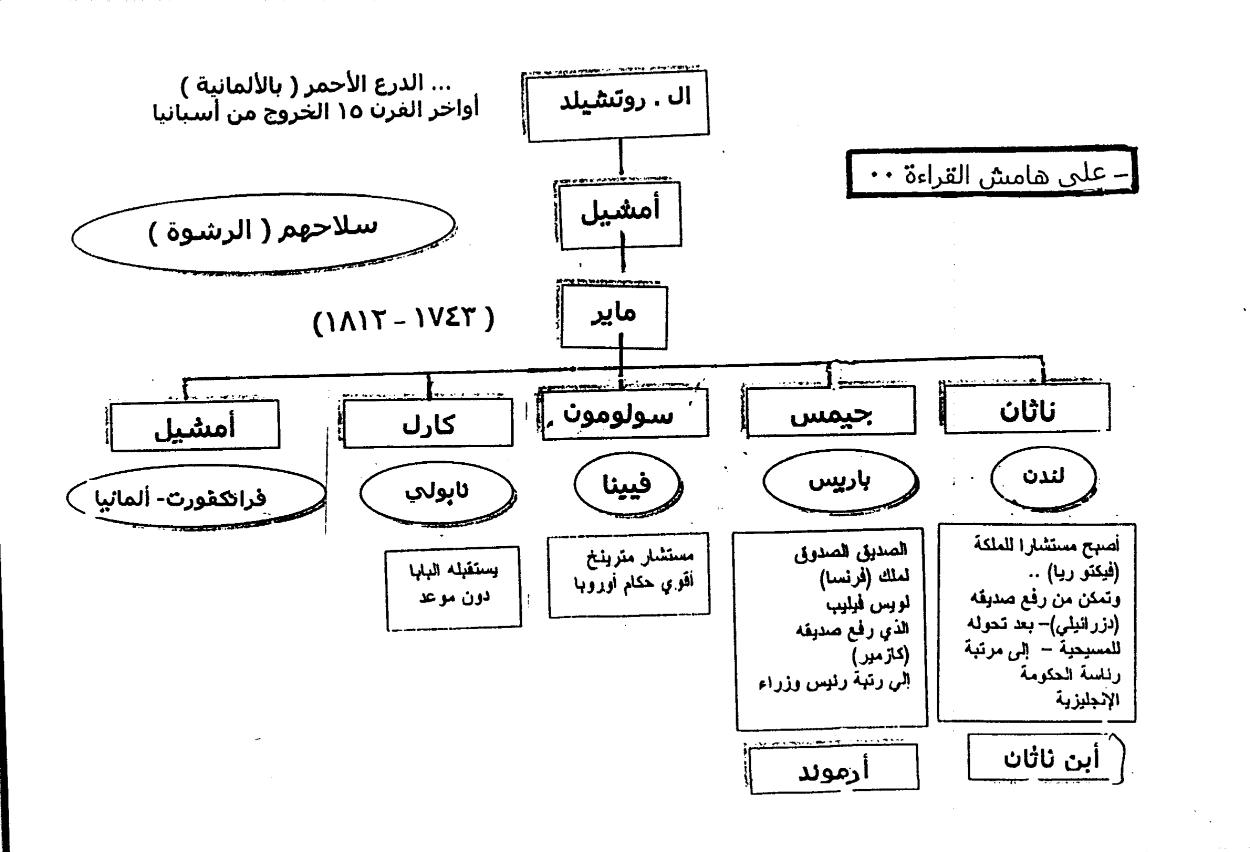
كانـــت تمولها وتمدها بالأحذية المصنوعة من الكرتون والأسلحة الفاسدة .. ووصلت الى حد الأعداد للثورات والأنفاق عليها ، وفي الوقت نفسه تقرض الحكومات لإخماد هذه الثورات ..

أســـرة عجيبة حقا ، تاريخها المعروف لا يزيد عن ٢٥٠ عاما .. بدأت من لا شيء ، ووصلت إمبراطوريتها إلى رقم مخيف يزيد عن ميزانية أكبر دولة في أوربا ..

وقد ساهمت في اختيار عدد من الملوك ورؤساء الوزارات وكانت لها اليد الطولي في إنشـــاء (إسرائيل) والأشراف على ٧٠ بالمائة من مشروعاتها الاقتصادية والعمرانية ....

....

– على هامش القراءة ..



٢ أوجيني .. و الخديو ..

خلال زيارة (الخديو) للمعرض الدولي في فرنسا سنة ١٨٦٧ .. وبعد عرض المومياوات كما سبق .. يقول (روبيرسوليه) في كتابه (مصر : ولع فرنسي) :
وكان من حق أسرة الإمبراطور أيضا مشاهدة فك قماط مومياء ..
وفـــي يوم (٢٨ يونيه ١٨٦٧) عقدت جلسة على شرف الأسرة لفتح مومياء عمرها ٢٧ قـــرنا .. كان الأمير الإمبراطوري شغوفا بصفة خاصة بهذه العملية .. قام بنفسه بفك جزء من الشريط .. كانت أمه الإمبراطورة (أوجيني) – المعروف عنها نسبية الكياســـة– طلبت بلا مواربة من إسماعيل باشا أن يمنحها مجوهرات (أح – حوتب) .. وقع الخديو في حيرة أمام هذه الجرأة الفائتة ، وبما أنه لا يستطيع الرفض الصريح أجابها قائلاً :
" يوجد من هو أقوى مني في (بولاق) .. إنه الرجل الذي يجب أن تلجأي إليه " .. وعـــندئذ بـــدأ نشـــاط مكـــثف حول (مارييت) .. رفض الحارس على تراث مصر صـــراحة ، بالـــرغم من أنهم أغروه بمنحه لقب أمين متحف اللوفر ومخصصات هذا المنصـــب ، ويقـــول (ماسبيرو) { (جاستون ماسبيرو) – عالم مصريات فرنسي وخليفة (مارييت) كمدير لمتحف الآثار ببولاق }:
" ولـــم يخـــف على (مارييت) ولو للحظة واحدة أن رفضه مجاملة الإمبراطورة قد أضعف مركزه كثيرا ، لكنه لم يأسف إطلاقا على ما فعله .. من المؤكد أنه كان يحب أن يرى في اللوفر الصروح التي أحبها أكثر من أبنائه .. لكن (فرنسا) قد منحته الى مصر لكي يحافظ على الآثار القديمة فوق الأرض التي حملتها : كان واجبه هو الدفاع عن هذه الآثار بإخلاص ضد الجميع حتى وإن كانوا من مواطنيه ..".

وبدلاً من المجوهرات منح (إسماعيل) أسرة الإمبراطور (دهبية) فاخرة أحضرها خصيصا من مصر .. كان هذا اليخت الكبير ذو الأشرعة مثلثة الشكل راسيا بالقرب مـــن كوبـــري (ديينـــا) بـــباريس طـــول فتـــرة المعرض ، وكان قد تم قطره من (الإسكندرية) إلى (مارسيليا) ، ثم سلك قنوات وأنهار حتى وصل إلى (باريس) .. وعـــرف الفرنســـيون مـــن الصحف أن الأميرة (ماتيلدا) [أبنه جيروم بونابرت ١٨٢٠ – ١٩٠٤] صـــعدت فـــوق هـــذه (الدهبية) ، وأبحرت في نهر السين حتى (ســـان – كاو) باستخدام المجاذيف وفي حراسة ١٢ نوبياً يرتدون زياً رسمياً فاخراً ..

على هامش القراءة ..

إسراف إسماعيل ..

يقول (أحمد شفيق باشا / مذكراتي في نصف قرن ص ٢٤ *) :

كان (إسماعيل) آيه في الإسراف .. يبذر المال بغير حساب ، ويعشق البذخ الطائل .. فلقد تأنق ما شاء في زينة الملك وزخرفه وأكثر من تشييد القصور وملأها بأسراب الجـــواري الحســـان وأجـــزل العطايا والهبات .. فكان ثالث ثلاثة من ذوي الفخامة والعظمـــة والأبهة والإسراف : وهم (السلطان عبد العزيز) ،والإمبراطور (نابليون الثالث) ، وإسماعيل (خديو مصر) ..

---

* ملاحظـــة : أحمـــد شـــفيق باشـــا / مذكراتي في نصف قرن ص٨٧ (جرينا في الملازم الأربع الماضية على كتابة (خديوي) بالياء سهواً .. والأصح كتابتها من غير ياء) ..

ومـــن غريب الاتفاق أن هؤلاء العظماء الثلاثة عاشوا في عصر واحد تقريبا .. فكان بين سيرهم كثير من وجوه الشبه ... وكانت بينهم رابطة صداقة ومودة .. و قد حكم ثلاثتهم مدداً متقاربة وختم كل عهده في ظروف متشابهة ..

ومما يروى – صورة واضحة لإسراف إسماعيل وبذخه – أمثلة سمعتها فيما بعد من (يارو) باشا الفرنسي .. وكان رئيس الديوان الإفرنجي في عهد (إسماعيل) .. من ذلـــك أن (إســـماعيل) فـــي إحدى زيارته لباريس سمع بجمال قصر لأحد الأغنياء الباريســـيين ، فأظهر لمحدثه رغبه في مشاهدة هذا القصر هياما بالفن الجميل .. فلما علم صاحبه بذلك بادر بدعوة الخديو الى مأدبة أقامها له ، وكانت له فتاة جميلة أعجب بها سموه .. وبعد الفراغ من تناول الطعام سأل (إسماعيل) صاحب القصر عما إذا كـــان يرغب في بيعه وعن الثمن الذي يريده فيه .. ولم يكن الرجل يود التفريط في قصـــره .. ففكـــر فـــي الخـــلاص من هذا المأزق بأن طلب لقصره ثمنا باهظا قدره (خمسة ملايين فرنك) – راجيا أن يحول ذلك دون رغبة الخديو في الشراء – ولكن خـــاب ظـــنه ، فقد قبل الثمن وأمر باستدعاء كاتب العدل (المخصص لكتابة العقود) ليكتب العقد .. فسأل عن أسم البائع وقيده .. ثم سأل عن أسم المشترى ، وعندئذ أشار (إســـماعيل) بإصـــبعه إلى أبنه رب الدار قائلاً : " مدموازيل .... " وبذا عاد لأبنه صاحبه وغرم (إسماعيل) ثمنه الباهظ !!

٤ أوجيني .. عروس الافتتاح ..

** غادرت الإمبراطورة (أوجيني) باريس وبصحبتها حاشية كبيرة من بينهم حوالـــي ثلاثين خادماً وحلاق البلاط .. توقفت في القسطنطينية حيث أستقبلها السلطان (عبد العزيز) ببذخ لا يصدق .. ثم أقلعت الباخرة (إيجل) متجهة نحو الإسكندرية .. وفـــي يوم ٢٣ أكتوبر سنة١٨٦٩ ، ومنذ السابعة صباحاً حدث حشد عام ، أستقل (ديلسبس) والقنصل الفرنسي باخرة صغيرة لاستقبال (الإيجل) لأخذ التعليمات .. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف عرف الناس أن الإمبراطورة سافرت إلى القاهرة فـــي قطـــار خاص بصحبة (الخديو) وأنها لم تتوقف في الإسكندرية .. كانت خيبة الأمـــل ضخمة على الجالية الفرنسية المقيمة بالإسكندرية والتي كانت تنتظر الترحيب بالإمبراطورة ..

ويبدو أن (الخديو) كان مغرما بأوجيني مثله في ذلك مثل السلطان . على أية حال لم يهمل شيئاً يمكن أن يسحرها ..

وأعـــربت (أوجيني) عن رغبتها في حضور عرس مصري . صاح (إسماعيل) " يالهـــا من مصادفة سعيدة يا صاحبة الجلالة .. يقام الليلة بالتحديد عرس في القصر " وسرعان ما أستأذن الإمبراطورة في انصرافه وأستدعى موظف شاب وقال له " أنت ستتزوج هذا المساء ... " على أي حال هذه القصة كانوا يرونها في القاهرة .. وتشير الســـجلات فقط إلي أن الإمبراطورة شهدت حفلة زواج في قصر الملكة الأم يوم ٢٤ أكتوبر ..

وبعد الظهر – يوم ١٦ نوفمبر في بورسعيد – أقيم على رصيف (أوجيني) .. حفل ديني (مسلم – مسيحي) غير مسبوق في الشرق .. وإذا كان علماء الدين الإسلامي الذين أدوا الخدمة الدينية سريعين ومتزنين إلا أن المونسيتور (باوير) مرشد قصور (التويلـــري) كان يرتدي رداء أرجوانيا وطاقية مربعة وألقى موعظة طويلة ومغالية في التشدق ... وبعد أن حيا (إسماعيل) .. منح (أوجيني) ثناءاً جسورا : (روحك الشجاعة تفعل أكبر الأشياء في صمت) ..

[عن كتاب .. مصر : ولع فرنسي / روبر سوليه ص ١٨٥ – ١٩٢] ..

** كـــان (إسماعيل باشا) قد كلف مهندس البلاط الخديوي (يوليوس فرانس) عام ١٩٦٣ .. بتصميم قصر بجزيرة الزمالك .. فشيد له (سراي الجزيرة) ... على غرار (قصر الهمبرا) بغرناطة – (أوجيني) من مواليد غرناطة سنة ١٨٢٦ م. ع – بأســلوب رومانســي جديد .. و انتهى منه عام ١٨٦٨ .. وأستخدم كمقر لإقامة الإمبراطورة (أوجيني) وحاشيتها خلال احتفالات افتتاح قناة السويس ..

وكانـــت تـــرتيبات الخديو (إسماعيل) زيارة الإمبراطورة غير عادية ... وسخر كل الإمكانـــيات لـــيجعل من (سراي الجزيرة) شيئاً أشبه بقصور الأساطير .. وعندما اشتاقت إلى زهور الكرز التي أحبتها في (أسبانيا) ، أمر بغرس شجيرات منها تحت نافذة غرفة نومها بالسراي ..

ومـــن القصـــص الطريفة التي ذاعت في القاهرة آنذاك .. أن هدية وداع (الخديو) لأوجيني .. (كانت مبولة غرفة نوم) من "ذهب الخالص ، تتصدرها ياقوته حمراء .. نقشت حولها بالفرنسية عبارة :

" عيني على الأقل ، ستظل معجبة بك إلى الأبد " ..

مـــثل هذه القصص عن عصر (إسماعيل) الذي وصفه البعض بالعظمة البيزنطية ، كانـــت تتـــردد أصـــداؤها في صالونات القاهرة وبين أشجار الليلك بنادي الجزيرة .. ويـــذهب الـــبعض إلـــى أن البـــروتوكول الخـــاص بزيارة (أوجيني) لم يسمح بأن يصـــطحبها (الأميـــر الشـــرقي) إلـــى فراشه .. بالإضافة إلى عيون الأميرات و " القلفاوات " والمحظيات حريم (الخديو) التي كانت ترصد تحركاتها ... جعلت حاشية الإمبـــراطورة من الخدم الإنجليز والألمان ... يتبعون إجراءات مشددة للتأكد من أن طعامها الخاص لم يسمم بيد أميرة أو محظية غيورة ..

[سراي الجزيرة ... أ . عرفة عبده علي .. جريدة أخبار الأدب ١٩٩٦/٨/١٨].

* * أهـــدى (الخديو) إسماعيل الإمبراطورة . سريرا مكسوا بطبقة سميكة من الـــذهب الخالص ، رصعت أعمدته بالياقوت والزمرد والفيروز تذكارا لزيارتها وادي النيل أثناء الاحتفال بافتتاح قناة السويس ..

[عن كتاب (الملكة فريدة – ثائرة على عرش فاروق) / أ. سمير فراج]

* * وفـــي ١٧ نوفمبـــر ١٨٦٩ م وفـــي الساعة الثامنة صباحاً تحرك موكب الملوك وفي مقدمته اليخت (النسر) وعليه الإمبراطورة (أوجيني) وبمعيتها المسيو (فـــردينان دي لســـبس) .. وفي الساعة الثامنة والنصف كان اليخت قد جتاز ميناء بورســـعيد وأصبح أمام مدخل القناة ، حيث أقيمت أقواس النصر وبوابات للزينة على شـــكل أهرامات شاهقة الارتفاع .. وبعد ساعة وربع وصل إلى رأس العش على بعد (١٤ كـــم) جنوبـــي بورســـعيد .. وفي الساعة الثانية عشر ونصف كان يمر أمام القنطـــرة فكأنـــه قطـــع ٤٤ كيلو مترا في أربع ساعات ، وبالرغم من عرضه البالغ ١٨ مترا وطوله البالغ ٩٩ مترا .. فقد كان يسير في القناة بكل راحة ودقة ونجاح ..

ولقد قامت الباخرة لطيف بتحية اليخت الإمبراطوري عند النظرة بإطلاقها مدافعيا ، ورأت الإمبراطورة (أوجيني) عند القنطرة أن العمال أقاموا على ضفاف القناة من الجهتـين زينـة رائعـة الجمـال ، بديعـة بأوراق الشجر .. كتبت بها جملاً : تحيا الإمبراطورة وكانت الزينات الخضراء ممتدة بطول شواطئ القناة ..

وتـلا الـيخت (النسـر) مباشـرة ، يخت إمبراطور (النمسا) الخاص (فرانسوا جوزيـف) وقـد ركب بمعيته المسيو (فوزان بك) مهندس الشركة المقيم ، وتبعتهما باخرتان .. ركبت حاشية (فرانسوا جوزيف) الأولى ، وركب سفير (النمسا) لدى الـباب العالـي البارون (بروكش) في الثانية .. وجاء بعدهما ولي عهد (بروسيا) على يخته (هيستا) وقد ركب معه المسيو (لاروش) مدير أعمال قسم بورسعيد ... ثـم ولي عهد هولندا والأميرة قرينته ومعهما المسيو (روسينرز) قنصل هولندا العام ونائـب رئـيس شـركة القـناة والمسـيو (جوبا) مدير أعمال قسم الجسر بمدينة الإسماعيلية ..

وعلى الباخرة (الشيشة) كان يركب اللورد (اليوت) سفير إنجلترا لدى الباب العالي ، ومعـه الليدى (اليوت) وعلى الباخرة (فلاديمير) كان يركب الجنرال (أجناتيف) ومعه السيدة زوجته وهو سفير (بروسيا) لدى الباب العالي ..

وبعد هؤلاء كان يأتي صف طويل من المراكب التجارية بين الواحدة والأخرى مسافة كافية لمنع التصادم ..

وفي منتف الساعة الخامسة بعد الظهر بدأ دخان أسود فوق القناة ولكن من جهة الجـنوب لا من جهة بورسعيد ، فعجب الناس لذلك وكثر التساؤل وسرعان ما تبين لهـم أن هـذا الدخان صادر من ثلاث بواخر مصرية قامت من السويس إلى بحيرة التمسـاح لاسـتطلاع الطريق بين الإسماعيلية والسويس ، وفي نفس هذا الوقت ظهر الـيخت (النسـر) في القناة بين مُرتفعات الجسر ، وكان يتقدم بسكون ووقار ، وإذا

بالهــتافات كالــرعد العاصــف ، تــبعث من شواطئ القناة مرددة أسم الإمبراطورة (أوجينـــي) والمسيو (دي لسبس) وفي حركة آلية قدمت الإمبراطورة إلى الشعب المــتحمس المســيو (دي لســبس) وأشارت إشارة يفهم منها إنه هو الجدير بالهتاف والثناء ..

وبعــد نصــف ساعة ألقى اليخت مراسيه على أرصفة بحيرة التمساح وتلقى تحيات البواخر المصرية الثلاث بألسنة النيران والمدافع ، كما كانت المدفعية المصرية تؤدي تحيتها من ضفاف القناة وكانت نغمات الموسيقى تختلط بهتافات الأهلي لتحية الضيوف .. وبعــد أن ألقى (النسر) مراسيه صعد (الخديو) لتحية (الإمبراطورة) وعانق المســيو (دي لســبس) متحمساً لنجاح مشروعه فقد كان فيه ذكر (إسماعيل) وتلا ذلــك نفس التحية ونفس التكريم ليخت إمبراطور النمسا ويخوت الأمراء عند دخولها بحيرة التمساح ..

وفي المساء أنيرت مدينة الإسماعيلية بأرصفتها وشوارعها وميادينها وأنيرت الذهبيات التي كانت راسية بالترعة الحلوة وعليها عائلات الباشوات والأعيان المصريين الذين حضروا من القاهرة وغيرها لحضور هذه الاحتفالات وتلألأت أنوار السراي الخديوية ..

وقــد أمــر (الخديــو) إســماعيل بإعداد وتجهيز ديوان محافظة القنال لأجل إقامة الإمبــراطورة أو (أوجيني) إمبراطورة فرنسا أثناء الاحتفالات وأشرف بنفسه على تأثيث وفرش الديوان المذكور بأفخر الأثاث وكذلك عمل على استئجار قصور الأغنياء لكي يقيم بها ضيوفه في تلك الاحتفالات ..

(عــن كتاب : (الإسماعيلية .. بوابة مصر الشرقية) .. إعداد لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطني الديموقراطي بالإسماعيلية .. ص ٣٢٥ وما بعدها ..)

على هامش القراءة:

مهرجانات مصر في سبعين عاماً (بمناسبة مهرجان الزفاف الملكي) ..

صدر هذا المقال بمجلة (المصور) الصادرة في ٢٠ يناير ١٩٨٣ ..

لسعادة الحاج أحمد شفيق باشا [عاصر سعادة الحاج أحمد شفيق باشا ساكن الجنان الخديو إسماعيل باشا ، وشهد بنفسه مهرجان قناة السويس ومهرجان أفراح الأنجال . وهو في هذا المقال يصف كلا من هذين المهرجانين ويقارن بينهما وبين مهرجان زفاف جلالة الملك فاروق الأول] ..

(مهرجان قناة السويس) ..

شاهدت مصر منذ ٧٠ عاما تقريبا مهرجانين عظيمين في عهد إسماعيل العظيم ، ويكاد التاريخ الحديث لا يعرف لهما نظيراً في العالم كله ، في العظمة والفخامة ومظاهر البذخ والترف .. ولا عجب فقد أشتهر إسماعيل بأنه إذا بدأ شيئاً أكمله على أحسن وجه ، غير ناظر في لك إلي التكاليف المادية ، مهما عظمت .. وأول هذين المهرجانين العظيمين . هو مهرجان قناة السويس في نوفمبر سنة ١٨٦٩ ..

ذلك أنه لما تم العمل في القناة ، أنفق الخديو إسماعيل مع دلسبس ، على أن يكون مهرجان فتح القناة في هذا اليوم .. ثم أبحر سموه مع حاشية كبيرة إلى أوربا في ١٧ مايو سنة ١٨٦٩ لدعوة الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات .. ورجال السياسة والعلم والأدب والفن على اختلاف مراكزهم ، لمشاهدة هذا المهرجان .. على أن يكونوا في ضيافته منذ خروجهم من أوطانهم ..

وقـد لبـى الدعوة ستة آلاف مدعو ، وأستحضر إسماعيل لخدمتهم خمسمائة طاه ، وألف خادم ، فضلا عن خدمة المصريين .

وبدأ المدعوون بالحضور إلى بور سعيد منذ يوم ١٥ أكتوبر . وكان أولهم ولى عهد هولندا ثم إمبراطور النمسا فولى عهد بروسية . ثم وصلت الإمبراطورة (أوجيني) الفرنسـية فـي ١٦ مـنه ، والجميع على يخوتهم مصحوبين بأساطيلهم ، فأستقبلهم إسماعيل وحاشيته والأمراء بالحفاوة و إطلاق المدافع وعزف الموسيقات .

وقـد نـاب عـن ملكة إنجلترا وقيصر الروسيا سفيراهما بالاستانه ، ومما يذكر أن السلطان طلب من سفير إنجلترا ذكر أسمه عند فتح القناة ..

وفـي يـوم ١٦ نوفمبـر أكتمل عقد المدعوين جميعا ، وأنتشر المصريون من جنود وأهالي على ضفتي القناة بخيامهم وأدواتهم لمشاهدة هذا المهرجان العظيم .

وفي الساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم رأست الإمبراطورة (أوجيني) الحفلة الدينية وحضرها جميع المدعوين ، بينما كانت الموسيقى تصدح والمدافع تدوي إيذاناً بإبتداء الحفلة .

وقد قام الشيخ (السقا) ودعا الله بأن يختص هذا العمل العظيم بمثابته ورعايته ، وأن يهيـئ له نجاحاً دائما .. وقام بعده رئيس القساوسة ، وتلا الصلاة وبارك هذا العظيم ثـم ألقـى المونسينيور (بلرو) ندوب البابا كلمة بليغة شكر فيها جهود إسماعيل في اتصال القارتين ..

وفـي السـماء مـدت المـوائد للمدعوين ، وسطعت الأنوار في كل جانب وعزفت الموسيقى الى ساعة متأخرة من الليل .

....
....

وفـي يوم ١٧ المحدد لفتح القناة ، تقدم يخت الإمبراطورة ، وكان بجوارها (دي لسـبس) ، وشـق القناة ووراءه باقي اليخوت والأساطيل ، وبواخر نقل سائر

المدعوين ، بينما الرجال على الشاطئ يهتفون والنساء يزغردون ، حتى وصلوا إلى الإسماعيلية .. وفيها نزل إسماعيل وزار ضيوفه ، ثم أمضى الليلة في قصره الجميل الفسيح الأرجاء.

وفي صباح يوم ١٨ امتطت الإمبراطورة جواداً ، وردت الزيارة لإسماعيل وعادت على ظهر هجين حتى صلت إلى منزل (دي لسبس) لزيارته ، وبعدها رد بقية الضيوف الزيارة لضيفهم العظيم ..

وبعد الظهر أعدت عربات نزهة الجميع ، بينما كان العربان يقومون بألعاب الفروسية الجميلة ..

وفي المساء أقيمت سهرة راقصة . أعقبها مقصف حوى أطيب المأكولات وأفخر المشروبات في كرم منقطع النظير ..

وفي صباح ١٩ تقدم يخت الإمبراطورة تليه اليخوت الأخرى والأساطيل الى مدينة السويس فوصلوا إليها صباح يوم ٢٠ منه بعد أن أمضوا الليلة على سطح البحيرات المرة يشاهدون الألعاب النارية .. ولما وصلوا إلى البحر الأحمر دوت المدافع إيذانا بانتهاء المهرجان ..

وقد أبرقت (أوجيني) للإمبراطور بأنها لم تر لهذه الحفلات في حياتها نظيراً في العظمة والفخامة ..

وقد بلغ من كرم إسماعيل عند انتهاء المهرجان أنه رجا من يريد الإقامة من ضيوفه في مصر أن ينزل في ضيافته إلى آي وقت شاء ..

....

....

قضت الإمبراطورة يومين في السويس وضواحيها لزيارة أثارها ثم رجعت إلى بور سعيد ومنا أبحرت إلى الإسكندرية لمشاهدة ما فيها ثم أرادت التجول في

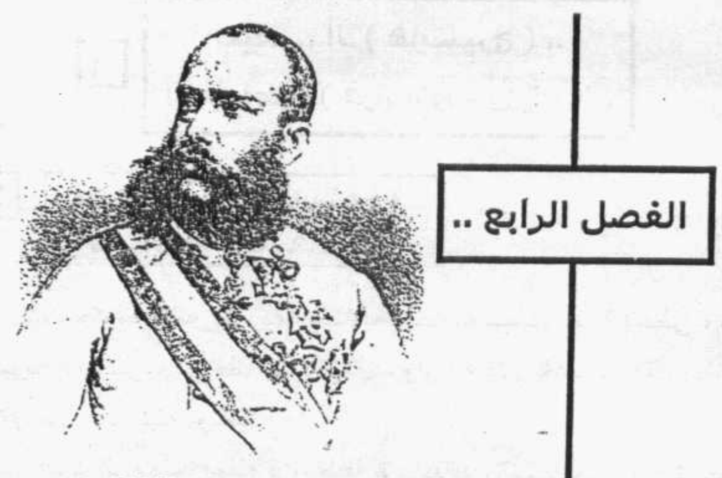
بعــض مــدن الوجه البحري . فمرت بالبحر الصغير ورأت فتاة من الفلاحات تملأ بالماء جرتها التي تحملها على رأسها ، وكانت ذات قد معتدل ووجه وسيم ، وخصر نحــيل ، لها نهدان قد برزا واستدارا حتى أطلا من (ملسها) فأعجبت الإمبراطورة بها ، و اشترت الملس بثمن أرضاها ..

وقد رجعت إلى القاهرة حيث أنشأ لها إسماعيل قصر الجزيرة العظيم على مثال الحمراء في الأندلس.وزينة بالأثاثات النادرة ذات القيمة الكبر فدهشت مما شاهدته في هــذا القصــر . وكــذلك أنشــأ دار الأوبرا وأعد لافتتاحها رواية عايدة التي ألفها (ماريــيت) باشــا ولحــنها الموســيقار الأشــهر (فردى) الإيطالي . وأفتتحها الإمبــراطورة ومــن معهــا مــن الأمراء ، والمدعون فاهتموا كثرا بها وبالممثلين وبملابسهم وهنأو إسماعيل بنجاح هذه الرواية ..

ومهد طريق الأهرام لزيارة (أوجيني) لها ، وقيل أنها لما تناولت مع إسماعيل طعام الغــذاء في كشك الأهرام رغبت في تدخين الحشيش لمعرفة تأثيره .. وكذلك رغبت في مشاهدة حفلة زواج ، فزف إسماعيل اثنتين من أجمل جواريه الى إبراهيم توفيق بك (باشا محافظ القنال) ونشأت بك (باشا أحد المديرين) ، فشاهدت فرحيهما في داخل الحرم وفي الخارج فسرت كثيراً ..

وقــد وضع الخديو تحت أمرها اليخت (..........) للتجول به في أرض الصعيد ، فشــاهدت مــا فيه من عجائب الآثار ، وعند رجوعها من هذه السياحة أظهرت كل الســرور مما شاهدته من الآثار ، ومن الحفاوة التي لقيتها من الحكام ومن الأهالي ، وكــذلك زارت خان الخليلي و اشترت منه ما أعجبها .ولما عزمت على الرجوع إلى بلادها رافقها (إسماعيل) وكبار رجال حاشيته إلى يختها بالإسكندرية .

(مجلة المصور ٢٠ يناير ١٩٣٨) ..

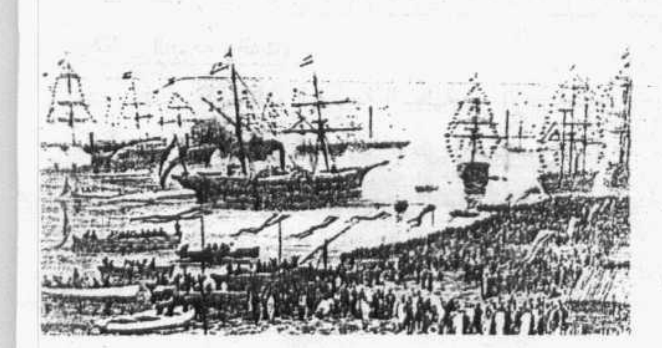


S.M. FRANÇOIS JOSEPH
Empereur d'Autriche

الفصل الرابع ..

ضيف .. آل (هايسبرج)

١ـ الأمبراطور (فرانسوا جوزيف) ..
٢ـ امبراطور النمسا .. والأفتتاح ..



١ ضيف .. آل (هايسبرج) .. الإمبراطور (فرانسوا جوزيف) ..

أولا من أحوال .. آل (هايسبرج) .. (قبل افتتاح القناة ١٨٦٩) ..

كانت حكومة الإمبراطورية النمساوية ، حكومة مستبدة بطيئة الخطى ، تنزع إلى السـرية ، ويضرب في إطنابها الاختلال ، ولو أنه كان يخفف من ثقل وطأتها ألوان من الإهمال والاستهتار والعبث .

ولقـد لفـت لفا محكما بطبقة فوق طبقة من التقاليد والشكليات ، وحجبت حجبا كاملا فعـالا عن روح التقدم والتحسين ، حتى إن ضروب الاستثناءات والشذوذ والمساوئ التـي أستؤصلت منذ أمد طويل في الدول الغربية ما برح يستفحل شأنها فيها استفحالا عظيما ..

فقد كان نبلاء النمسا والمجر يتمتعون بكل شكل من أشكال الامتيازات الهدامة : فكانـوا معفـون من الخدمة العسكرية ، مستثنين من الضرائب ، بعيدين عن متناول المحـاكم وسـلطتها ، عل حين كانت طبقة من الفلاحين ترسف في أصفاد العصور الوسيطة .. وكان الأباطرة يتعاقبون على عرشها الواحد تلو الآخر ..

وقد خلف (الآن فردينند) (١٨٣٥ – ١٨٤٨) الأبله السفيه – خلفه – (فرنسيس) القليل النباهة والذكاء ..

... وقـد كان نظام الحكومة المحلية في الإمبراطورية – تركت – من غير حل .. إذ كان مبدأ السياسة (النمساوية) في (عهد مترنخ) هو أن يدع الفتنة نائمة .. وكانت تحكـم الإمبراطورية شرطة هي أقسى أترابها في أوربا ، وأفظعها وحشية ، وأشدها

قمعـــا : ترســـل عيونها الى كل ركن ، وتتجسس على كل أمر ، محاولة إبعاد سموم الفكر الغربي المخافل الخداع على أهل (فينا) الموفوري الهمة والنشاط ..

.. و أنقضت ثورة فبراير التي أندلعت في باريس – ضد لويس فيليب الذي هرب إلى إنجلترا – انقضاض الصاعقة على حكومة مثل حكومة (النمسا) ، تهاجم وتنهش من كـــل ناحـــية ، وأدى شـــغب لم يدم سوى يوم واحد (١٣ مايو سنة ١٨٤٨) تزعمه أســـاتذة الجامعة وطلبتها ، ومن ورائهم سكان (فينا) المدنيون ، يؤيدونهم ، ويشدون أزرهـــم .. أدى هـــذا الشـــغب إلى انتهاء حكم (مترنخ) ووقوع (فينا) في قبضة الدهماء ، وأناخت الفوضى والخلل بالحكومة الإمبراطورية المركزية ردحاً من الزمن

.. وأخـــذ الرجال – اللذين تزعموا ثورة سنة ١٨٤٨ سواء في البرلمان النمساوي أو البـــرلمان الهنغاري – يعالجون مشكلة الفلاحين في إقدام وجسارة ، فألغوا صنوف الســـخرة التـــي كانـــت ترهق كواهل الفلاحين ، وألغوا الفوارق القانونية بين النبلاء والعامية ..

وأسدوا في بحر شهر واحد من الخير الدائم لسكان الريف في الإمبراطورية النمساوية ،أكثر مما نالوه منذ أيام الإمبراطورة (ماريا تريزا) (١٧٤٠ – ١٧٨٠) ..

... وخلـــص الجـــيش الإمبراطورية من خطر الانقسام وتفرق الكلمة وظهر الآن في صـــفوفه سياســـي خطير فذ ، تمكن بتفكيره الجسور ، وذهنه المبتكر ، من أن يقطف ثمار النصر ، ويؤمن سلامة كيان الدولة .. وهذا السياسي هو الكونت (فلكس شفارتز نبـــرج) الـــذي ظهـــر على مسرح السياسة النمساوية سنة ١٨٤٩ .. (وتوفي سنة ١٨٥٢) .. ففي خلال هذه الأعوام الثلاثة تمكن هذا الأرستقراطي الطموح : الصلف مـــن إرغام الإمبراطور (فرديناند) الأبله على التنازل عن العرش ... وأجلس مكانه ابن أخيه (فرنسيس جوزيف) ...

.....

.....

وباختفاء (مترنخ) ، وبروز (بسمارك) في الميدان السياسي ، تطورت المنافسة بين (النمسا) و(بروسيا) .. وهي المنافسة التي ترجع إلى عام ١٧٤٠ حينما سلب فردرك الثاني (سيليزيا) من (مارياتريزا) والتي تطورت بخطى سريعة مدبرة الى نهاية عنيفة في ساحة (سادوا) سنة ١٨٦٦ حيث هزم (البروسيون) (النمساويين) ، ودحر العالم الجديد العالم القديم .. وبدفعة هائلة فك (الريخ الألماني) قيوده من سيطرة (النمسا) التي لم تتمكن مطرقة (نابليون) الجبارة من تحطيمها ... وتمكن (البروسيون) بأسلحتهم الدقيقة الفتاكة من إقصاء روح(مترنخ) المسيطرة بعيدا عن نطاق الريخ الألماني ، وذلك بطريقة أفعل وأدوم مما أسفرت عنه ثورة (فينا ١٨٤٨) ..

.. بيد أن نظام (مترنخ) ، جلب لأوربا سلاما دام أربعين عاما ، فكسب لهذا الزعيم السياسي أكاليل المجد والفخار من جيل مازالت ويلات الحرب وخطوبها عالقة في ذهنه . وكان (مترنخ) متصفا بمناقب كثيرة تجعله زعيما سياسياً عظيماً : كان ذا شخصية جذابة لامعة ، هادئ الطبع ، رابط الجأش ، ذا إطلاع واسع المدى ، وإرادة ثابتة لا تتزعزع ، وحماس شديد . ولقد بلغ مقامه ذروة رفيعة كمحرر بلاده من قبضة (نابليون) .. وكالمعماري الأول لأوربا الجديدة .. وكانت الثقة التي أولاه اياه (العالم الناطق بالألمانية) تكاد تكون غير محدودة .. وفي مجالس الحكام المستبدين وندواتهم ، كان عقله الأداة الموجهة حتى أن الحقبة بين سنتي (١٨١٥ و ١٨٤٨) لم تدع (بعصر مترنخ) بغير حق ..

ولعل أهم عيوب (مترنخ) أنه لم يستطع أن يشق طريقا وسطاً بين الثورة والاوتقراطية . ولما كانت الثورة كريهة بغيضة الى نفسه ، وجه جهده الى قمع ما يعد روح الحياة الإنسانية ولبها ، إذ جاهد في إزهاق روح الحرية ذاتها ..

... ومـــن جهة أخرى أتخذ نظام (مترنخ) نهجا معارضاً لنزعة فكرية خطيرة الشـــأن نامـــية الأثر .. فقد شيدت الإمبراطورية النمساوية على أساس قمع القومية . وكان فضلها – كما زعم البعض – يقوم على هذه الحقيقة : وهي أنها حزمت معاً في اتحـــاد سياســـي دينـــي ومالي واحد عدداً من الأجناس عداوانها المتبادلة أقوى دعائم الإمبـــراطورية ..ولم يكن هذا الاتحاد سهلا يوما من الأيام . وزارته صعوبة ومشقة روح القومـــية التـــي أطلقـــت (الـــثورة الفرنســـية) عقالها في (أوربا) .. فقد قال الإمبراطور (فرنسيس الثاني) مرة :

" إن دولتي تشبه بيتاً قد نخره السوس ، فلو نزع منه جانب ، لما أمكن لأحد أن يتكهن أي الجوانب الأخرى سوف تنهار منه ؟؟ ''

ولذا عقد (مترنخ) تصميمه على ألا يخاطر بشيء .. فلم يطرأ خلال الفترة التي كان ممســـكا فـــيها بـــزمام الأمور في النمسا أي تغيير جوهري في إيطاليا أو هنغاريا أو بوهيميا ، أو في ممتلكات التاج النمساوي السلافية والألمانية .. كما أنه لم يهمل اتخاذ كـــل حـــيطة ضـــد غمرة التجديد .. فالكاهن الكاثوليكي كون الضمير وشكل العقل ، ورجـــل الشرطة الكاثوليكي وقف متأهباً ليحمي بحسامه ذمار دولة تألفت من زيجات الأمراء ولا تعرف من المبادئ السياسية سوى مبدأ الطاعة والخضوع للعرش .. ولم يكـــن فـــيها برلمان حر ، أو صحافة حرة ، أو جامعة حرة ، أو حتى إدارة حكومية مستنيرة ، يمكن لشعوبها أن تتلقن على يديها أبسط المبادئ الأولية للتربية السياسية .. { عن كتاب : تاريخ أوربا / هـــ . فيشر – مرجع سابق ص ١٨٥ وما بعدها }.

* وكان أعجب العجب جميعا الفتنه في (فينا) – التي حركتها فتنة فبراير التي قـــام بهـــا الباريسيون – عاصمة الإمبراطورية النمساوية .. وبسبب هذا التمرد سافر الأميـــر (ميتـــرنخ) على جناح السرعة إلى (إنجلترا) .. [من الصعب تصوير ما

كـــان عســـي أن يفعله ملوك أوربا وثوارها إذا لم تكن إنجلترا ملجأهم) .. [كتاب : تاريخ العالم الغربي / ل.ج . شيني ص ٣٥٠]

ثانياً	من أخبار .. آل (هابسبرج) .. (بعد افتتاح القناة ١٨٦٩) ..

* القصر ذو الـ ١٤٤١ حجرة ..

وقصر (شونبرون) من أجمل قصور ملوك وأباطرة أوربا ، وقد بدئ في تشييده فـــي عـــام ١٦٩٤ ، بأمر من الإمبراطور (ليوبولد الأول) وانتهي العمل فيه بعد ٩ ســـنوات .. وفي سنة ١٧٠٧ عقد فيه بعد زواج ملك (أسبانيا) (شارل السادس) .. ثـــم ترك وأهمل شأنه حتى جاءت إمبراطورة النمسا العظيمة (ماريا تيريزا) – التي يكـــاد النمســـويون يقدســـون ذكراها ، وهي والدة ملكة فرنسا (ماري أنطوانيت) – فجـــددت القصـــر وأضافت إليه ، حتى بلغ عدد حجراته ١٤٤١ حجرة وقاعة .. ثم اتخذتـــه مقـــرها الدائم طيلة مدة حكمها بعد ذلك (١٧٤٩ – ١٧٨٠) جاعلة له نفس المكانة التي كانت لقصر (فرساي) (بباريس) ...

وحـــين غـــزا (نابلـــيون) النمســـا ، أتخـــذ القصر مقرا لقيادته ، مرتين : في سنة (١٨٠٥) و (١٨٠٩) .. وبعـــد أن نفـــى ودالت دولته .. أنتقل إليه أبنه (النسر الصـــغير) حيث عاش مع أمه الأميرة النمسوية (ماري لويز) إلى أن مات بمرض السل سنة ١٨٣٢ .

....

وفـــي سنة (١٨٣٠) ولد في القصر الأمير (فرانز جوزيف) الذي حكم (النمسا) بعد ذلك نحو سبعين عاما (من ١٨٤٨ – ١٩١٦) وقد مات في القصر ذاته في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٦.

وفـــي ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ – يوم توقيع الهدنة بعد الحرب العالمية الأولى – وقع خليفــته الإمبـــراطور (كـــارل) وثيقة التنازل عن العرش ، في (القاعة الزرقاء) بالقصر ....

فأســدل الســتار بذلك على مجد أسرة (هابسبورج) التي حكمت النمسا نحو ستمائة وخمسين عاما (من ١٢٧٣ إلى ١٩١٨) ...

.....

أما أهم غرف قصر (شونبرون) ، فهي (غرفة مكتب) الإمبراطور (فرانز جوزيف) ، التي عاصرت أخطر الأحداث التي مرت بها (النمسا) خلال ٦٨ عاما ... وفيها كان يدرس شؤون الدولة ويوقع الوثائق والمراسيم .

وهي تتميز بالبساطة التي لا تتناسب بحال مع مكانة الإمبراطور والمجد الذي بلغــته الــبلاد فـــي عهده . بل أن تلك البساطة – الى حد الزهد – التي كانت طابع الإمبـــراطور فـــي كل تصرفاته ، تبدو بصورة صارخة في القاعة التالية وهي غرفة مخدعــه ، حيث نرى فراشا متواضعا ضيقاً ، أشبه بسرير (سفري) من فرط خلوه من أي زخرف أو زينة !! .. على أن الفراش المذكور يروي مأساة جانب من الحياة الخاصة للإمبراطور ..

فبعد ستة أعوام من ارتقائه العرش ، تزوج من الأرشيدوقة (اليزابيث ، من نبيلات (بافاريــا) ... ورغــم أن زواجهما كان (زواج حب) ، ورغم أنهما رزقا أربعة أطفال – في الأعوام الأولى من حياتهما الزوجية – فإن هذه الحياة المشتركة لم تلبث أن أصطدمت بالغيرة الشعواء والوقيعة المستمرة من جانب حماة الزوجة التي راحت تــبذر بذور و الخلاف والشك بين الزوجين السعيدين ، بغير هوادة ، ودون م ملل .. حتـــى أفلحـــت في أن تسمم عيشهما وتلجئ الزوجة إلى أن تهجر القصر ، بل تهجر (فييـــنا) (والنمسا) بأسرها ، لتقضي بقية حياتها التعسة جائلة بين بلدان (أوربا)

كالشريدة ، آونة في (إيطاليا) ، وآنا في (الريفييرا) أو (باريس) ، أو (اليونان) .. الى أن لقيت مصرعها المفاجئ في (جنيف) بسويسرا ..

أما الزوج المكلوم ، فقد دفن همه في العمل ، و الانكباب على تصريف شؤون الدولة ، لعلها تنسيه وحدته الموحشة !! وفي أوقات فراغه القليلة كان يمارس أحيانا رياضته المفضلة في الصيد . ولكن هل وجد عزاء عن حبه في كافة مظاهر المجد البراقة التى أحاطت بعرشه ؟ ....

لقد سعت الملكة (فيكتوريا) – ملكة إنجلترا – في قمة عظمتها الى كسب وده ، وصار أبنها الأمير (إدوارد) – الملك فيما بعد – يتملقه ...

وكذلك فعل إمبراطور فرنسا (نابليون الثالث) وزوجته (أوجيني) ... وساد السلام والأخوة علاقته بالأسرة المالكة الألمانية بعد سقوط (بسمارك) ..

ولكن هيهات أن يدخل ذلك كله السلوان على القلب الحزين !! بل أن القدر كان يدخر للإمبراطور العظيم مزيداً من الأحزان .. ففجع بفقد ابنه وولي عهد الارشيدوق (رودلف) – الذي وجد صريعا مع عشيته البارونه (ماريا فيسيرا) في كوخ بضاحية (مايرلنج) القريبة من (فيينا) .. وما يزال لغز مصرعهما غامضا حتى اليوم ...

ثم جاء حادث مصرع زوجته الذي عصر قلبه وأدماه .. رغم أنها كانت قد أضحت (غريبة) بالنسبة إليه ...

ثم لم تكفه هاتان الفجيعتان .. فتلتهما فجيعة ثالثة في أخريات أيامه .. حين قتل أبن أخيه ووريث العرش الارشيدوق (فرانز فرديناند) مع زوجته بمدينة (سرايفو) بالصرب (يوغسلافيا بعد ذلك) .. وهي الجريمة التي كانت السبب المباشر في اندلاع نار الحرب العالمية الأولى ...

[عن مجلة : كتابي / أ. حلمي مراد العدد ٤٠ سنة ١٩٥٥ ص ١٢ وما بعدها]

إمبراطور (النمسا) .. و الافتتاح ..

٢

** تمكن الإمبراطور (فرانسوا – جوزيف) – إمبراطور النمسا الشجاع – مـــن مواجهة عاصفة مزهبة عند مغادرته (يافا) ، ليصل إلى (بورسعيد) في موعده يوم ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ .

[عن كتاب : مصر : ولع فرنسي / روبير سوليه)].

** افتتحت ميناء (بحيرة التمساح) في أول أيام الحفل ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ م وكانــت ترســو بهــا أكثر من خمسين باخرة من جميع الجنسيات ، فمنها المصرية والإنجليزية والألمانية والهولندية والروسية والأسبانية والإيطالية والنرويجية .. وكلها تحمــل أعــلام بلادهــا ومتاجرها وكان لمنظر هذا الأسطول الضخم تأثير عميق في نفوس الشعب فكانت هذه البواخر وعليها الملوك وكبار الشخصيات العالمية بملابسهم الــزاهية وقــدودهم الممشوقة وطلعتهم البهيةْ ، تبدو أمام أعين الناس كحلم من أحلام الخيال اللذيذ الذي لا ينسى ..

وفي المساء كانت الحفلة الراقصة تجمع هؤلاء الملوك والأمراء في السراية الخديوية .. وفــي هــذه الحفلة كانت ترى جميع الأوسمة وجميع الملابس الرسمية في الشرق والغرب وكان عدد المدعوين على ضخامته لا يملأ السراي الفسيحة ..

وعند عودة (إمبراطور) النمسا و الإمبراطورة (أوجيني) من هذه الحفلة ، أطلقت الصواريخ في الفضاء ..

وفي ١٩ نوفمبر ١٨٦٩ م أستأنف الركب سيره في القناة من بحيرة التمساح إلى البحيـــرات المرة .. فقام اليخت الإمبراطوري (النسر) عند منتصف الساعة الأولى بعـــد الظهـــر من بحيرة التمساح وأجتاز مرتفعات (سرابيوم) ووصل في منتصف الســـاعة الخامســـة إلى المنار الجنوبي بالبحيرات المرة ، ووصلت بعده خمسة عشر باخـــرة ، ورســـت كلهـــا بجواره .. وفي المساء تزاور الملوك والأمراء .. وأطلقت الصواريخ في الفضاء ..

وفـــي يوم ٢٠ نوفمبر ١٨٦٩ م قام اليخت (النسر) في الساعة السابعة إلا ربع صباحاً من البحيرات المرة ووصل إلى (السويس) في منتصف الساعة الثانية عشر .. وهكذا عبر (النسر) قناة السويس من أول إلى أخر القناة في مدة ١٦ ساعة بدون أي حـــادث وبكـــل راحة ونجاح ووصلت جميع بواخر الركب إلى السويس في راحة واطمئنان ..

ومـــن مديـــنة الإسماعيلية طير الحكام والأمراء وجميع المندوبين إلى حكوماتهم الإشـــارات البـــرقية بعد اجتيازهم القناة ... حيث نشرت الحكومات النبأ في نشراتها الرسمية وعرف العالم كله .. أن الشرق قد أتصل بالغرب ..

[عن كتاب : (الإسماعيلية .. بوابة مصر الشرقية) ص ٣٢٨ وما بعدها] .

الفصل الخامس

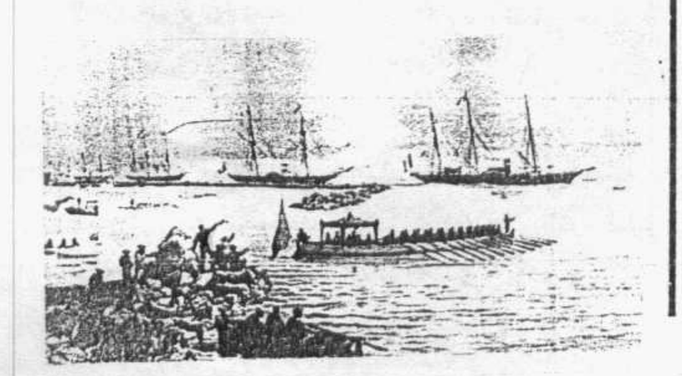


S.A. IMP. LE PRINCE DE PRUSSE

ضيف .. آل (هو هنزولرن)

١ ـ الأمير (فريدريك وليم) ..

٢ ـ ولى عهد بروسيا .. والأفتتاح ..



١ ضيف .. آل (هوهنزولرن) ..
ولي عهد بروسيا (فردريك وليم) ..

أولاً من أحوال .. آل (هوهنزولرن) (قبل افتتاح القناة ١٨٦٩)

(وليم الأول) ..

** كــان ملــك (بروسيا) فريدرك وليم الرابع (١٨٤٠ – ١٨٦١) حاكما مزهوا مختالا ، متشعب النزعات والأهواء ، ميالا إلى الخيال والمغامرة ، جم الاطــلاع ، ولكن من غير ثبات رأي ، أو استيعاب واف لشئون السياسة ، فقد أنقلب في وقت وجيز حماسه الفتى المتقلقل من تأييد مبادئ الحرية إلى اعتناق مذهب الحق الإلهي للملوك .

وقللت من مدى نفعة خلّة هي أقتل ما يكون في الحاكم الأناني .. وهي امتلاكه ناحــية فصاحة متحذلقة . فإنه عند اعتلائه أريكة العرش سنة ١٨٤٠ ، أخذ يتلاعب بالأفكــار الحــرة والإصلاحات الدستورية . فقدمت مقترحات عديدة للإصلاح خلال السنين السبع الأولى من حكمه ، ولكن لم ينفذ منها شيء ، ثم أجبرته قوة الرأي العام على أن يعقد في (برلين) في ١٨٤٧ أول برلمان بروسي (ديت) ..

....

ونقلــد (وليم الأول) زمام الأمر في بروسيا) سنة ١٨٥٨ بوصفه وصيا على العــرش حين أستحكمت أعراض الجنون على أخيه الملك (فردرك وليم الرابع) – كــان جنديا بسيط المظهر ، حي الضمير ، يؤدي واجباته في أمانة ، وكان يمقت مقتا

عميقا جميع الحركات الشعبية ، نتيجة لخبرته بثورة سنة ١٨٤٨ ، ولم يكن ذلك الملك الكهل متحليا بأية سجية من سجايا المثالية الألمانية .

بـل كـان يكفـيه أن يعمل على أن تصبح (بروسيا) قوية ، بحيث لا تجبر مرة أخرى بسبب ضعفها الحربي على أن تغض الطرف عن إهانة توجه إليها . ولقد وجد هـذا الملـك في (ألبرت فون رون) وزيرا للحرب حسبما يهوى فؤاده . فرسما معا خطة لتكبير الجيش البروسي وإعادة تنظيمه ..

وأقـيم بمناسبة رأس عام ١٨٦١ احتفال مهيب لتقديم الأعلام للأوراط الجديدة . وفي اليوم الثاني مات (فردرك وليم الرابع) ..فأرتقى (وليم الأول) أريكة الملك ..

[عن كتاب : تاريخ أوربا / هـ . فيشر ص ١٩٥ ، ص ٢٥٥]

** كـان بسـمارك – وهـو صاحب أرض بروسي ، ضخم ، جهم ، أضحى مستشاراً للملك ولهلم الأول في سنة ١٨٦٢ – رجلاً صلبا ، ثاقب الفكر ، فذ العقل في السياسـة ، متفانـيا إلـى أبعد الحدود في خدمة هدفه .. وهو جعل ملكه سيد الألمان جميعا ..

وكـان لا يؤمن بالبرلمانات ولا بالخطب وإنما يؤمن بالقوة وحدها .. وكان خير الحجـج التي يقدمها ... عبارته البليغة (الدم والحديد) ومعناها : الحرب .. وكانت (بروسيا) على أتم استعداد لها . وقد هيئ جيشه – تحت إمرة الجندي العظيم (فون مولتكـي) – لأن يصـبح آله متقنة للهجوم ، حسنة التدريب ، حسنة الإعداد ، يقوده أركان حرب بارعة حصينة ..

ومـثلما درس (نابلـيون) حـروب (فـردريك الأكبر) ، درس (فون مولتكي) وضباطه حملات الكورسيكي العظيم ..

وتوفر (بسمارك) على المدافع والحراب التي تكفل تنفيذ سياسته . ولكنه ألتزم بـــأن يدخل في حسابه صداقة أو خصومة الدول الثلاث الكبرى وهي روسيا والنمسا وفرنسا ..

وفي سنة ١٨٦٣ أشعل البولنديون ثورة ضد روسيا .. وتفضل (بسمارك) على روسيا بالسماح لجيشها بإختراق الأراضي البروسية كي يسحق البولنديين الذين ردوا فوراً في صرامة وقسوة إلى الخضوع .

وبعـــد هذا بسنوات ثلاث ضرب (بسمارك) ضربته ، بغته ، في قوة عظيمة .. فأحـــتل أول الأمـــر الدويلات الألمانية الشمالية ، ثم حمل على (النمسا) ... ودحر البروســـيون النمسويين عند (كونجراتز) سنة ١٨٦٦ ، وكانت هذه الهزيمة الواحدة كافـــية . ودامـــت الحرب سبع أسابيع ليس غير . وأصبح (البروسيون) هم السادة المعتـــرف بســـيادتهم علـــى (هانوفـــر) وكل شمال (إيطاليا) ، وأصبحت مملكتا (بفاريـــا) و (فورتنبرج) الجنوبيتان حليفتين ، وفي غزوة خاطفة ، أغتصب ملك (بروســـيا) [الـــذي ينتمي إلى أل (هوهنزولرن)] . زعامة الشعب الألماني من إمبـــراطور (النمسا) [الذي ينتمي إلى ألـــ (هابسبورج)]. والذي حكمها أسلافه منذ القرون الوسطى ..

[عن كتاب : تاريخ العالم الغربي / ل.ج.شيني ص ٣٥٣ وما بعدها] .

** وقـــد تميز حكم (بسمارك) العجيب العظيم – الذي دام سبتمبر ١٨٦٢ إلى مـــارس سنة ١٨٩٠ – تميز في بدايته بمبارزة من تلك المبارزات الدستورية النادرة ذات الأهمية الدائمة في تاريخ الأمم . ففي سنة ١٨٦٢ أي بعد عام على وفاة كافور – أفضـــى (بسمارك) إلى (درزائيلي) بقصده في إشهار الحرب على (النمسا) في

أول فرصـــة مواتية . وقد قال يومئذ ذلك اليهودي النافذ البصيرة لمن حوله : (خذوا حذركم من هذا الرجل ، فإنه يعني ما يقول) ..

والحق أنه ما مضت أعوام أربعة حتى أشهر (بسمارك) الحرب التي رأى أول الأمـــر لزومها لتحقيق خططه السياسية . هذا برغم أن (ألمانيا) قاطبة كانت معادية لهذه الحرب ، مستنكرة إياها ، ولم يكن له من الأشياع غير فريق العسكريين ..

وأحـــتفظ (بسمارك) بوجهة نظره بأن الجيش في (بروسيا) أمر مقدس يجب ألا يخضع لأية سيطرة برلمانية .. وقد استمرت هذه المبادئ يسترشد بها في الأوضاع الدستورية الألمانية حتى أخر أيام إمبراطورية أل (هوهنتزولن) ..

كـــان الأحـــرار الألمان – الذين كانت كثرتهم رفيعة الثقافة ، عامرة الوطنية – موضـــع عطـــف ولـــي العهد – (الأمير/ فريدرك وليم) * – وزوجته الإنجليزية – الأميـــرة (فيكـــتوريا) أبنه الملكة (فيكتوريا) ملكة الإنجليز – الذكية الفؤاد ، المضطربة الحماس ، ولكنها غير الحكيمة .

وكان يؤيد أيضا هؤلاء الأحرار أساتذة الجامعات بعلمهم ونفوذهم . ولم تكن ثمة قذيفة مـــن قذائف الحجج والأفكار التي استمدوها من الجعاب المسرحية للتقاليد و التجارب البرلمانية الإنجليزية إلا صوبوها إلى رأس ذلك الوجبة (البروسي) المتعجرف ..

ومـــع أن (بسمارك) كان يحب الإنجليز ، ويجل قدرهم ، إلا أنه كان يرى أن مـــبادئ الحكـــم الإنجليزي ، إذا هي نقلت إلى (بروسيا) ، فإنها تجر عليها الخراب والنكبات .. ولهذا كان من الضروري له قبل إعلانه الحرب على (النمسا) سنة ١٨٦٦

---

* الذي صار في مارس ١٨٨٨ الإمبراطور فردرك الثالث ..

أن يســحق إشــباع هذه المبادئ وطلاب الحرية في ألمانيا . ولقد كان نصره في هذا المضمار تاما باقي الأثر .

بــل لقد سطر فوزه بحروف من نار في تاريخ العالم ، فإنه قاد (ألمانيا) في طريق سياســات بعــيدة الأهداف من التوسع . تقوم على تنفيذ برامج حربية وبحرية طويلة الأمد ..

[عن كتاب : تاريخ أوربا / هــ .فيشر ص ٢٥٥ وما بعدها]..

ثانياً من أخبار .. ألـ (هوهنزولرن) .. (بعد افتتاح القناة ١٨٦٩)

(وليم الثاني) ..

عـندما مـات الإمبراطور (وليم الأول) سنة ١٨٨٨ .. كان عمره قد طال زهاء التسعين عاما ∴ وحينما أعتلي أبنه (الأمير فردرك) العرش .. كان السرطان يهصر حياته . فشلت يداه خلال حكمه الذي دام تسعين يوماً فقط ..

....

دولـة مؤلفة من جند وموظفين ، ومجتمع تسيطر عليه طبقة حربية وشعب ما يزال منتشياً بخمرة النصر ، وبرلمان إمبراطوري منتخب حقا بالانتخاب العام ، ولكنه مدرب على الموافقة على ميزانية الجيش بعد طول المعارضة .... وفيما عدا حفنة من أعضائه الاشتراكيين المضطهدين الضئيلى الأهمية ، كان هذا البرلمان ينصاع لإرادة حكـومة لم يكن في مقدوره أن يغيرها ، وبرلمان بروسي منتخب طبق نظام انتخابي (-) أو ليغارتـي ضـيق - برلمان لم يكن ذا حظر أو بال ، ولم يعتبره تغير منذ نشـأته خـلال الثورة الرجعية التي نشبت عام ١٨٥٠ ، وفوق تلك الهيئات شخصية (بسمارك) الجبارة المسيطرة - هذا هو المشهد الذي كابدت فيه (ألمانيا) في يونيه سـنة ١٨٨٨ .. حينما خلف (وليم الثاني) (١٨٨٨ - ١٩١٨) - وهو في الحادية والثلاثين من العمر - أباه (فردرك وليم) على أريكة الملك ..

وقد عرف بالإمبراطور (غليوم الثاني) ..

....

....

وأعلن الإمبراطور الجديد أن (ليس هناك غير سيد واحد في هذه المملكة .. هو أنا) ... فقـد أثر (وليم الثاني) أن يقطع صلاته بمؤسس الإمبراطورية ، على أن يقاسمه (بسمارك) وأسرته السلطان ..

ففـي مارس سنة ١٨٩٠ أقيل (بسمارك) ، وقبض هذا القيصر المندفع على سكان الدولـة ، مقصـيا الربان الذي ظل ثماني وعشرين سنة يدير دفتها خلال العواصف والأنـواء .. وأصبح الإمبراطور نفسه مسيطراً على أقوى أداه حربية في العالم أجمع ...

وسـرعان ما صار العاهل الأوتقراطي الجديد قوة تفيض حياة ونشاطاً ، وتبعث القلق والـوجل فـي المجـتمع الأوربي . وما من شك في أنه كان متحليا ببعض المواهب اللامعة ، بل حتى المواهب الفذة .

فقـد كانت نظرته إلى الأمور جسورة رهيبة ، وشوقه إلى التطلع كبيرا شاملا ، ودأبه علـى العمل عظيما ، وذاكرته للجزئات قوية مضبوطة .. وكان متديناً عفا قويما .. ووطنيا متحمسا ..

وكـان أحيانا – وبخاصة عند تحدثه عن البحار وسيادتها – يصل إلى ذروة رفيعة مـن البلاغة المؤثرة المتدفقة .. ولكن كان يمتزج بهذه المناقب المتألقة صفات أخرى مـن معدن خسيس .. فقد كان مشيعاً بغرور طاغ يملأ عليه نفسه و وهو جامح يتعذر علـيه كـبحه ، وحب للظهور وأفتتان بالمظاهر المسرحية البراقة كثيراً ما عرضاه للسـخرية ، ونزعة للإساءة وإيقاع الأذى جديرة بالاحتقار ؛ فلم يكن ثمة تملق ، أليها فـي سـورة غضـبه .. وكان يسيطر عليه اندفاع وجموح ، جعلا لصداقته سحراً و ولرفقته نشوة و ولكنهما جعلاه أيضا كبير الخطر كحاكم متصرف في رقاب البشر ،

حتى أخذ وزراؤه يسائلون أنفسهم في قلق وجزع بعد اندفاعات ومخاوف عديدة أثارها ، عما إذا كان سيد (ألمانيا) الأوحد الأهوج المندفع مصابا بلوثه في عقله ...

ثمـــة علـــة تدعونا إلى التشكك في إخلاص تصريحاته السليمة التي كان يخاطب بها مجلس (اللاندتاغ البروسي) في مستهل كل عام ... ولكن جو بلاطه ، كانت تغمره العنجهية العسكرية البروسية .. فلم يكن في ميسور القيصر أن ينسى أنه سيد الحرب الأعلـــى .. بـــل إنـــه يعد واجب من واجباته أن يذكي حماس الأمة الحربي ، بخطبة الحماســـية العديـــدة لكتائب الجند والبحارة .. فساعدت عباراته غير المعتدلة ، وفعاله غيـــر المسئولة ، والقرائن الكثيرة التي أبان بها عن مطامعه الواسعة غير المتريثة - ساعدت كل هذه الأمور على زيادة القلق في دوائر أوربا السياسية .. وخلق جو غير ملائم لمعالجة الشئون الدولية علاجاً رصيناً هادئا سهلا ...

....

ولما كان (قيصر الألمان) حفيدا للملكة (فيكتوريا) .. وكان على استعداد لأن يقدم علـــى الدوام لهذه السيدة المبجلة فروض احترام الحفيد لجدته .. وكان يقبل من قلمها غير اللين ، وليس من قلم أخر سواه ، تقريعاً حاداً ..

ولو أنه كان ممزوجاً بالعطف والود .. وكان القيصر يملك ناصية اللسان الإنجليزي ، ذا حلقة واسعة من الأقارب والأصدقاء الإنجليز .

فكـــان يلجـــأ إلى جزيرة جدته ، كميدانه المحبب للعب والتفريج عن النفس ، وكانت تطيب نفسه ، وتقر عينه ، عندما ينزل ضيفاً عليها في (قصر وندسور) ، أو عندما يمـــر بيخـــته البحري في سباق (كاوز) البحري ، أو يرتدي البزة المقصية لأميرال إنجليـــزي ، أو يسمع هتاف جماهير (لندن) .. أو يستريح في أحد القصور الريفية المترفه لنبيل إنجليزي .. فقد كان شطر من طبيعته شديد الإعجاب بإنجلترا وأهلها ،

وكـــان شطرا أخر منها يرمقهم بنظرة ملؤها الكراهية والحسد ... وكان أمراً طبيعيا مـــرتقبا ، نظـــراً لانقسام القارة الأوربية إلى مجموعتين متنافستين ، أن تنشأ مبادرة نشطة بين فرنسا وألمانيا لكسب رضا الجزيرة الإمبراطورية وخطوتها .. ولكن شيئا مـــن هذا لم يحدث .. فبدلاً من السعي إلى الظفر بود بريطانيا وكسب صداقتها ، كان ينظر إليها في فرنسا وألمانيا وروسيا على السواء ، خلال الأربعة عشر عاما الأولى من حكم الإمبراطور ، بعين الحقد الخطر أحيانا ...

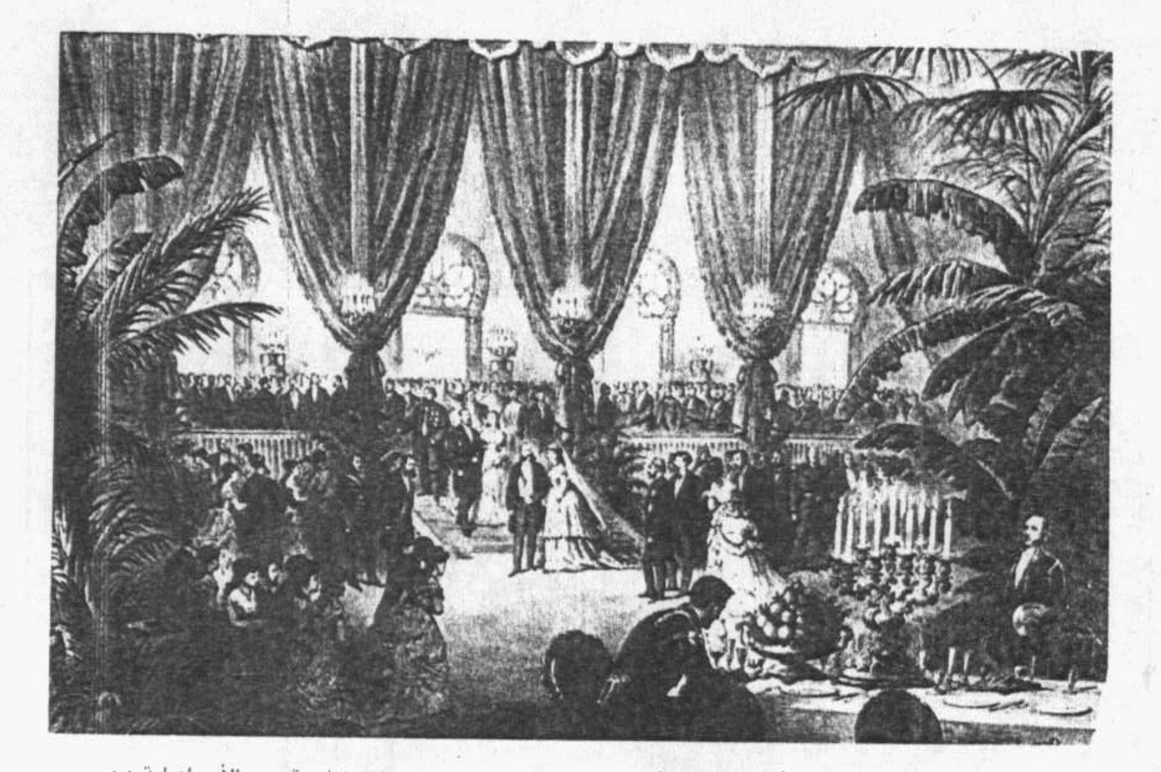
٢ ولي عهد (بروسيا) .. و الافتتاح ..

** أعـد الخديـو لضيوفه وليمة عشاء في قصره بمدينة الإسماعيلية ليلة ١٨ نوفمبـر ١٨٦٩ م وقد مدت الموائد في هذه الحفلة لآلاف المدعوين ، وكان في صدر المائدة الرئيسية (أوجيني) وعن يمينها (فرانسوا جوزيف) وعن يسارها (فردريك ويلهلم) ولي عهد (بروسيا) والى يمين الإمبراطور (فرانسوا جوزيف) عقيلة السير (ألـيوت) سفير إنجلترا بالآستانة ثم الجنرال (أجناتيف) سفير (بروسيا) ثم السير (هنري اليوت) ... وأمامهم الخديو (إسماعيل) والى يمينه أمير (هولندا) فالأمير (مورا) والى يسار الخديو (مدام بواز) ثم المسيو (فردينان دي لسبس) ...

انتشـرت أفخـر أنـواع الخمور على تلك الموائد ، وكانت هذه الخمور تسكب أمام الضيوف بكثرة وكأنها تتدفق من صنابير الماء ..

جللـت الـزينات على الشواطئ ، وأضيئت الأنوار في الإسماعيلية بأنوارها الساطعة كشـمس تتألق انطلقت الطلقات في الفضاء مصحوبة بأنغام الموسيقى العذبة ، وكذلك الصواريخ النارية آتى استوردت خصيصا لهذا الغرض والتي تفجرت في كبد السماء كأنها بركان من فرح وابتهاج ..

أقام الخديو (إسماعيل) في قصره بالإسماعيلية حفلة رقص ليلة ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ م بعد وليمة العشاء وبدأت العاب (البرجاس) على ظهر الخيل العربية المطهمة ، ودام الـرقص والغـناء والفرح والانشراح حتى الصباح ، وفي تلك الفترة كانت المراكب ترسـو الـواحدة بعد الأخرى على أرصفة بحيرة التمساح ، وتأخذ مكانها في أرجاء البحيرة الفسيحة [عن كتاب (الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية) ص ٣٢٦ وما بعدها]



ـ حفلة (الباللو) الرقص الى أقامها الخديو أسماعيل لضيوفه ليلة ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ فى قصره بالأسماعيلية ..

الباب الثالث ..



S.M. L'IMPÉRATRICE DES FRANÇAIS

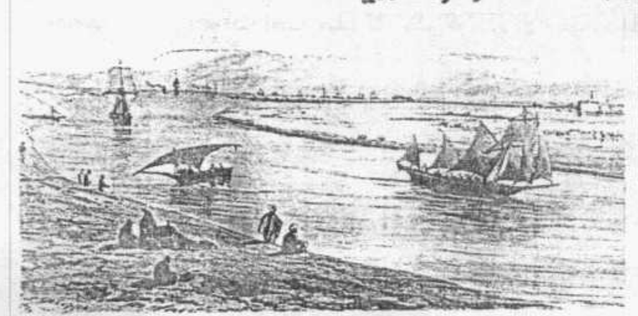
قراءة •• فى دموع (أوجينى) و (سقوط الإمبراطوريات)..



(١) سقوط الإمبراطورية الفرنسية (الثانية) .. (الحرب السبعينية) ..

(٢) سقوط إمبراطور القنوات ..

(٣) سقوط الإمبراطوريات ..



سقوط الإمبراطورية الفرنسية (الثانية) سنة ١٨٧٠ (الحرب السبعينية) ..

١

** أكرهت (بروسيا) أولاً (الدنماركيين) على خوض غمار حرب ضدها ، ثم أكرهت بعدهم (النمساويين) .. والآن أصبحت (فرنسا) العقبة الوحيدة التي بدت كأنها تحول بين (بسمارك) وبين إدراكه وطره ..

ووضح لبسمارك ومشيريه الحربيين أنهم لا يستطيعون إكمال بناء النصف الباقي من صرح (الوحدة الألمانية) دون تطاحن عنيف مع (فرنسا) .. ولذلك واصلوا في جد وانتظام تأهبهم الحربي .

ومـــع أن بلاط (نابليون الثالث) ظل في مظاهره الخارجية متألقاً براقا جوادا إلى حد الإسراف ، كما كان عهده من قبل .. فإن روحا من القلق والتخوف كانت تشيع في أروقـــة قصـــر التويلري وأبهائه .. فقد الإمبراطور قدرته السابقة على الوصول إلى قرارات حاسمة ..

وكـــان وريث عرشة (لويس نابليون) صبيا نابتاً .. وأخذت تتجمع من كل فج حول الأسرة المالكة عاصفة هوجاء من المقاومة والتهكم ..

وأدى انـــدلاع (ثـــورة في أسبانيا) و (خلو عرشها) إلى أمر غير مرتقب .. وهو شـــبوب لظـــى حرب جرفت نابليون و(ألفييه) رئيس حكومته والإمبراطورية الثانية أمامها .. وفي الوقت نفسه صيرت حلم الوحدة الألمانية حقيقة واقعة ...

[لا شك أن (أوجيني) قد أصيبت بلوثة من جنون العظمة والخيلاء .. بعد الاستقبال الأســـطوري لهـــا فـــي (مصـــر) خلال احتفالات افتتاح قناة السويس ولعلها ركبت

طموحها إلى الهند الشرقية وما بعدها .. ولماذا لا تصبح في يوم ما إمبراطورة أوربا كلهـــا ؟ أسوة بالأسبانية (ماريا تريزا) إمبراطورة النمسا والمجر) .. ولماذا ؟ ... ولماذا ؟ .. والآن أقترب الحلم .. العرش الخالي في (أسبانيا) .. ربما كان الطريق إلي الوحدة بين (أسبانيا) و (فرنسا) تلك المرة .. ربما .. (م ٠ ع)] .

وقـــد نمى إلى باريس في (٣ يوليو سنة ١٨٧٠) .. أن الأمير (ليوبولد) من أمراء بيت (هوهنتزولرن سجمارنجن) .. وهو قريب بعيد لملك (بروسيا) ، وأبن الأمير أنطوني الذي شغل قبلا منصب كبير وزراء (بروسيا) .

نمـــى إلـــى (باريس) أن هذا الأمير قبل عرش (أسبانيا) الشاغر ... على شريطة تصـــديق (الكـــورتس الأســـباني) على اختياره . فنشأ في الحال موقف من التوتر الدبلوماسي بالغ الخطورة .. ذلك أن ترشيح الأمير (الهوهنتزولرني) كان قد عرض علـــى بساط البحث بشكل سري في (برلين) ١٨٦٩ .. وأحبط (البروسيون) وقتئذ علمـــاً باعتـــراض ؛ الفرنسيين) على ترشيحه . فقد عده الأخيرون جزءاً من خطة تنطوى على تهديد بلادهم بخطر عودة إمبراطورية (شارل الخامس) وقلب التوازن الدولي الأوربي في غير مصلحتهم ..

[وبالطـــبع أثار هذا المخطط غضب (أوجيني) وجنونها ... أنهم يريدون قتل الحلم الذي أقترب منها كثيراً .. (م٠ ع)] .

فما الذي دعا إلى تجديد هذا الترشيح المبغوض في يوليو سنة ١٨٧٠ ؟

إن الحكـــومة الفرنسية أنتهي رأيها على الفور إلى أن (بسمارك) ينصب لها أحبوله من حبائله ، بغية إذلال الأمة الفرنسية .. ورأت أنه إذا لم يسحب الترشيح قبل انعقاد (الكـــورتس) فـــي ٢٠ يولـــيو ، فـــإن (فرنسا) ستكره على إشهار الحرب على (بروسيا) ..

ففـــي صـــباح ١٤ يوليو سنة ١٨٧٠ .. وصلت نسخة من جريدة (شمال ألمانيا) – حاويــة نصاً استفزازيا لبسمارك – إلى مكتب (ألفييه) رئيس الحكومة الفرنسي ... فصاح ((ألفييه : تا لله إنهم يرومون إقحام الحرب علينا))

ولقــد كان ذلك في (باريس) يوماً عصيبا حافلا بالتردد وعدم الوصول إلى قرار حاســم .. فقــد أخذ بندول النقاش في مجلس الوزراء الفرنسي الذي عقد ذلك اليوم ، يشــير مــرة إلى غلبة السلم ، ثم يتحول تحولاً عاجلاً إلى ضرورة تجريد السيف .. وفــي الســاعة الــرابعة بعد الظهر . صدرت الأوامر باستدعاء الاحتياطي ... وفي منتصــف الســاعة السابعة تقرر دعوة مؤتمر ، غير أن الرأي تصلب بعد العشاء في جانب امتشاق الحسام ... وفي منتصف الليل أنتهي المجلس إلى إعلان الحرب .. وقد حضــرت الإمبراطورة (أوجيني) الاجتماع في العشية ، حينما أتخذ المجلس القرار الخطير .. ومع إنها التزمت الصمت ، إلا أن ميولها كانت معروفة بإنتصارها لجانب الحرب ..

....

وفــي الحــروب يتوقف كل شيء على مقدرة الإدارات المدنية وقيادة الجيش العليا على العمل معا في تضافر ، وعلى بث الثقة في النفوس ، وتوجيه الأمة والجنود إلــى مــرام واضــحة ثابــتة مذكية للعزائم . ففي جميع هذه المسائل الجزئية كانت (فرنســا) فــي مركز عاثر في صيف عام ١٨٧٠ .. فلم يكن هناك أي نظام ، أو حمــاس ، أوهمــة ، لا في القيادة الحربية العليا ، ولا في تنظيم المدنيين .. فقد كان (نابليون) مريضاً مهدماً ، تمزقة الآلام المبرحة ، وكان (لي بيف) وزير الحربية ، و (بازين) خلفه في القيادة العليا ، على أكبر درجات العجز وقلة الكفاية ..

وخلــف هــؤلاء قامــت فــي بــاريس حكومة مدنية شديدة الجزع والهلع تتزعمها الإمبــراطورة الحسناء المكروهة (أوجيني) .. وأخذت هذه الحكومة تواجه غمرات التمــرد الشــعبي وتصخب على جناح السرعة .. وفي الجهة المقابلة لهذا المشهد من القصور الحربي والفوضى المدنية ، وقفت أمة متحدة ، وبيت مالك عريق الأصول ، وثالوث هائل جبار يتألف من (بسمارك) ، و (فون رون) ، و (ملتكه) ، يؤازره جيش من الضباط العسكريين و الموظفين المدنيين دربوا في خير مدرسة من مدارس الخدمة العامة الموجودة يومئذ في أوربا ..

....

وكان جيش فرنسي أخر مدرب من الجند النظاميين ، يتجمع في الأيام الأولى من أغسطس في (شالون) تحت قيادة (مكماهون) [الذي سيصبح رئيساً للجمهورية الفرنسية الثالثة عام ١٨٧٥ – م ٠ ع]

وأشــار (ماكماهــون) – في حكمه كما يبدو – بأنه ينبغي أن يتجنب هذا الجيش أي اتصــال مباشر بالعدو ، وأن يرتد إلى الوراء ، وأن تخف إلى نجدته أيه قوات حربية مبعثرة تكون باقية في البلاد .. وأن يركز قوته أمام حصون (باريس) ..

ولكــن الإمبراطورة (أوجيني) و مشيريها أصموا آذانهم عن سماع هذا الرأي القائل بالتراجع ، وحضوا على أن يهرع (ماكماهون) إلى نجدة (بازين) ، وأشاروا إلى أن (بــارس) فــي حاجــة إلــى انتصار يكسب في الشرق ، وأنه إذا تراجع جيش (شــالون) إلــى الوراء ، فإن الناس سيهبون لقلب العرش ، فأضطر (ماكماهون) علــى كره منه ، وضد رأيه الصائب .. أن يزحف قافلا إلى (ريمس) وإذ نمى إليه أن (بازين) ينوى شق طريقه إلى الشمال ، أدار وجهته إلى الشمال الشرقي صوب الحــدود البلجيكــية .. بيد أن (ملكته) بادر إلى تعقبه ، وأمكنه أن يطوقه في البندر

الصغير : (سيدان) .. وأن يسلط عليه مدافعه ، ويجبره على التسليم . وكان من بين أسلاب ذلك النصر الألماني المبين (نابليون الثالث) نفسه .

وقــد نشــبت هذه المعركة في الثاني من سبتمبر سنة ١٨٧٠ .. وبعد يومين من وقوعها ، أعلنت الجمهورية في باريس .. وبينما كان الزعيم الفرنسي (جول فافر) يعلــن للعالم أجمع أن فرنسا لن تنزل عن حجر واحد من قلاعها ، أو شبر واحد من أرضها ، .. كانت الإمبراطورة تلوذ بالفرار سراً في عربة طبيب أسنان أمريكي إلى الحرم التقليدي للمنفيين السياسيين : إنجلترا ..

وبــذلك قضى على البونابرتية القضاء المبرم .. و انتهى ذلك النوع من النظام الملكي القــائم على الاستفتاء الذي بعد أن أوشك على توحيد (أوربا) قاطبة تحت صولجان (نابليون الأول) ، ختم أيامه بترك (فرنسا) مقصوصة الجناح ، مهيضة الجانب و تواجه خصماً عنيداً جباراً ..

[عن كتاب : تاريخ أوربا / هــ . فيشر – مرجع سابق ص ٢٨٠ وما بعدها] .

....

....

** وفــي ســنة ١٨٧٠ كشف (بسمارك) عن غاية مقصده و ذلك عندما غــزت (فرنسا) ثلاثة جيوش (بروسية) .. وكان (نابليون الثالث) هو الذي أعلن الحرب بالفعل ، غير أن (بسمارك) هو الذي هيأ الفرصة وأستفز (فرنسا) ، وحــول (مولتكــي) وقواده البارعين ، حولوا الحرب لمصلحتهم وقد حارب الفرنسيون في شجاعتهم التقليدية .. ولكنهم كانت تعوزهم القيادة الحازمة ، وأظهرت هــذه (الحــرب الفرنســية البروسية) سطوة الجيش (الألماني) الذي حركته إرادة موحدة إلى النصر ، إلى النصر الخاطف ، وأستسلم جيش فرنسي في (سيدان) وأخر

فـــي (متـــز) ، وكـــان (نابليون الثالث) بين أسرى الحرب ، وحاصر البروسيون (باريس) و استولوا عليها ..

وأكـــرهت (فرنســـا) علـــى أن تســـلم (الالزاس) و(اللورين) إلى الإمبراطور (الألماني الجديد) .. وأدت الحرب مباشرة إلى استكمال (المملكة الإيطالية الجديدة) ، ذلـــك أن نابليون الثالث اضطر إلى سحب جيوشه من (روما) ، التي احتلها فوراً (فيكـــتور عمانوئيل) .. و أصبحت (روما) العاصمة الوطنية لإيطاليا (الموحدة) ... و بما أنه لم يكن في حيز الاحتمال أن يمس (البابا) من رعايا أي ملك دنيوي ، فقد انسحب (بيوس التاسع) إلى ذلك الجزء من (روما) المعروف بمدينة (الفاتيكان) التي ظلت تحت حكومة ، خارجة تماماً عن حكومة الملك ..

و أدى كـــرب (الفرنســـيين) و غضبهم بسبب الهزيمة ، إلى ثورة الوطنيين و الاشـــتراكيين فـــي (باريس) .. فوضعوا المدينة تحت إشرافهم و اختاروا حكومتهم الخاصة . و شهد الجيش الألماني المنظم الجيش الفرنسي يحاصر العاصمة و يحارب لـــيدخلها .. و في ستة أسابيع من الكفاح المرير فقد الآلاف أرواحهم ، و نهب الكثير مـــن المبانـــي و أحـــرق .. و بعـــد إقـــرار النظام وضع دستور برلماني اتفق عليه السياسيون الذين صاغوه – ما وسعهم الجهد – على غرار الدستور البريطاني .

و اتجهت نيتهم أول الأمر إلى استعادة الملكية القديمة ، و لكن الفرنسيين استقروا ، آخـــر الأمر ، على رئيس جمهورية .. و كانت تلك هي الجمهورية الفرنسية الثالثة ...

{ عن كتاب : (تاريخ العالم الغربي / ل . ح . شيني) .. صـــ٢٥٦ و ما بعدها } ..

الحرب السبعينية و أثارها على مصر ..

** قامــت هــذه الحرب سنة ١٨٧٠ بين (بروسيا) و (فرنسا) ، حيث أراد (بسمارك) أن يحقق الوحدة الألمانية بالحديد و النار ..

فهزم (النمسا) العقبة الأولى في سبيل هذه الوحدة ، ثم ثنى بعد ذلك على (فرنسا) . فكــان لقــيام هذه الحرب أثرها المباشر على مصر ، إذ اضطربت أسواق أوروبا المالــية و عجــز (إســماعيل) أن يجــد بغيته من الاقتراض .. و هنا بدأت أساليب (إســماعيل المفتش) الشيطانية لابتزاز الأموال من المصريين لصالح سيده فكان ما أسماه { مشروع المقابلة } ..

{ عن كتاب : (موسوعة تاريخ مصر /أ. أحمد حسين) .. صـــ١٠٢٣ }..

قراءة في دموع (أوجيني) ..

١ رحيل عاشق (كارمن) (١٨٧٠) ..

** كما كان (بروسبير ميريميه) صديقاً فدائياً لصاحبي الجلالة في أيامهما السعيدة ، بقـــى كذلك ، وفياً ، أميناً في أوقات الشدة و التعس ، ففي سنة ١٨٧٠ عندما وقعت كارثـــة ســـقوط الإمبراطورية ، و أصبح الإمبراطور أسيرا في قبضة الألمان ، ظل(ميـــريمية) بصـــحبة (الإمبـــراطورة) وولدها ، ولم يفارقهما قيد أنملة حتى ساعة رحـــيلهما إلـــى إنجلتـــرا . وبعد أن اطمأن على مصيرهما – وكانت العلة قد برحت بصحته بتريحا جديا – أرتحل إلى جنوب فرنسا .. حيث توفى بمدينة (كاف) ، بعد ذلـــك ببضـــعة أيام ، أي في اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٧٠ .. وكأن حياته ومجد صديقيه العزيزين كانا على موعد ، فأرتحلا معاً إلى غير عودة ..

[عـــن كـــتاب : الروايات الواقعية في القرن التاسع عشر / د. محمد غلاب – مرجع سابق ص ٦١]

٢ دموع على (فرساي) (١٨١٧) ..

** وفـــي ١٨ ينايـــر ١٨١٧ – أي قـــبل استسلام باريس بعشرة أيام – أعلنت الإمبراطورية الألمانية في بهو المرايا بقصر (فرساي) ..

ومما كان جديراً بالذكر أن الانتصار المدوي الذي كسبه الألمان في (فرت) كانت قد كســبته كـــتائب (بافاريـــا) و (ورتمبرج) تحت قيادة ولى عهد بروسيا – الأمير

فريدريك ولهلم الذي كان يجلس عن يسار (أوجيني) في حفل العشاء الإمبراطوري الأخيـــر الـــذي أقامــــه (الخديو إسماعيل) في قصره بالإسماعيلية مساء ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ بمناســـبة احـــتفالات افتـــتاح قناة السويس .. وهل كانت (أوجيني) تتوقع أو تستطيع أن تتنبأ بأن الذي يجلس عن يسارها .. يداعبها .. ويضاحكها .. ويراقصها . سوف يهزمها في الأيام بعد حوالي سبعة أشهر من هذا الحفل الذي جمعهم ؟ (م.ع) – ومـــا أن سلم (نابليون) في (سيدان) ، حتى شرعت الولايات الألمانية الجنوبية تلوح برغبتها في الدخول في الاتحاد الألماني الشمالي .. فقوبلت بالترحيب الشديد ..

[عن كتاب : تاريخ أوربا / هربرت فيشر – مرجع سابق ص ٢٩٩ وبعدها] .

** وفـــي ١٨١٧ ، في (قصر فرساي) ، نودى بالملك ويلهلم الأول .. أول إمبـــراطور (قيصـــر) للإمبراطورية الألمانية .. وكان في (فرنسا) شيوخ دخلوا (بروسيا) تحت قيادة (نابليون الأول) وشيوخ في (ألمانيا) قاتلوا(نابليون الأول) في حرب التحرير ..

[عن كتاب : تاريخ العالم الغربي / جـــ . ل .شيني – مرجع سابق ص ٣٥٥] .

٣ وداعا للإمبراطور (١٨٧٣) ..

** عـــاش إمبـــراطور (فرنسا) السابق ، فترة قصيرة من الحزن والأسى على عرشه الذي ضاع ، وتوفى في ٩ يناير (١٨٧٣) ..

[عن كتاب : مائة امرأة غيرن مجرى التاريخ / أ. مجدي كامل – مرجع سابق]..

أعرف .. أنك كنت ترتب لنتشالي من كبوتي .. تريد أن تؤكد لي وللعالم .. أنني مازلت الإمبراطورة ، وذلك حينما تدعوني لحضور الاحتفالات بعرس حالك ، كما احتفلت معك ومع أباطرة وملوك وأمراء أوربا والعالم يوم عرس قناة السويس .. ويوم أن طلبت منك حضور (عرس مصري) .. فجهزت لي عرسا في قصر الوالدة باشا .. أعرف .. لكنها الأحزان ، تقتل زوجي – (يوم ٩ يناير ١٨٧٠) – قبل عرس أنجالك الذي حددته – ابتدأ من منتصف يناير ١٨٧٠ – شكراً لمشاعرك ، ولعزائي .. ولسوف أتابع هذا العرس .. مع من تابعوه من ضيوفك .. وفي سطور وقائعكم – م.ع) ...

** أفراح الأنجال ..

ومن الأفراح التي شاهدتها في عهد التلمذة " أفراح الأنجال " وهم توفيق ، وحسين ، وحسن . أبناء الخديو إسماعيل .. بزواج البرنسيسات : أمينة خانم أفندي كريمة الهامي باشا بن عباس باشا الأول ..

وخديجة خانم أفندي بنت البرنس محمد على الصغير بن محمد على باشا الكبير . وزواج أختهم البرنسيس فاطمة خانم أفندي بالبرنس طوسون بن سعيد ..

ومن أعجب ما شهدته في تلك الحفلات امرأة (بهلوانة) ، يطلق عليها أسم (أم الشعور) وكانت تمشي فوق الحبل على ارتفاع كبير ، وتحمل معها وهي كذلك (شاة) صغيرة فتذبحها كأنها فوق الأرض متمكنة في جلستها ..

ولمناسبة هذه الأفراح دعا إسماعيل تلاميذ جميع المدارس . وطلبتها للاشتراك فيها بتناول الطعام ، ومشاهدة الألعاب ، وسماع الأغاني .

جهاز العروس ..

كان جهاز كل من عروس البرنسين حسين وحسن . وكذلك جهاز البرنسيستين فاطمة خـــانم وأمينة خانم .. يتكون من أنواع الحلي المختلفة الأشكال ، المرصعة بالجواهر وأقمام الشبوكات التي من الكهرمان المطوق بالذهب المحلى بالجواهر ..

وكـــان كـــل جهـــاز من الجهازات الأربعة . يطاف به في أنحاء المدينة محملا على عـــربات تحـــت حراســـة الجند الراكب .. تتقدمها فرقة موسيقية لإرسالها إلى سراي العـــروس .. وكانت الشوارع التي يمر بها مزدحمة بالجماهير الغفيرة . وكذلك كانت شرفات المنازل والفنادق غاصة بالمتفرجين ..

وبعد ظهر يوم الأحد (١٩ يناير ١٨٧٣) ، توجهت عروس توفيق باشا – التي كانت تقيم في سراي الحلمية مع والدتها منذ عقد العقد – إلى القصر العالي ..

[عن كتاب:مذكراتي في نصف قرن / أحمد شفيق باشا – الجزء الأول ص٧١] ..

٥	انقلاب المونسيتور (باوير) ..

تضحك .. تبكي .. لاتعرف .. (م.ع)

** [ومـــع ذلك كانت الكلمات الطنانة والمثيرة للسخرية إلى حد ما التي أولى بهـــا مرشد (قصور التويلر) – خلال حفل افتتاح القناة بالإسماعيلية يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ – تعبـــر عـــن روح العصـــر : " إن طرفي الكرة الأرضية يتقاربان ، وفي تقاربهمـــا يـــتعافان ، وفـــي تعارفهما يهتز جميع البشر أبنا الله الواحد الأحد ، فرحاً

بأخـــوتهم المتـــبادلة !! يا أيها الغرب !يا أيها الشرق ! لنتقاربا ، ونتأملا ، ولنتعارفا ونتصافحا ونتحاضنا "..

لقد لاقى المونسيتور (باوير) مصيراً غريباً – مرشد قصور (التويلري) – الذي بعد مضــــي عـــدة ســـنوات .. تخلى عن الرهبنة .. وكانوا حينذاك يرون هذه الشخصية الغـــريبة في غاية (بولونيا) – مستعمرة العراه – يؤدي التحية العسكرية لكل ضابط يقابله وكان الجنرال (دي جاليفيه) يرد التحية (بإشارة من يده كأنه يمنحه البركة)

[عن كتاب : (مصر : ولع فرنسي / روبير سوليه – مرجع سابق .. ص ١٩٠ وما بعدها].

٦ | خلع .. و انتحار السلطان عبد العزيز(١٨٧٦) ..

** تم خلعه في الاستانه عام (١٨٧٦) .. وخلفه السلطان عبد الحميد الثاني

.. لـــم يحـــتمل .. كـــيف يعيش مجرداً من لقبه ؟ .. بينما (إسماعيل) غريمه يرتع ويلعـــب فـــي أيامه .. لقد أصبح مثل معشوقته – هو أيضا كان يحب (أوجيني) – مهزوماً .. بالأمس البعيد تعمد (إسماعيل) عدم دعوته لحضور احتفالات افتتاح قناة الســـويس فـــي (١٧ نوفمبر ١٨٦٩) حتى لا يحجب عنه الأضواء .. وينافسه على ملاطفة ومداعبة (أوجيني) ..

لم يحتمل الرجل – (الخلع .. هزيمة) – أنتحر ..

٧ خلع إسماعيل (١٨٧٩) ..

(٢٦ يونيه ١٨٧٩) ..

** وكان من سخرية القدر ، أن الدولة التي حركت الأحداث لخلع (إسماعيل) لـم تكن هي إنجلترا أو فرنسا ، فقد وقفت الدولتان في حالة تردد خشية أن يؤدي أي تعديل في مجريات الأمور في مصر إلى زيادة نفوذ الدول الأخرى ..

وكـان (بسـمارك) رئـيس هذه الدولة الجديدة (ألمانيا الموحدة) التي خرجت من مؤتمـر برلين (١٨٧٨) إحدى دول أوربا العظمى .. ولما كان (بسمارك) قد بدأ يـتوق لاستخدام قوته الجديدة في الشئون الدولية ، وأن يجعل لألمانيا صوتا مسموعا في العالم كله .. فقد انتهز فرصة هذه الأحداث في مصر .. لكي يرسل احتجاجا على إجـراءات (الخديو إسماعيل) عن عزله الوزارة الأوربية وتأليف وزارة وطنية .. وأعقبته (النمسا) فقدمت احتجاجا مماثلا ، ولم يلبث (بسمارك) أن أتصل بإنجلترا وفرنسـا ، وأنذرهما أنهما إذا لم يعملا شيئا لإيقاف (إسماعيل) وحكومة مصر عند حدها ، فسوف تتصرف (ألمانيا) على مسئوليتها ..

ورأت إنجلترا وفرنسا نفسيهما مضطرتين للعمل السريع ، فنصحتا لإسماعيل باشا أن يستقيل ولكنه رفض الاستماع أليهما ..

ومن الناحية الوطنية تحركت العناصر الوطنية مطالبة (إسماعيل باشا) للتنازل لأبـنه (توفـيق) الـذي كانوا يأنسون فيه تحرراً وميلا للحكم الدستوري ، ورفض (إسـماعيل) أن يسـمع أي كلام عن التنازل . ولجأ الإنجليز والفرنسيون إلى الباب العالـي – وكانـت هذه فرصة الباب العالي الذهبية . فقد تصور أن عزل (إسماعيل

باشــا) وتوليه (توفيق) خديو جديد من شأنه أن يعيد إلى (تركيا) سلطانها المباشر على مصر ..

ولذلك فقد استجابت لطلب خلع (الخديو) ، وأرسلت في السادس والعشرين من شهر يونيه سنة (١٨٧٩) برقية إلى (إسماعيل باشا) تعلنه فيه بخلعه و تولية أبنه (محمد توفيق) باشا ..

[عن كتاب : موسوعة تاريخ مصر / أ. أحمد حسين .. الجزء الثالث ص ١٠٤٩]

** وكانت هذه ضربة لسياسة إنجلترا وفرنسا في مصر ،هذا إلى أن (ألمانيا) أخــذت تظهــر في الميدان وتطالب الحكومة المصرية في مذكرة شديدة اللهجة ، بأن تدفع للدائنين الألمان جميع مطالبهم دون تخفيض أو إرجاء ..

وكــان (نــوبار باشا) يتحدث – منذ خروجه من مصر ، عن استبداد (إسماعيل) وعــدم صـــلاحيته للحكم – مع من يلقاه من السياسيين الفرنسيين والإنجليز .. وكان ممـــثل فرنســا في هذا الوقت بمصر (مسيو تريكو) ، فأتفق مع ممثل إنجلترا على العمل لخلع (إسماعيل) ..

....

....

وألقــى (إسماعيل) عصا الترحال في ثغر (نابولي) من أعمال (إيطاليا) .. حــيث كــان ملكهــا (فكتور عما نويل) قد أعد لسكناه قصر في (لافافوريتا) رداً لمعروف صنعه معه من قبل ..

وكان يشاع أن الأمير (حسين كامل) يصلح ليخلف أباه على الأريكة الخديوية ، نظرا لما كان يعتقد من أنه أحب إلى والده من (توفيق) .. فضلا عن أنه لا يفرق بين مولديهما غير بضع ساعات . ولكن (إسماعيل) نصحه له بأن يخلص للخديو الجديد . ويترك ذلك المطمح .. فنزل عند نصحه ، ورافق الخديو (توفيق) في حفلة توليته

[عـن كتاب : مذكراتي في نصف قرن / أحمد شفيق باشا .. الجزء الأول ص ٣٧ وما بعدها]

٨ | فاجعة مقتل الابن (١٨٧٩) ..

وكـأن الأقدار كانت أعدت لأوجيني مرحلة من الأحزان والكوارث المتتالية ففي عـام ١٨٧٩ قـتل أبـنها (لـويس نابلـيون) أثناء اشتراكه في الحرب ضد قبائل (الزولو) بجنوب أفريقيا ..

[عن كتاب : مائة امرأة غيرن مجرى التاريخ / أ. مجدي كامل] .

....

....

لقـد اغتيلت في حلمها الأخير ، بعودة ابنها قائداً ، ظافرا ، منتصرا ، ذات يوم يتخطـى كـل العقبات ، يحاول من جديد ، ليأخذ نصيبه في الجمهورية الثالثة ، ومن بعـدها الإمبـراطورية الثالـثة .. ليـرفع أسـهم أمـه من جديد .. فتتبدل لتصبح (الإمبـراطورة الأم) .. أسـوة برفيقات زمانها ، ومن سبقهم إلى تلك المنزلة في تـاريخ أوربـا .. وليصبح أسم أبنها الإمبراطور (نابليون الرابع) .. أو .. أي أسم يحبه نعم .. أي أسم .. فالأموات لا تعنيهم الأسماء والمناصب .. فقط .. يخلدون أبدا في موتهم .- م.ع)

** عـندما مات وليم الأول سنة ١٨٨٨ ، وكان عمره قد طال إلى زهاء التسعين عامـا .. أعتلي أبنه (فرد يديك) العرش .. وكان السرطان يهصر حياته .. فشلت يداه خلال حكمه الذي دام تسعين يوماً فقط [مخلفه أبنه (وليم الثاني) الذي يعرف ب (غليوم الثاني)]

[عن كتاب : تاريخ أوربا / هـ . فيشر .. مرجع سابق ص ٣٨٥]

....

....

(كثيراً ما فكرت في أمرك .. ربما كنت المحرض لأبيك ومستشاركم (بسمارك) علـى كسرنا ، بعد أن وقفت على ماحققته (فرنسا) في مصر .. لذلك كنت تتأملني كثيـرا ، وأنت جالس عن يساري على المائدة الكبيرة التي أقامها لنا الخديو إسماعيل في قصره بالإسماعيلية مساء يوم ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ في حفل افتتاح قناة السويس ..

وخلـت إنهـا نظرات إعجاب – (لم أفسرها جيدا في حينها) – فكنت أعاملك بحذر شـديد حتـى لا أثير غضب زوجتك (الأميرة فيكتوريا) .. حيث تربطني بها وأمها (الملكة فيكتوريا) – ملكة الإنجليز – أواصر الصداقة ..

ولكـن ما حدث منك – عندما قدت جيوش (بروسيا) ، تلاحق جيش (فرنسا) فـي كل مكان .. حتى تأسر زوجي – جعلني أكرهك .. وأمقتك .. وتمنيت لو يعود يوم الاحتفال – الذي ضمنا في الإسماعيلية – لأدس السم في نبيذك الأحمر ..

ولكني .. اليوم أتجرع كاسي .. حزنا على المرض الذي نهش حلمك .. فأذرف دمعة من أجلك .. نعم .. دمعة .. م.ع)

١٠ مأساة سياسية (١٨٨٩)..

تتلخص الرواية الرسمية طبقا لما أقره وأذاعه بلاط النمسا – عن حادث (مايرلنج) الذي وقع في (٢٩ يناير ١٨٨٩) – في الأتي :

كان الأرشيدوق (رودلف) ، ولي عهد النمسا ، وأبن الإمبراطور (فرنسوا جوزيف) ، يحب فتاة تدعى)(ماري فتسيرا) .. ولكن الآسرة المالكة – وأبوه على الخصوص – حنقت عليه بسبب علاقته الغرامية بتلك الفتاة ، وحالت بينه وبينها . ولما أدرك الأمير الشاب أن زواجه بالفتاة أمر مستحيل ، لم يطق صبراً على هذا .. فأثر الموت علـى الحياة . وفي ذات يوم ، ذهب إلى منزل صغير أعده للصيد في (مايرلنج) ، مع حبيبته ، فأطلق عليها رصاصة اخترقت رأسها ، ثم أنتحر .. هذه هي الرواية الرسمية التي أقرها الإمبراطور (فرانسوا جوزيف) وأمر بإذاعتها على الملأ .. فأعتقد الناس منذ ذلك الوقت أن ولى العهد (رودلف) قد أنتحر بعد أن قتل عشيقته ، وأن المسألة كلها مأساة غرامية دامية ..

(عن مجلة الهلال .. عدد أول مارس ١٩٥١ ص ٥٠) ..

....

....

(أعـرف أباك .. طبيعته باردة جوفاء ... فقط كان يحسب لعرشه .. لا يعرف الحـب .. ولسـوف أتابع مأساتك يا ولدي .. فالشك يملأني ويملأ كل العالم في بيان البلاط الرسمي

لـو طلب مني (لويس) – أبني – أن يتزوج من عشيقته .. ما ترددت من فورى .. فقط .. لوطلب ..أه .. م.ع)

وعاشت الإمبراطورة بعد ذلك في (مدريد) تعاني الوحدة والأحزان .. وتستعيد ذكريات الماضي الحافل ، وكأنها تحاول أن تبحث عن شيء يستحق أن تحيا من أجله

[عن كتاب : مائة امرأة غيرن التاريخ / أ. مجدي كامل .. مرجع سابق] ..

٢ سقوط إمبراطور القنوات..

** شـــرعت شركة فرنسية كونها (فردينان دي لسبس) في يناير ١٨٨٠ إثر نجـــاح حفـــر (قـــناة السويس) ، في شق قناة بدون أهوسة ، تربط مباشرة المحيطين الأطلسي والهادي .. ويعد هذا العمل الضخم مغامرة كبرى لشيخ في الرابعة والسبعين من العمر ..

وقـــد أخفق (دي لسبس) في شق القناة لعدة أسباب ، من أهمها تفشي البعوض الذي كـــان يحمل جراثيم الملاريا ، والحمى الصفراء ويفتك بالعمال فتكاً ذريعاً ، حتى كان عـــدد الضحايا يربو على الأربعين يومياً ، ثم طبيعة الأرض المؤلفة من طبقتين غير متماســـكتين ، فكانـــت تنـــزلق إحداهما على الأخرى ، حاملة معها كميات هائلة من الـــرمال ومـــا عليها من معدات ومنشآت ، وأخيراً ضعف الإدارة وسوء تقدير كميات الرمال الواجب رفعها لشق القناة ..

فاضطرت الشركة إزاء فشلها الذريع وإذعانا للواقع إلى إلغاء مشروعها الخاص بشق قناة مباشرة .. استبدلته بمشروع أخر لقناة ذات أهوسة .. لكن دون جدوى .. فأوقفت الشركة أعمالها سنة ١٨٨٨ بسبب نضوب المال ..

وقد قاضى المساهمون الشركة الفرنسية وعلى رأسها (فردينان دى لسبس) وأبنه (شارل) وأعضاء مجلس إدارتها لاحتيالهم عليهم وتبديد أموالهم بسبب سوء إدارتهم .. فحكـــم عليهم بالسجن وبغرامات فادحة ، الأمر الذي أدى هرب بعضهم وانتحار البعض الأخر ..

أما (فردينان دي لسبس) فقد أوقف تنفيذ الحكم فيه نظراً لكبر سنه ، وقاس أبنه (شـــارل) الآمرين من جراء سجنه ، وشطب أسمه من جوقة الشرف الفرنسية نتيجة

بذلك ، واضطراره أخيراً إلى الهرب ، مدة ثلاث سنوات ، لعدم استطاعته سداد الغرامة الفادحة الموقعة عليه وعلى أبيه بسبب إفلاسهما ..

- استأنفت شركة فرنسية جديدة سنة ١٨٩٤ أعمال الشركة السابقة بعد حلها .. غير أنها لم تكن أسعد حظاً منها .. وبعد ذلك واصلت الحكومة الأمريكية الأعمال بمعرفتها في (قناة بنما) سنة ١٩٠٤ ، فأنجزتها بنجاح .. افتتحت رسمياً في ١٥ أغسطس سنة ١٩١٤ ..

[عن كتاب : قناة السويس وأهميتها العالمية / أ. جورج كيرلس في الفصل الخاص (قناة بنما)] ..

قراءة في دموع (أوجيني) ..

١١ وداعا .. ديليسبس (١٨٩٤)

((دمعـــة أخرى تذرفها (أوجيني) .. على خطيب ورفيق الأمس البعيد الذي تأثر كثيرا بأستئناف شركة فرنسية جديدة الأعمال في شركته بعد حلها – كما سلف – فتأثر الـــرجل في شيخوخته ومات في نفس هذا العام ١٨٩٤ .. أين أوامره للبحر المتوسط للدخول في بحيرة التمساح ؟ . وأين .. ؟ و ؟؟؟ وأين (أوجيني) ؟

وداعا لرفيق العشاء الإمبراطوري الأخير يوم ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ .. كان يجلس أمام (أوجيني) .. والى جوار (الخديو) إسماعيل ..- (م.ع)))

١٢ وداعا .. للشيفاليه (إسماعيل) (١٨٩٥)

مـــا أن تجف دمعة على خد (أوجيني) تذرفها على عزيز عليها حتى تنهمر دمعات أخرى .. لسقوط و انزاء الأحباب في الأيام ..أنه (الخديو) تلك المرة – الذي أهداها الكثير .. مما لا تستطيع حصره الآن في رأسها الغائب .. المرهق في اجترار ذكريات الحلم البعيد الذي عاشته ..

** [عندما وصل إسماعيل ١٨٧٩ إلى – منفاه – نابولي بإيطاليا حيث أعد له الملك (أمبرتو) قصراً لسكناه ، فأقام به هو وزوجاته وأنجاله وحاشيته و وأخذ يتنقل بـــين العواصـــم الأوربية ، ولم تفارقه أماله في العودة إلى عرش مصر ، وسعى إلى ذلـــك حثيـــثا و ولكنه أخفق في مساعيه .. ثم سكن الأستانة منذ سنة ١٨٨٨ ، وأقام بقصره (بميركون) على البوسفور .. وظل مقيما فيه ..

إلى أن وافته منيته يوم ٢ مارس ١٨٩٥ وله من العمر خمس وستون سنة فنقل جثمانه إلى مصر ، ودفن في مسجد الرفاعي بالقاهرة....

[عن كتاب : عصر إسماعيل / عبد الرحمن الرافعي بك / الجزء الثاني ص ٢٥٦] ..

** [وهكــذا بالنسبة لإسماعيل فإن صاحبة المنديل كان لابد أن تكون ذات أهمية خاصـــة .. وأخـتار (إســماعيل) (أوجينــي) إمبــراطورة فرنسا .. وهكذا فإن (إسماعيل باشا) الذي تخيل نفسه (فارسا) من (شيفاليهيات) العصور الوسطى قد نجح في علاقته بالإمبراطورة (أوجيني) التي ظلت محافظة على العهد حتى بعد أن زال عنها وعنه العرش .. فيي تزور أسرته مرة كل عام لتجتر الذكريات ..] .

(من مذكرات الأميرة / جويدان مرجع سابق)

** [وأعــربت (أوجينــي) عن رغبتها في حضور عرس مصري .. صاح (إســماعيل) : " يالهــا من مصادفة سعيدة يا صاحبة الجلالة .. يقام الليلة بالتحديد عرس في القصر " ..]

[عن : مصر ولع فرنسي / مرجع سابق] ..

" وداعا يا صاحب الافتتاح في عرس خلاصك " .. (أوجيني) ..

....

....

مازالت تذكره ، وهو جالس أمامها على مائدة العشاء الإمبراطوري – الأخير – الذي ضم هذه الكوكبة من أباطرة أوربا والعالم في قصره – قصر إسماعيل – بالإسماعيلية في احتفالات القناة يوم (١٨ نوفمبر ١٨٦٩) ..

- .. إنك لا تأكل مثلنا ..
- .. يكفي عيني ..
- .. لكنها تأكلني دون الآخرين ..
- .. ستظل كذلك .. تلاحقك مثل (الياقوتة الحمراء) ..

وتبتســم (أوجينـــي) في دموعها ، وهي تتذكر .. (المبولة) المصنوعة من الذهب والمرصعة بالياقوتة الحمراء .. وما كتب تحتها ، يوم أهداها إليها عند زيارتها لمصر في افتتاح قناة السويس ..

وتتذكــر و تتذكــر .. وتمنت لو أمكنها حضور (فرح الأنجال) الذي كان يرتبه – الخديو – لاستقبالها في مصر مرة أخرى .. ليخرجها من الدوامة السوداء التي بلعتها في ابتلاع الإمبراطورية ..

ولكن الإمبراطور .. يضيع عليها الفرصة بموته في تلك الأيام .. وما أن تلتئم الجراح .. حتى يلتقيان سراً .. هنا .. وهناك .. بعيداً عن عيون التاريخ التي ترصدهما ..

١٣ وفاة فيكتوريا (١٩٠١) ..

** فـــي الثانـــي والعشـــرين من يناير سنة ١٩٠١ جاءت الأنباء بوفاة الملكة (فيكتوريا) ملكة إنجلترا وإمبراطورة (الهند) عن (٨٢ سنة) حكمت فيها إنجلترا (٦٤ سنة) ، إذ ارتقت العرش في عام ١٨٣٧ ، وقد نودي بها إمبراطورة للهند عام ١٨٦٧ .. فكانــت بذلك أول من لقب من ملوك الإنجليز بهذا اللقب .. وقد كان تلقيب الملكــة (فيكتوريا) بهذا اللقب أية على ما وصلت إليه إنجلترا من مجد وسلطان في ظل حكمها ..

[عن كتاب : موسوعة تاريخ مصر / أ. أحمد حسين .. مرجع سابق ص ١٢١٢]

ماذا كان سيكون المصير ؟ لو لم تستقبل (الملكة) .. (نابليون الثالث) وزوجته (أوجيني) .. وأبنه الأمير (لويس نابليون) بعد سقوط الإمبراطورية الفرنسية (الثانية) في الحرب السبعينية ..

وماذا لو لم تستقبل الملكة في أحضانها في (لندن) كل الأباطرة والملوك والأمراء .. والكبراء .. الذين فقدوا عروشهم وثرواتهم ومجدهم .. عندما فروا هاربين خوفاً من غضبة الشعب عليهم في بلادهم (ميترنخ – لويس فيليب – شارل العاشر .. الخ). ؟

....

....

وتذرف (أوجيني) دمعة عجوز .. بعد أن تحجرت الدموع في مآقيها .. وداعاً .. يا أم المطاريد ..

السنوات الأربعين بعد سقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية (من ١٨٧١ إلى ١٩١٤) ..

* * و فـــي الســـنوات الأربعين التالية (من ١٨٧١ إلى ١٩١٤) ظل الهيكل السياســـي لأوربا الغربية على حال لم يتغير .. كان هناك الإمبراطوريات في الثلاث (روسيا ، بروريا ، النمسا) و المملكة الإيطالية الجديدة و جمهورية فرنسية جديدة ..

و لقد أخذ يتزايد فيها جميعاً باطراد : السكن و الثروة و الصناعة و التجارة .

و احـــتفظت جمـــيعها بجـــيوش كثيرة متأهبة للقتال .. و عاشت في سلام و تأهبت للحرب . و كانت في الجنوب الغربي مملكتا (أسبانيا) و (البرتغال) لم تمسها تلك الأحداث . و في الجنوب الشرقي : أملاك (تركيا) المتأخرة التي ضيعتها الإهمال و الاستبداد و الكسل و عدم الكافية .

و انهمكـــت بـــريطانيا العظمـــى – سيدة البحار و التجارة البحرية – في الصناعة و التجارة عبر البحار و في المستعمرات .. و تأججت أوربا بالسلاح و لكنها لم تطلق ، عند الغضب ، طلقة واحدة ..

حـــدث فـــي الإمبراطوريات البرية الثلاث أن الأرستقراطية – مالكة الأرض – حكمـــت فلاحي الريف ، و أن أهل المدن أخذوا يجادلون في الاشتراكية و يتساءلون بأي حق تحكم شعوب شعوبا أخرى ، لا لسبب سوى وراثة الحكم أو الثروة ..

إلا أن تلك الأعوام الأربعين كانت عهد رخاء مطرد و تعاون مطرد بين الأمم . و بدأ محتملاً أن الأمم الأوربية – بالحكمة و الصابرة – قد تقاد إلى التقليل من أسباب سوء

التفاهم ، وذلك حتى يتسنى لهم أن يعيشوا في سلام بوصفهم أوربيين ، تماماً كما فعل مواطنو بلادهم الأولون تحت حكم خير أباطرة الرومان .

(عن كتاب : تاريخ العالم الغربي / ل.ج.شيني .. ص٣٥٦ـ و ما بعدها) ..

٣ سقوط الإمبراطوريات ..

الأمم في جهادها من ١٩١٣ إلى ١٩١٨

** و في وقت قصير أصبحت (ألمانيا الجديدة) إمبراطورية غنية ، صناعية ، تجارية ، و تطلعت إلى أن تستعمر . و في زحمة التكالب على الأصقاع التي لم تحتل فـــي إفــريقيا استولت في عام ١٨٨٤ (بعد احتلال مصر عام ١٨٨٢) على مناطق شاسعة في الجنوب الغربي لتلك القارة ، و في شرقها ، كما استولت على (توجلاند) و (الكمــرون) . و كــذلك احــتلت غينيا الجديدة . و كان مهندسوها و صناعها و علماؤها حاذقين ، و تجارها ذوى إقدام ، و سفنها تتاجر مع كل أجزاء المعمورة ، و ســكانها موفوري العدد مطعين ، شجعانا محبين للعمل . و أخذ بعض أبنائها الزائدي الحماسة يبشرون بمبدأ أن الألمان شعب ممتاز قدر له أن يسيطر على جميع من دونه مــن الأجــناس البشرية .. و كان جيشها النظامي خير جنود أوربا تدريباً .. و كان أركـــان حربها و ضباطها يحتقرون الروس و يصغرون من شأن الفرنسيين كثيراً و يصغرون من شأن البريطانيين أكثر من ذلك .

و لم تكتف بحيازتها لأداة حربية عظيمة ، فبدأت تبني عمارة بحرية حربية تتحدى بها الأسطول الإنجليزي ..

قرب هذا التهديد بين فرنسا و بريطانيا ، فتفاهما و عقدا (سنة ١٩٠٤) اتفاقا ودياً .. و كانت روسيا و فرنسا حليفتين ، و ألمانيا و الإمبراطورية النمسوية حليفتين كذلك .. و لإكمـال دائـرة الاتفاقات و المنافسات نقول إن روسيا و النمسا كانتا تتنافسان على النفوذ في البلقان .. و هكذا وجدت مجموعتان من الدول الكبرى تتنافسان و تخشى كل منها الأخرى ..

إلا أن (أوربا) استمتعت بأربعين سنة شاذة .. امتازت بالسلام و الرخاء و بدأ أنه – إذا اسـتثنينا النزق البشرى – ليس هناك ما يمنع الدول من فض خصومتها بالطرق الـودية .. و الواقـع أنـه كانت هناك في (لاهاي) محكمة دولية يفصل مشرعوها العلماء في الخصومات التي تقع بين الأمم و ينهونها بالطرق السلمية .....

و فـي يونـيو ١٩١٤ .. قـتل الأرشدوق (فرديناند) ولي عهد التاج النمسوي في (سرايفو) بالبوسنة .. و لما زعمت (النمسا) أن الحادثة قد بيتها (الصربيون) ، طلـبت ترضية كاملة من الحكومة (الصربية) .. و لكنها لم تترك مهلة للمغاوضات الهادئة ، و أعلنت الحرب بدلاً من ذلك – الحرب العالمية الأولى – و عاضدت روسيا أصـحابها (السـلاف) الصـربيين .. و رغم الجهود اليائسة التي بذلها الوزراء و السفراء لحفظ السلام .. أعلنت (ألمانيا) الحرب على (روسيا) و على (فرنسا) .. و واضح أن أركان الحرب النمسويين و الألمان انطلقوا يحاربون .. و أمل القواد الألمـان – بغزوهم (بلجيكا) و هي دولة صغيرة محايدة – أن يعجلوا بإرسال جيش جرار إلى شمال (فرنسا) من أيسر السبل ، إلا أنه نجم عن فعلتهم الغادرة أن أعلنت بريطانيا الحرب على (ألمانيا) في الرابع من أغسطس سنة ١٩١٤ .

و هكذا انتهت الحرب الكبرى بهدنة – أي بوقف إطلاق النار – في الحادي عشر من نوفمبر من سنة ١٩١٨ . و ثارت (ألمانيا) و (النمسا) .. و كانت (القسطنطينية) فـــي أيدي الحلفاء ... و دقت الطبول (البريطانية) و (الفرنسية) و (الأمريكية) علـــى الراين .. و أوقفت الآلام و الخسائر المفزعة ، و الجنون المخرب ، و البطولة الفائقة .. و بقى على سياسي الحلفاء أن يعقدوا صلحاً مقيما .

الإمبراطوريات التي تهاوت ..

قضـــت حـــرب ١٩١٤ – ١٩١٨ بانـــتهاء إمبراطورية القياصرة الروس .. و إمبراطورية الترك العثمانيين و إمبراطورية آل (هابسبرج) النمسوية .. إمبراطورية آل (هـــو هنزولرن) الألمانية .. أما محاولات التفاهم مع شرق أوربا فكان نصيبها البلبلة و الارتباك ..

و بقى سائر الإمبراطورية التركية إرباً إرباً .. ممالك و جمهوريات عربية : العراق ، سوريا ، لبنان ، الأردن ، المملكة العربية السعودية ..

و أشد ما يلفت النظر من نتائج الحرب : تفتت إمبراطورية (هابسبرج) النمسوية .

فقـــد ضـــمت بعـــض شرائح مستطيلة من الأرض إلى (إيطاليا) و (صربياً) (التـــي أطلق عليها اسم : يوجوسلافيا) .. وُ قسم الجزء المهم من الإمبراطورية إلى ثلاث جمهوريات : (النمسا) ، و (المجر) ، و (بوهيميا) (التي أطلق عليهم أسم : تشيكوسلوفاكيا) .

و كانت (النمسا) – و هي المنطقة التي تحيط بفيينا – أصغر من أن تعول نفسها ، و كـــان (المجـــر) ســـهلاً غنياً يسكنه فلاحون يعملون عند سادتهم الملاك ، و كانت

(تشيكوسـلوفاكيا) بلداً به مجموعة من الصناعات و ذوى الحرف و الصناع المهرة .. و كانت كل تلك الولايات يعتمد بعضها على البعض . أما الآن فهي دول مستقلة ..

و ظهـرت دول جديـدة في الأصقاع التي ملكتها يوماً ، (ألمانيا) و (روسيا) فلقد كانت – على طول ساحل (بحر البلطيق) – الجمهوريات الصغيرة : (أستونيا) – (لا تغـيا) و (ليتوانـيا) .. و فـي قلب سهل مملكة (بولندا) الكاثوليكية القديمة ظهرت من جديد الجمهورية (البولندية) ..

و إذا أضـفنا إلى تلك ، ممالك (البلقان) الصغيرة – و هي (رومانيا) و (ألبانـيا) و (بلغاريـا) و (اليونان) – وجد ما لا يقل عن ١١ دولة صغيرة كلها تتذمر و تحقد في صدد حدودها المترامية عبر كل أوربا الشرقية من (البلطيق) إلى (البحر المتوسط) .. و كانت تكون حجاباً حاجزاً من الدول بين آمتي (الألمان) و (الروس) الفونيين ..

غيـر أن السياسـيين و الـرجال الذين صنعوا معاهدات الصلح في ١٩١٨ لم يسـتطيعوا أن يدركوا الآلام و المصائر الفاجعة لتلك الدولايات الصغيرة الكثيرة ، بل علـى العكـس هللو لمظهرها على أنه علاقة تبشر بدنيا جديدة ، فيها تختار كل أمة حكومتها .. و تعيش بعد ذلك في وفاق مع جيرانها ...

(عن كتاب : تاريخ العلم الغربي / ل.ج. شيني .. مرجع سابق ص٣٩١ و ما بعدها)

انهيار إمبراطورية النمسا ..

** في الثالث من نوفمبر سنة ١٩١٧ وقعت القيادة العسكرية الينغارية شروط وقف القتال .. و على أثر ذلك كانت هذه الإمبراطورية العنيدة – حكمت أوربا ٦٥٠ ســنة ..م.ع – تــنفك و تحلل ذاتيا .. فقد أعلنت (تشيكوسلوفاكيا) و جهودها لدولة مستقلة و كذلك (هنجاريا) المجر ..

و اللطيف أن الدولتين الجديدتين ، أعلنتا الحرب على (ألمانيا) بمجرد قيامهما .. و حتى (النمسا) خلعت إمبراطورها – شارل – بعد أيام .. و أعلنت نفسها جمهورية ، و لكن ألمانيا كانت قد سبقتها إلى ذلك ..

(ألمانيا) تطلب وقف القتال ..

ففــي الســـابع مـــن نوفمبر سمة ١٩١٧ تقدمت (ألمانيا) رسمياً بطلب وقف القتال ، و بدأت المفاوضات على الفور بين (ألمانيا) الذي اختير وفدها من المدنيين و بين الماريشال (فوشي) الفرنسي الذي كان قد أصبح قائداً عاماً لجيوش الحلفاء ، و جرت المباحثات في عربة سكة حديد ..

خلع إمبراطور (ألمانيا) ..

عــندما حاول إمبراطور (ألمانيا) – (وليم الثاني) – الذي كان يوماً معبود الجماهير أن يتعرض على طلب الهدنة (في التاسع من نوفمبر ١٩١٧) ·· و أصدر قــراراً بعــزل (لــوندورف) .. فما كان من (لوندورف) آلا أن وقع ورقة بعزل الإمبراطور ..

فكانـــت ورقـــة (لـــوندورف) هي التي نفذت .. و قد علقت جريدة ألمانية على هذا القرار فكتبت تقول :

(" لقـــد رأت القيادة أن (ألمانيا) الأم في خطر ، و أنه ينبغي الإقدام على أي خطوة قد تدرأ هذا الخطر ، و لما كان الحلفاء قد يقنعون بتبديل نظام الحكم في البلاد .. فقد أصبح ذلك أمراً مرغوباً فيه .. و قد قارنت القيادة بين (القيصر) و (ألمانيا) .. و بالطبع رجحت كفة الوطن ، و أذن فإلى الجحيم بويلهم (غليوم الثاني) أنه ليس أول ملك مخلوع و لن يكون أخرهم ") ..

و قد صاحب طرد الإمبراطور إعلان جمهورية (ألمانيا) ..

(عن كتاب : موسوعة مصر / أ. أحمد حسين .. الجزء الثالث .. صـــ١٤٩٧ و ما بعدها)

قراءة في دموع (أوجيني) ..

١٤ رحيل السيد النبيل (١٩١٦) * ..

**في خــلال الحقبة الطويلة (١٨٤٨ – ١٩١٦) التي أستوي فيها (فرنسيس جــوزف) علــى عرشــه بفينا ، ظل يكدح و يدأب في مكتبه ، و يوقع و يقرأ ، من الصباح الباكر إلى عتمة الليل : رجل مفجوع القلب ، مكلوم الفؤاد – هذا إذا كان في مقــدوره أن يشــعر بــثقل الفجيعة . فقد اغتالت زوجه يد قاتل زنيم .. و أزهق أبنه الوحــيد روحه بيده .. و ألحق ابن أخيه – و وريث العرش – العار بأسرته بقران لم يغتفــره له الإمبراطور ، و ذلك بزواجه من سيدة كلف بها ، تدنو مرتبتها الاجتماعية عن منزلة الإمارة ..

و لكــن ســواء أكانــت كل مقدرة لــ (فرنسيس جوزيف) على الشعور و الإحساس قد نضب معينها ، وجف ماؤها في نفسه ، أم لشعور طاغ في دخيلته بعظمة منصــبه الرفيع ، أم لمجرد أن طبيعته كانت باردة جوفاء ، فإن هذا الرجل العجوز ، واصــل السير دون أن يهزه شئ – رجل متعبد زاهد آلي ، كان يشاد بمدحه بوصفه الفارس الأول في مملكته و السيد النبيل الأول في أوربا ..

و قــد وقــته حواجز جامدة صماء من المظاهر و التقاليد الإمبراطورية صخب العالم الخارجــي و ضجيجه . و حمت طبقة أرستقراطية حربية ذمار عرشه ، و أمده نظام بيروقراطــي إمبراطوري بالوزراء : يسيرون متعثرين ، يكدحون و يجهدون أنفسهم

---

* فرانسوا جوزيف ٠٠ ولد في قصر (شونبرون) عام ١٨٣٠ – و توفى في نفس القصر ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٦ ٠٠٠ (كتابي ٤٠ – يوليو ١٩٥٥ – حلمي مراد) ..

في تأدية أعمال الحكومة المرهقة المحرجة للصدور . فإذا تألق اسم وزير منهم ، لا يلبث طويلاً حتى يختفي ..

و لقد منيت الإمبراطورية النمساوية في غضون حكمه الطويل الأمد بضربات ساحقة عديدة : فمنيت بفقدان (لمبارديا) و (ولاية البندقية) ، و سلب الدوقتين الدنماركيتين ، و إقصائها عن الريخ الألماني الأكبر .

فبدت هذه الإمبراطورية كأنها تحمل حياة مسحورة لا يقربها الفناء ، حتى حينما كانت تسير في خطي حثيثة نحو الانحلال و الاندثار ..

(عن كتاب : تاريخ أوربا / هـ . فيشر .. مرجع سابق صـ٤٤٢ و ما بعدها) ..

حيـنما روع العالم بإعلان الحرب سنة ١٩١٤ كان هناك ما يشبه الاجتماع على أن دوى المدافع الذي هز أركان الأرض حينذاك ، لم يكن الأصدى للرصاصتين اللتين أنطلقتا قبل ذلك بخمس عشرة سنة (٣٠ يناير عام ١٨٨٩) بإحدى حجرات (قصر مـا يرلنج)* في النمسا ، فأودتا بحياة ولي عهدها الشاب (الأرشيدوق رودلف) و حياة البارونه (ماري فتسيرا) خليته الحسناء .

و كـان من رأي كثيرين من المعقبين العسكريين و السياسيين أن تلك الحرب العالمـية ، مـا كانـت لتقوم لو أن الأرشيدوق كان علي قيد الحياة ، لأنه كان شديد الـبغض لألمانـيا .....فلا يمكن أن يسمح بمثل ذلك الاتفاق المشئوم الذي عقد بين

---

* روايـة (مأسـاة ماريلـنج) .. قدمـتها السينما العالمية في فيلم عرض القاهرة في (منتصف عام ١٩٦٩) .. و لعب بطولته (عمر الشريف)

بلاده و بين (ألمانيا) ، و به وحده أستطاع (غليوم الثاني) إمبراطور (ألمانيا) ، أن يتحدى العالم أجمع بإعلان تلك الحرب المروعة ..

(عن رواية : (مأساة مايرلنج) / للكاتب (بول ريبو) ..)
روايات الهلال – العدد ٢٥١ نوفمبر ١٩٦٩

....
....

كنت أتابع أخبارك – التي تهز أوربا دوما – حتى قبل أن تجلس عن يميني على مائدة العشاء – الإمبراطوري الأخير – الذي ضمنا في قصر الخديو (إسماعيل) – الذي يجلس أمامنا ، يرصد عيوننا ، و همسنا – بالإسماعيلية مساء يوم (١٨ نوفمبر ١٨٦٩) ..

ثـــم تجرأت في خمرى .. فهمست إليك و أنت تراقصني بحفلة (البالو) الكبير بعد العشاء ..

_ رضعت من طفولتي كل أحلام أل (هابيرج) ..

_ تعرفين الطريق إلى طموحك ..

_ لكن .. طموح (بسمارك) لا يشبع ..

_ فقط .. يحلم بالوحدة (الألمانية) ..

_ قد يكبر في الأيام ..

_ لا عليك .. هي أضغاث أحلام .

_ مجنون .. بالحديد و النار .

_ ..تخافين ؟

_ أنا (أسبانية) ..

نعـــم .. (أسبانية أنا) أتابع أخبارك يا شيخ أل (هابسبرج) .. لكنك ترحل في اللغز الذي يدثرك .. و السرّ معك .. هل .. أبنك .. زوجتك .. ؟

فسلامي لهما – أيها السيد النبيل – حتى تلقاهما .) ..

١٥ السلطان حسين .. أخر الأحباب (١٩١٧) ..

** وفاه الأجل بعد مرض قصير .. (موسوعة تاريخ مصر .. صـــ ١٤٧٩) ..

لهفتـــي عليك يا ولدي .. لهفتي على (لويس) الغائب .. رفيق أيامك .. عندما جئتنا للـــدرس .. نحـــبك في وصايا (الخديو) إلينا .. جعلك جسراً بيننا – عام ١٨٦٨ – ليربط بين مجدينا .. و عائلتنا .. هل تعرف ؟ ..

أذكر لك .. مرافقتي في رحلتي النيلية (١٨٦٩) في أسيوط .. غمرتني بكل الرعاية و العطف .. فسلام إليك يا أخر الأحباب) ..

(أوجيني) .. المرأة المجهولة..

هكذا قدر لأوجيني (التي كانت تعشق الحياة و البذخ .. و تسرف بجنون لدرجة جعلت الشعب الفرنسي يخشى من عودة عصر النبلاء و الأرستقراط مرة أخرى .. و التـــي أتهمـــت بأن كل سلبيات عهد (نابليون الثالث) كان معظمها مرتبطا بشخصية زوجته الإمبراطورة .. التي كانت تملى عليه أرادتها و تتدخل في القضايا السياسية و تســيطر علـــى شئون الحكم .. و دفعه إلى الخوض في حروب خاسرة .. حتى كان الخطــأ الفادح الذي أرتكبه (نابليون الثالث) بتشجيع من زوجته الإمبراطورة و هو أعلان الحرب على بروسيا في عام ١٨٧٠ .. و كانت النتيجة الطبيعية)..

و كان (نابليون الثالث) قد حكم فرنسا لمدة ٢١ عاماً ابتداء من ١٨٥١ حتى ١٨٧٠ .. و شاركته العرش في يناير ١٨٥٣ (بعد الزواج في هذا العام) .

(أي اســـتمرت في العرش معه مدة ١٧ عاما حتى ١٨٧٠ .. و استمرت شريكته في الحياة لمدة عشرين عاما حتى وفاته في ٩ يناير ١٨٧٣ – م.ع) ..

وهكذا قدر لأوجيني أن تعيش ٩٤ عاما –(١٨٢٦ غرناطة – ١٩٢٠مدريد) – أي قرابة القرن من الزمن .. لترى أو تسمع من المكان الذي كانت تقطنه .. أخبار ســقوط .. الإمبراطوريات .. الأباطرة .. الملوك .. الأمراء . الكبراء .. الرفاق .. الأصدقاء .. و الوحدة تطحنها ..

(و أسرع سفير إيطاليا و النمسا إلى الإمبراطورة و طلبا منها سرعة مغادرة القصر قبل أن يقتحمه (الغوغاء) .. خضعت (أوجيني) لطلبهم و قبل أن تستقل العربة ..

* عن كتاب : مائة امرأة غيرت مجرى التاريخ .. أ. مجدي كامل ..

و قفت أمام (اللوفر) .. تنظر إليه في حسرة و أنهمرت الدموع من عينها – و كان (نابليون الثالث) هو الذي أتم بناء المتحف العظيم – و غادرت الإمبراطورة (فرنسا) إلى (بريطانيا) حيث نزلت في ضيافة المملكة (فيكتوريا).

و هكذا قدر لأوجيني .. أن يثلج صدرها بعض الشيء – بعد عذابات الوحدة الطويلة و الكوارث المفجعة – تلك الأنباء عن سقوط (الإمبراطورية الألمانية) بالذات تلك التي أعلن ميلادها في قصر (فرساي) ..

(فأبدأ لم تنس عندما تسببت في أوائل سنة ١٨٧٠ في اندلاع لهيب تلك الحرب السبعينية الطاحنة التي اجتاحت (فرنسا) و سحقت جيشها سحقاً ، و أصابتها في أبنائها و ممتلكتها بعد أن أصابتها في مجدها و كرامتها .. و قد رأى (الفرنسيون) هذا رأي العين .. و شاهدوا مندوبي (ألمانيا) المنتصرة يسيرون و أنوفهم في السماء إلى قصر (فرساي) .. ليعلنوا للعالم عن ميلاد إمبراطوريتهم الجديدة و ليتوجوا ملكهم (و يهلهم) إمبراطورا لألمانيا ..

فها هم (الفرنسيون) يردون هذه الإهانة إلى عدوتهم اللدورة في سنة ١٩١٨ بعد هزيمة (ألمانيا) في الحرب العالمية (الأولى) – حين أملو عليها شروطهم في نفس (قصر فرساي) * .. و ليهدأ بال (أوجيني) بعد رد الإهانة إلى أهلها .

---

* الروايات الواقعية – د. محمد غلاب – مرجع سابق

(أوجيني) في (باريس) ..

و تغيـــرت الظروف في (فرنسا) .. و انتهزت (أوجيني) الفرصة و سافرت إلى (باريس) و كانت هذه المرة مجرد امرأة عجوز ترتدي ثوباً و تتحرك بصعوبة دون أن يتعرف عليها أحد ..

و أمـــام قصـــر (فرســـاي) انحـــنت الإمبراطورة السابقة لتقطف زهرة من الحديقة المواجهة للقصر و لكن أحد الحراس تقدم منها و نهدها بشدة طالباً منها الابتعاد ..

(عن كتاب : مائة امرأة – مرجع سابق) ..

(أوجيني) في مصر ..

و تذكر (الأميرة جويدان) في مذكراتها صـــ٨٢ ــ :

و أثـــناء حكم عباس الثاني ، بعد موت إسماعيل باشا و توفيق باشا (١٨٩٥) كانت هناك أمراه كهلة في ملابس سوداء .. تزور (مصر) سنوياً و تبدأ مقامها في القاهرة بزيارة أرمل (إسماعيل) ..

هذه المرأة الكهلة كانت (أوجيني) إمبراطورة فرنسا (السابقة)



الى الامبراطورة أوجيني[1]

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى هذه الامبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها الى مصر متنكرة تنزل فى فندق سافوى ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك فى سنة ١٨٦٩ فى افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أينَ يومُ (القنالِ) يا ربّةَ التا * جِ ويا شمسَ ذلكَ المِهرجانِ[2] ؟

أينَ مُجرِي القنالِ أينَ مُميتُ الـ * ـمالِ[3] أينَ العزيزُ ذو السُّلطانِ ؟

ديوان .. حافظ ابراهيم .. الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ..

(١) ولدت أوجينى فى غرناطة فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦م . وفى ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث ؛ وكانت فيمن حضر الى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد أنفق الخديوى اسماعيل باشا فى استقبالها الكثير من المال ؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا الى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا الى مدريد ، وبها ماتت فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٠ م .

(٢) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٣) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى . وإماتة المال : كناية عن الإسراف والاتساع فى البذل .

أين هارونُ مصرَ؟ أين أبو الأشـ * ـبالِ رَبُّ القصورِ رَبُّ القِيانِ؟ (١)

أينَ لَيْثُ الجزيرةِ (ابنُ علِيٍّ) * واهِبُ الألفِ مُكْرِمُ الضِّيفانِ؟ (٢)

أين ذا القصرُ بالجزيرةِ تَجْرى * فيه أرزاقُنا وتَجْبو الأماني؟

فيه للنَّحسِ كوكبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ * ـرِ وللسَّعدِ كوكبٌ مُتَواني (٣)

قد جَرَى النِّيلُ تحتَه بخُشُوعٍ * وانكسارٍ وهابَهُ الفَتَيانِ (٤)

كنتَ بالأمسِ جَنَّةَ الحُورِ يا قَصْـ * ـرُ فأصبحتَ جَنَّةَ الحيَوانِ

خَطَرَ اللَّيثُ فى فِنائِكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحًا لِحسانِ (٥)

وعَوَى الذِّئبُ فى نَواحِيكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَعْقِلًا لِلِّسانِ (٦)

وحَباكَ الزُّوّارُ بالمالِ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَصْدَرَ الإحْسانِ (٧)

كنتَ تُعْطِى، فمالَكَ اليومَ تُعْطَى * أينَ بانيكَ؟ أينَ رَبُّ المكانِ؟

إنْ أطافَتْ بكَ الخُطوبُ فهٰذِى * سُنَّةُ الكَوْنِ مِنْ قَديمِ الزَّمانِ

---

(١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف ، وشبه به إسماعيل فى ترفه وجاهه ونعمة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات .

(٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذى صار حديقة الحيوان ، كما سيشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن على ، لأنه حفيد محمد على .

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان مايزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكأنه فى غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب ، وفى رضاه كوكب سعد طويل الإقامة ، بطىء السير .

(٤) الفتيان : الليل والنهار ؛ يريد الدهر .

(٥) الفناء : الساحة .

(٦) معقل اللسان ، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه .

(٧) حباه : أعطاه . يشير الى مايدفعه كل داخل الى حديقة الحيوان .

رُبَّ بانٍ نَأَى، ورُبَّ بِناءٍ * أَسْلَمَتْه النَّوَى الى غيرِ بانِي (١)

تلك حالُ الإيوانِ يا رَبَّةَ التا * جِ فما حالُ صاحِبِ الإيوانِ؟ (٢)

قد طَواهُ الرَّدَى ولو كان حَيًّا * لَمَشَى فى رِكابِكِ الثَّقَلانِ (٣)

وتولَّتْ حِراسَةَ المَوْكِبِ الأَسْـ * ـنَى نجومُ السَّماءِ والنَّيِّرانِ (٤)

إن يكن غابَ عَنْ جَبِينِكِ تاجٌ * كان بالغَرْبِ أَشْرَفَ التِّيجانِ

فلقد زانَكِ المَشِيبُ بتاجٍ * لا يُدانيه فى الجَلالِ مُدانِي

ذاكَ مِنْ صَنْعَةِ الأنامِ وهذا * مِن صَنِيعِ المُهَيْمِنِ الدَّيّانِ

كُنتِ بالأمسِ ضَيْفَةً عندَ مَلْكٍ * فأنزِلِي اليومَ ضَيْفَةً فى خانِ (٥)

وَٱعْذُرِينا على القُصُورِ، كِلانا * غَيَّرَتْه طَوارِئُ الحِدْثانِ (٦)

---

(١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بانى الدار ويخلفه عليها من لم يبنها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو فى الأصل الصفة العظيمة ؛ أعجمى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى ما كان أعده لها اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م ، فى مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى، من السناء، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الحانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل فى قصر ملك أصبحت تنزل فى الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التقصير . والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوائب .

نهاية الإمبراطورة أوجيني*

يا رحمة الله على الإمبراطورة أوجيني ! فلقد طالما دللتها الحياة طفلة و صبية ، إذ فاضـت علـيها نعمة الحسب و نعمة الجمال ، ثم تجاوزت في تدليلها أقصى ما تحلم به فتاة من لداتها و أترابها فرفعتها إلى قمة المجد و ذروة العرش ، ثم قبلت لها ظهـر المجـن دفعة واحدة فإطاراتها من علياء عزها إلى حيث تعاني آلام الغربة و الضيق ، و ما هو أشد من ألام الغربة و الضيق .

أمضـيت شـروط الصلح بين فرنسا و بروسيا ، و أطلق سراح الإمبراطور نابلـيون الـثالث مـن آسره فلم يجد هو الآخر ملجأ يؤويه سوى إنجلترا . و أن لمن سخرية الأيام حقاً أن نرى الحكومة البريطانية ترحب بنابليون الثالث و تستقدمه ضيفاً عليها و هي التي لم تتورع قبل ذلك بسنوات عن أن تخون تقاليد الشرف و الضيافة و تقبض على عمه نابليون الأول ، و ترسله إلى جزيرة القديسة هيلانة أسيرا يقاسي آلام النفي و الموت البطيء . و لكنها السياسة ، و كل ما تلده السياسة عجيب و غريب !.

---

* تلـك الدراسـة أطلعني عليها الأديب / مصطفي نصر من كتاب – (في مكتبته) بدون غلاف ..فلم نهتد الى عـنوان الكـتاب وأسم المؤلف .. (بيان) .. للمؤلف يتصدر الكتاب بتوقيع ح . أ .. هذا نصه هذه مذكرات في بعض الأحداث التاريخية الكبرى التي عنى ثقات المؤرخين بتدوينها في مطولات ضخمة لا يتيسر لكل قارىء أن يقتنـيها أو يتوفر على مطالعتها أو يوفق بين الروايات المتضاربة فيها ، قد استخلصتها من تلك المطولات وكتبتها متفـرقه غير مرتبطة ، فلم أتوخ في انتقاء موضوعاتها عصراً معيناً ولا مكانا واحدا ، وراعيت في كتابتها موعا من التلخيص لا يخل بصدق الرواية وارتباط الوقائع ولا يفوت على القارئ شيئاً من جوهر الموضوع .

ولقد رأي بعض الذين أعهد فيهم صحة الحكم وحسن التقدير أن هذه المذكرات ، رغم ايجزها وتفرق موضوعاتيا ، تصلح لأن تجمع في كتاب فجمعتها . ح. أ

و يلتقي الزوجان التعسان بعد فراق طويل فيكاد الواحد منيما لا يعرف الأخر فلقـد أنهك المرض قوى الإمبراطور و اسقم بنيته . و ذهب الغم بنضـرة وجهه حتى غير ملامحه و بات شيخاً لا أثر فيه من الفتوة و النشاط ، أما الإمبراطورة الحسناء التي كانت حتى الأمس القريب ملتقى أنظار المعجبين و موضوع تفنن الرسامين ، فقد فعلت بجمالها هموم الأشهر الأخيرة ما لا تفعله السنون الطويلة ، وها هي تلك و هي بعد في منتصف العقد الخامس من حياتها ، قد ذوى جمالها و اشتعل رأسها بالشيب و أغـارت علـى بشرتها الغضون و تهدل قوامها و ترهلت أردافها حتى لم يبق سوى عينيها الواسعتين تذكران الناس جمالها القديم .

و تمضـي الأيام كئيبة متشابهة حتى يأتي عام ١٨٧٣ فشتد على الإمبراطور وطـأة الـداء ، و يصـاب بحصاة في المثانة تسدها فيتسمم جسمه و يموت ، و تقعد الإمبراطورة تندب حظها و عرشها و زوجها ، ثم لا ترحمها الأقدار فتنكبها في ابنها إذ يقتله متوحشو قبيلة الزولو في رحلة إلى مجاهل أفريقيا ، و بذلك تفقد المسكينة آخر أمل لها في الحياة و هو أن ترى هذا الابن يوماً من الأيام متربعاً على عرش أبيه .

و يقضـي على الإمبراطورة التاعسة أن تعيش بعد كل هذا و أن تعمر طويلا لتشهد موت كل أهلها و كل أصدقائها و كل أعدائها حتى صديقتها الملكة فيكتوريا التي طالما و آسـتها و أحسـنت إليها ، ثم لا تقوى على الاستقرار في مكان فتهيم على وجهها سـائحة فـي أرجـاء الدنيا تسرح همومها و أحزانها في مختلف البلاد ، فترحل إلى أفـريقيا لتصلي على قبر ابنها و تزور جزيرة سيلان بآسيا ، و ترتد إلى مصر سنة ١٩٠٤ فتنـزل فـي أحد فنادق القاهرة ضيفة مجهولة بعد أن وفدت إليها سنة ١٨٦٩ إمبراطورة عظيمة تسير في طليعة ملوك أوربا و أمرائها من ضيوف الخديو إسماعيل يوم افتتاح قناة السويس .

و يـــا لـــيت شعري ما الإحساس الذي استولى عليها و هي تجوب أنحاء القاهرة ، فتمر بقصر الجزيرة و قد شيده إسماعيل العظيم لتقيم فيه بضعة أيام ، أو بدار الأوبرا الملكية و قد أقامها لها أيضاً لتشهد فيها حفلة تمثيل ؟!

و تنشـــب الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ فتستأذن الحكومة الفرنسية في العودة إلى وطنها و مقر ملكها القديم لتؤديه فيه ما تستطيع أن تؤديه من الخادمات فيؤذن لها . و هـــناك تستأجر بيتاً مقابلاً لقصر التويلري و تقيم فيه لتكتحل عيناها المريضتان برؤية ذلك القصر المنيف الذي أمضت فيه خير سنى حياتها و كل أيام عزها و مجدها .

ثـــم يقدر لها أن تعيش حتى تفوز فرنسا بالنصر علي ألمانيا وتسترد منها إقليمي الالـــزاس واللـــوريْ اللـــذين أضـــاعتها حـــرب زوجهـــا سنه ١٨٧٠ فتسر وتبتهج وتصبح:(شكرا للحياة فقد جاملتني بعد طول الإساءة، أرضتني بعد طول الإيلام. ألان وقد شهدت انتصار بلادي فمرحبا بالموت أهلا به في أي وقت يجئ)

أمـــا حالتها الصحية والعقلية فيحدثنا عنها الأستاذ (هنري روبير) نقيب محامي فرنســـا السابق اذ يقول :(كنت مدعوا للعشاء عند البرنس (مواراة) وزوجته في ليلة من ليالي صيف سنة ١٩١٤ وقد وعدنا مضيفانا بمفاجأة سارة لم يريدا أن يقولا لنا ما هي .

فلما كانت الساعة الثامنة اقبل كبير الخدم واسر في أذن الأمير كلمات نهض علي آثـــرها وتبعته الأميرة زوجته. ولم تمض برهة حتى فتح الباب علي مصرأعيه ورأينا الأميـــرين ينحنـــيان انحناء احترام يذكرنا بآداب وتقاليد العهد الملكي القديم ، ودخلت عجوز فانية تتوكأ علي عصاها وتتحسس بها الأرض كأنها عمياء تخشى أن تصطدم بشـــيء ، وأنتصـــب المدعـــوون جمـــيعا وقـــوفا وتهـــامس بعضهم قائلين : (جلالة الإمبراطورة) ثم انحنوا طويلا وظلوا في انحنائهم إلى أن قالت العجوز بصوت خافت

متقطع يكاد لا يسمع : " أسعد الله مساءكم أيتها السيدات و أيها السادة " ثم قادها الأمير إلى كرسي واسع و ثير في وسط الحجرة و ألتف المدعون و حولها و جعلت الأميرة تقدمنا إليها بأسمائنا الواحد بعد الأخر فتمد ألينا يدها فنلثمها .

" تلــك هـــي الإمبراطورة أوجيني و قد و قد تنزلت إلى زيارة أولئك الباقين من أســـرة زوجهـــا . لم أكن قد رأيتها من قبل رأي العين و إن كنت أعرف صورها أو الرسوم الزيتية التي صنعها لها كبار الرسامين ، و لكن أين هذه الشمطاء المتهدمة من تلك الصبية الغضة البضة التي كانت تفيض جمالاً و أنوثة و بشراً ؟ لم يبق أثر كبير و لا صغير من ذلك الجمال الفاتن ، حتى بريق عينيها سطت عليه السنون فأطفأته و لم تغادر من هاتين العينين سوى حفرتين غائرتين في وسط كل منهما حدقة تتحرك و تكـــاد لا تبصــــر .. أما قواها العقلية فقد ظلت كاملة لم تؤثر فيها الأيام . ولقد أخذت تحدث كلا منا فيما يناسبه و يتعلق بمهنته أو حيثيته فتتكلم مع العالم في شأن العلوم ، و مـــع الأديـــب فـــي أخر مؤلفاته ، و مع الطبيب في تقدم الطب ، فلما جاء دوري أدهشني إذ أذكرتني تفاصيل قضايا هامة كنت قد ترافعت فيها من سنوات "

و اســـتطابت الإمبـــراطورة ســـكني باريس فاشترت البيت الذي استأجرته أمام القصــــر التويلري . و إن الإنسان ليتساءل أي العواطف كان يطغي على نفسها و هي تتـــردد كل يوم على حديقة ذلك القصر وقد صارت متنزهاً عاماً فتذكر أيام صباها و كل ما وعته تلك الأيام من ماض حافل بالعظائم من كل نوع "

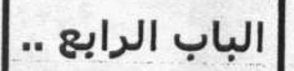
و لقـــد جلســـت مســـاء يوم على أحد مقاعد الحديقة لتستنشق نسمات الأصيل فأختها سنة من النوم . و لم تصح ألا على صوت أحد حراس البستان وهو يهز كتفها و يقـــول : " هـــيا يا شيخة فقد أذنت ساعة أقفال الأبواب " فنهضت العجوز متثاقلة

تتكئ على عصاها و تربت على ظهر الخفير و تقول : " شكراً يا ولدي ها أنا ذاهبة "
و أواه لو علم الحارس أن تلك التي يطردها كانت صاحبة القصر و البستان

و لقد ظلت الإمبراطورة أوجيني حتى أواخر أيامها مولعة بالأسفار . و قد أرادت أن تزور أسبانيا موطنها الأصلي و مسقط رأسها فسافرت أليها و هناك مرضت بعينها و أجــريت لها عملية جراحية لم تقو على تحمل صدمتها فمرضت و توفيت فجر اليوم الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٩٢٠ بالغة من العمر أربعة و تسعين عاماً نعمت في بدايتها بما لم تنعم ببعضه امرأة . وشقيت في نهايتها بما لم يشق بمثله إنسان



ـ فندق (سافوى) ٠٠ (بورسعيد) أوائل القرن العشرين ٠٠



الفصل الأول ..

(نوفمبر) .. في زمن القناة ..

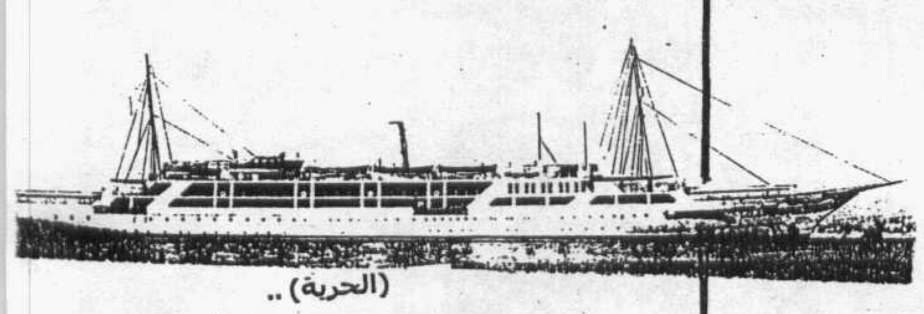
الفصل الثاني ..

(المحروسة) .. التي عاشت في (الحرية) ..

الفصل الثالث ..

صور من أرشيف (قناة السويس) ..

قراءة فى توابع المشهد



(الحرية) ..

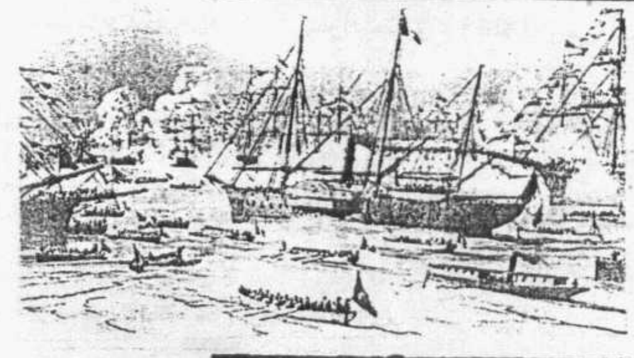
EGYPTIAN YACHT
EL-HORRIA



- فندق (سافوى) ببورسعيد ، وأمامه (رصيف أوجينى) ..

الفصل الأول

(نوفمبر) •• فى زمن القناة



● نشرت هذه القراءة بقلم المهندس/محمد عبد الله عيسى بجريدة (القناة) ـ العدد ٢٠٤٩ ـ الاحد ٩ يناير ٢٠٠٠ صـ٥ ..

(نوفمبر) ..
في زمن القناة ..

**على طـــول التاريخ الحديث لم يثر مكان في مصر ما أثارته قناة السويس .. وعلى طول تاريخ القناة لم يثر شهر من الشهور ما أثاره (نوفمبر) فيها ..

[عن كتاب : قناة السويس .. شريان من دم المصريين / أ. أحمد بهجت ص ٧٣]..

....

......

وتلك محاولة لرصد بعض من ملامحه – (نوفمبر) – وهي بالضرورة لا تلغي التواريخ الهامة في زمن القناة .. ولكننا هنا نقلب – فقط – في سطور هذا الشهر الذي كان يلاحق القناة دوما ، بالأحداث والمفارقات العجيبة .. من قبل الفكرة .. والحفر ..

نوفمبر البعيد .. (١٨٠٥) .

ولـــد (فرديناند دي ليسبس) في (١٩ نوفمبر١٨٠٥) في (فرساي) .. وهو الذي اســتطاع بعجينة تكوينه أن يحرك مشروع (قناة السويس) .. الذي عجزت القرون عن وضعه التنفيذ ..

نوفمبر المحاولة .. (١٨٤٦) .

فـــي (٣٠ نوفمبـــر ١٨٤٦) أشـــترك تباع (سان سيمون) في تأسيس جمعية للدراســـات الخاصة بقناة السويس في (باريس) .. وبرغم ذلك رفض (محمد على) فكرة حفر القناة ، حين أوفدت هذه الجماعة من يقابلة ويعرض عليه المشروع ..

نوفمبر الكراهية .. (١٨٤٨) .

الفرنسـيون يكـرهون كل ملك أو أمير يقترن عهده بتضاءل النفوذ الفرنسي في بـلاده .. وهذا ما كان في عهد (عباس الأول) الذي تولى الحكم في (٢٤ نوفمبر ١٨٤٨) .. حـيث اسـتطاع النفوذ الإنجليزي إقناع والي مصر بمد خط حديدي بين الإسكندرية والسويس ، كرد على محاولة الفرنسيين أحياء مشروع القناة البحرية ..

نوفمبر الامتياز .. (١٨٥٤) .

فـي (٣٠ نوفمبـر ١٨٥٤) حدث أكبر انقلاب عرفه القرن التاسع عشر .. إذ اسـتطاع (ديلسبس) أن يحصل على فرمان الامتياز الأول بشق القناة .. واستغلالها لمدة ٩٩ عاما تبدأ من تاريخ الافتتاح ..

نوفمبر الاكتتاب .. (١٨٥٨) .

وجـاء أوان الاكتـتاب في أسهم الشركة التي ستتولى تنفيذ المشروع ، فطرحها (ديلسـبس) للاكتـتاب العـام في (باريس) في (٥ نوفمبر ١٨٥٨) وقد غطى الاكتتاب في يوم (٣٠ نوفمبر) من نفس اشهر ..

نوفمبر الوصل .. (١٨٦٢) .

أقام (ديلسبس) حفلاً كبيرا في (١٨ نوفمبر ١٨٦٢) بمناسبة دخول مياه البحر المتوسط إلى بحيرة التمساح ..

نوفمبر الافتتاح .. (١٨٦٩) .

وفي (١٧ نوفمبر ١٨٦٩) .. افتتحت (قناة السويس) رسمياً للملاحة ..

أل روتشيلد وقناة السويس!!

عـندما أفلـس الخديو إسماعيل ، عرض على (بنك فرنسا) شراء حصة مصـر من أسهم القناة ليفي بالديون التي تراكمت عليه ، وتلقف الفرنسي (روتشيلد) خبر نية مصر بيع أسهمها في القناة ، وعرض الأمر على ابن عمه (ناثان روتشيلد) لندن ، ويبدو أن الأمور في (فرنسا) لم تكن تتيح لروتشيلد في (باريس) للإسهام في صـفقات كبيرة ، فقد كانت فرنسا قد خرجت منذ سنوات قلائل من مأساة (كوميونة باريس) التي قتل فيها ٣٠ ألف باريسي حاولوا إقامة أول مجتمع اشتراكي في فرنسا ، وكانـت فرنسـا نفسـها قد خرجت مهزومة ومنكسرة من الحرب مع (بسمارك) ، وأحتلها الجيش (البروسي) ، أي أن الظروف كانت تحول دون مغامرة أل روتشيلد (باريس) في شراء صفقة أسهم القناة ..

وأتصـل (أبـن ناثـان) روتشيلد بصنيعة أبيه (دزرائيلي) ، الذي وصل بمجهود أل روتشيلد إلى رئاسة الوزارة الإنكليزية و وقد كتب (دزرائيلي) إلى الملكة (فكتوريا) بعد ذلك يقول :

(أن أل روتشـيلد فـي لندن تصرفوا بنبل و وأقرضوا إنجلترا ٤ ملايين جنيه بفائدة قلـيلة ، وتمت صفقة شراء أسهم مصر في قناة السويس لصالح الخزانة الإنجليزية .. وبذلك أصبحت إنجلترا تملك ٤٤ بالمئة من أسهم القناة في (٢٥ نوفمبر ١٨٧٥) ..

[عن كتاب : ملوك المال / أ. إبراهيم العربي – مرجع سابق ص ١٠ وما بعدها] .

نوفمبر الفاجعة .. (١٩١٧) .

بلفور وقناة السويس !!

وجـــاء (٢ نوفمبـــر١٩١٧) الـــذي أصدر فيه اللورد بلفور (وزير خارجية بريطانيا) .. وعده بإسهام إنجلترا في أنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين ، وكـــان وراء هذا الوعد البارون (أدموند روتشيلد) والكيميائي (حاييم وايزمان) ، الذي قدم للجيش الإنجليزي ، خلال الحرب العالمية الأولى ، اكتشافه مادة (السيتون) لاستخدامها كمادة في الغازات السامة ... وأدت إلى كسب بريطانيا الحرب .. والذي تســلم (وعــد بلفور) وزير الخارجية هو ابن ناثان روتشيلد (لندن).. الذي أصبح نائباً في مجلس العموم الإنجليزي عن مدينة (لندن) .. وعضوا بمجلس إدارة شركة قناة السويس وأنشئت المستعمرة اليهودية (بلفوريا) في فلسطين تخليدا لخدمات وزير خارجية بريطانيا وعمل الصهيونية ورأس المال الروتشيلدي !!

[عن كتاب : ملوك المال / أ.إبراهيم العربي .. مرجع سابق ص ١٠ وما بعدها] ..

نوفمبر الجهاد .. (١٩١٨) .

فـــي (١٣ نوفمبر ١٩١٨) – أي بعد يومين أثنين من توقيع الهدنة ، ونهاية الحـــرب العالمـــية الأولـــى في (١١ نوفمبر ١٩١٨) تم لسعد زغلول وزميليه على شـــعراوي وعبد العزيز فهمي .. مقابلة المندوب السام البريطاني (السير وبخت) .. وقـــد جاء ضمن أقوال هؤلاء الزعماء الثلاثة : " متى ساعدتنا إنجلترا على استقلالنا الـــتام ، فأنـــنا نعطـــيها ضـــمانة معقولة لعدم تمكين أي دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا . فنعطيها ضمانة طريقها إلي الهند وهي قناة السويس " .

وهكذا يمكن القول بأن الحديث عن قناة السويس شغل جانباً في كل مراحل المفاضات ..

• ويعتبر (١٣ نوفمبر) أول صفحة في كتاب ثورة سنة ١٩١٩ وقد ظل هذا التاريخ (١٣ نوفمبر) عيداً قومياً – (عيد الجهاد) – يحتفل به كل عام حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

نوفمبر الخطير .. (١٩٥٦) .

جـنح (نوفمبر) إلي الهدوء والسلام ردحا طويلا ، وطوح بعيدا عنه مفارقاته الشـاطحة ، بعـد أن شرفه المصريين باختيار يوم ١٣ (من شهره) للاحتفاء به كل عام عيدا للجهاد . حتى جاء ميلاد (يوليو ١٩٥٢) لينصب وليدا من أيامه (٢٣ من كـل عام) عيدا جديدا للمصريين . فآثرها (نوفمبر) الهرم في جوانحه حتى سنحت لـه فرصة الدخول في الأيام سن ١٩٥٦ ، ليصب ما في جبعته القديمة من مفارقات جديدة .. تهز القناة .. وتهز العالم ..

• في (١ نوفمبر ١٩٥٦) توقفت الملاحة في قناة السويس .. (استمرت لمدة خمسة أشـهر حتـى نهاية مارس ١٩٥٧) نتيجة للعدوان الثلاثي على مصر ..والذي شنته (إسرائيل وإنجلترا وفرنسا) قبل دخول (نوفمبر) في تاريخ السنة بيومين (يوم ٢٩ أكتوبر) ، كرد فعل غاضب على ضربة تأميم القناة (٢٦ يوليه ١٩٥٦) .

• وفـي (٢نوفمبـر ١٩٥٦) .. ألقى عبد الناصر خطبة مثيرة في أقدم مسجد في مصـر وهـو (الأزهر) .. وأعلن أن مصر ترفض الإنذار .. (القناة لنا) .. (لن نستسلم أبداً .. سنقاتل) ..

* وفـــي (٥ نوفمبر ١٩٥٦) .. أذاع الماريشال (بولجانين) رئيس وزراء الاتحاد السـوفيتى رسالة ينذر فيها إنجلترا وفرنسا بوقف العمليات الحربية في (قناة) مصر .. منعا من قيام الاتحاد السوفيتي باستخدام الصواريخ الموجهة .

* وعلـــى المستوى الداخلي كانت مقاومة المصريين سببا في فشل الغزو وتوقفه في بـــور ســـعيد .. وعلـــى المستوى الخارجي كان موقف دول الحياد والدول العربية ، وضغط أمريكا و وروسيا سببا في وقف الأعمال العسكرية على جانبي القناة ..

* وفي (٦ نوفمبر ١٩٥٦) .. تم وقف إطلاق النار على جانبي القناة ..

نوفمبر الكاذب .. (١٩٦٨) .

كـــان (١٦ نوفمبر ١٩٦٨) هو تاريخ اليوم الذي حدده الفرمان الأول نهاية امتياز الشركة في القناة بعد ٩٩ عاما من افتتاحها . وقد حاولت الشركة تجديد الامتياز ، ليمـــتد أربعـــين ســـنة أخرى ، تنتهي في نوفمبر (٢٠٠٨) .. غير أن المشروع تعرض لنقد عنيف تحمل لواءه الزعيم (محمد فريد)[مات في(١٥ نوفمبر ١٩١٩) في (ألمانيا) .. أه يا نوفمبر]. ثم كانت ضربة « التأميم) القاضية ، التي أجهزت على ما تبقى من أيام الفرمان العجوز .. ويدخل نوفمبر (١٩٦٨) في الأيام ، والقناة تئن في جراحها .. تتألم في نكستها .. لقد جاء في الزمن المغلوط تلك المرة .. فيعود أدراجه من حيث أتى .. متوكأ على بقايا مفارقاته ..

نوفمبر المئوي .. (١٩٦٩) .

جاء (١٧ نوفمبر ١٩٦٩) – والذي شهد في البعيد سنوات الدم العشر التي حفرت فيها القناة (١٨٥٩ – ١٨٦٩) – بعد مائة عام من الافتتاح ..

وليشهد امتزاج دماء الأجداد والأخوال والأعمام .. مع دماء الأبناء والأحفاد في دفــاعهم عــن قناتهم وأرضهم في السنوات العجاف الثمانية (يونيه ١٩٦٧ – يونيه ١٩٧٥) وهي أطول فترة توقفت فيها الملاحة في القناة بسبب الحرب مع إسرائيل ..

جاء (نوفمبر) .. ليرى الحزن الساكن فوق الوجوه ، يغطى الغضب الأحمر في الأفئدة .. والأحفاد .. يرقبون .. ينتظرون ..

نوفمبر الخلاص .. (١٩٧٥) .

وفــي (٢٥ نوفمبر ١٩٧٥) .. وبعد مرور مائة عام من بيع أسهم مصر .. جــاء (نوفمبر) يتواري خجلا .. يريد أن يعتذر عن ما كان منه ، لمفارقاته البعيدة (التي أثقلت كاهل المصريين) .

ومــا أن يمّــم وجهــه شطر صفحة القناة ، يرصد ملامح التغيير والتحول .. يرقب تلك السفن العملاقة التي تتهادى في الافتتاح الجديد (٥ يونيه ١٩٧٥) ..

وقــد هــزه ما كان من الأحفاد ، حينما استردوا كرامتهم وقناتهم بدمائهم في عبورهم الكبير (أكتوبر ١٩٧٣) .

هــرع (نوفمبــر) إلى الشط .. يفرغ ما في جعبته من مفارقات ، مهترئة قديمة .. يشــعل الــنار فيها .. يبارك كل مراحل التطوير والازدواج .. زائراً في عبورنا إلى المســتقبل .. زائــراً لأيامــنا في مشروعي شرق التفريعة (شمالاً) .. وتنمية خليج السويس (جنوبا) ..

الفصل الثاني

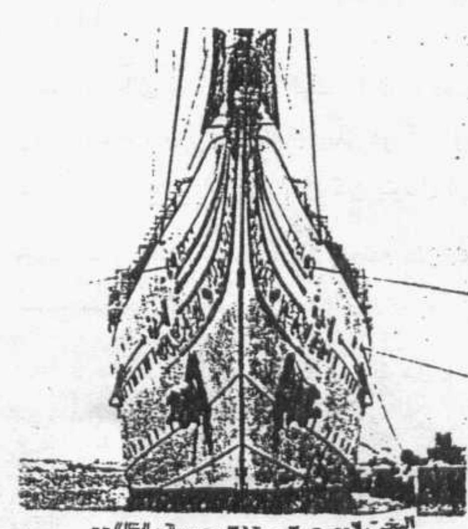
<u>أولا ..</u>
الخروج .. و (المحروسة) ..

<u>ثانيا ..</u>
(الحرية) .. وأيامها ..

(المحروسة) ..
التى عاشت فى (الحرية).



الجو الفرعونى داخل اليخت --



اليخت المصرى الحرية (المحروسة سابقا) --

أولاً الخروج و المحروسة ..

عـندما أتمـت شركة (سامودا) الإنجليزية بلندن صناعة هذا اليخت سنة ١٨٦٥ تلبية لرغبة الخديو إسماعيل .. لم يخطر على بال (إسماعيل) أن هذا اليخت [سمى بـ (المحروسة)]

– الـذي تـم تصنيعه ليطوف به العالم في أيامه الحالمة ، وليشهد على أساطير أبناء العائلـة الحاكمة بدءاً من الطواف حول أوربا (القرن التاسع عشر) لدعوة أباطرتها وملـوكها وأمراءها لحضور حفل افتتاح قناة السويس.. وليشهد نزواتهم المفتوحة .. الحـاكم بعد الأخر .. حتى خروج أخر ملتاع فيهم من مصر إلى (منفاه) .. ويعود جـثمانه محمـولاً على سفينة أخرى مؤجرة في عهد حفيده – لأبنه توفيق – (عباس حلمـي الثانـي) .. الـذي رفض توسلات جده في العودة إلى مصر لتمضية أيامه الأخيرة .. وكذلك رفض توسلات أعمامه ، الأميران (حسين كامل) و (أحمد فؤاد) في هذا الشأن ..

وتمضـي الأيام .. ويحمل اليخت (المحروسة) الخديو عباس (حفيد إسماعيل) في رحلة تصييف (إلى الأستانة) بلا عودة .. ويحل محله على عرش مصر عمه بأسم السلطان (حسين كامل) والذي كان يتوسل إلى (عباس) في عودة أبيه ..

وعـندما مـات (حسين كامل) خلفه على العرش أخيه السلطان (أحمد فؤاد) الذي أصبح ملكا بعد ذلك ..

ويعـيد الزمن دورته .. ويتوسل (عباس حلمي الثاني) – من منفاه – إلى عمه (فؤاد) للعودة إلى مصر .. لكن العم لم ينس توسلاته البعيدة له عندما كان على كرسي العرش .. فيرفض ..

ويموت الملك (فؤاد) .. ويحيا الملك (فاروق) .. وتكرر توسلات (عباس حلمي) في العودة إلى مصر .. فيرفض (فاروق) ..

ويعـود جـثمان (عباس حلمي) من منفاه محمولاً على سفينة أخرى مؤجرة (كما حدث مع جده) ..

وتمر الأيام .. ويخرج الحفيد الثاني لإسماعيل – لأبنه فؤاد – الذي وفد إلى الدنيا في زمن لم يدركه الجد (وفاة إسماعيل ١٨٩٥ – ميلاد فاروق ١٩٢٠) ...

ويخـرج (فـاروق) إلى منفاه (في ثورة يوليو) على ظهر (المحروسة) .. ولكـن جثمانه يعود ليلا بالطائرة – تلك المرة – ليدفن إلى جوار أعمامه وأجداده في مدافن العائلة العلوية ...

١ خروج .. إسماعيل ...

** وحـدد يـوم الاثنـين (٣٠ يونيه ١٨٧٩) للرحيل عن الديار المصرية ، وقضـى إسماعيل هذه الأيام الثلاثة يستعد للسفر ، ويجمع ما استطاع أخذه من المال والمجوهرات والتحف الثمينة من القصور الخديوية ، ونقلها إلى الباخرة(المحروسة) التي كانت معدة لركوبه بالإسكندرية ..

بلغ الإسكندرية في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وأستقبله بها في محطة (القباري) محافظة الثغر ، وبعض الرؤساء والكبراء ، وركب الزورق المعد له ، وتبعته زوارق المشيعين ، وسار حتى أستقل الباخرة (المحروسة) ، ولما وصل إليها أطلقت المدافع آذانا بوصوله ورفعت البوارج الحربية أعلامها تحية له ، وأستقبل على ظهر الباخرة بعض المشيعين له الذين جاءوا يودعونه الوداع الأخير ..

ولـــم يملك إسماعيل صبره ، فترك مشيعيه بعد أن ودعهم ، ونزل الى غرفته بالباخـــرة ، ثم غادرها المودعون ، وبعد هنيهة أقلعت (المحروسة) .. وأخذت تشق عـــباب المـــاء حتى غابت عن الأبصار ، ومالت شمس النهار إذ توارت بالحجاب ، فغربت معها شمس إسماعيل ..

وسارت الباخرة إلى (نابولي) تحمل العاهل الذي قضى سبعة عشر عاماً يحكم مصـــر بمطلـــق إرادته ، ثم أنتهي بأن فقد عرشه وملكه وماله ، وكم من مرة أقلته (المحروسة) من قبل في إبان مجده وشهدت رحلاته إلى الآستانة والى أوربا ، حين كـــان يـــروح ويغدو ، تحفه المهابة والجلال ، وتعنو له الأماني والآمال .. ثم حملته للمـــرة الأخيـــرة بعـــد أن نـــزل عن عرشه ، وطويت صفحته ، وقضى عليه بالنفي والحرمان .. فكانت خاتمته إحدى عبر الزمان ..

[عن كتاب:(عصر إسماعيل) / أ. عبد الرحمن الرافعي – الجزء الأول ص ٢٥٤]

وفاة إسماعيل ..

** وفي ١١ يناير ١٨٩٥ وردت البرقيات من البرنسين (إبراهيم باشا حلمي) و (فـــؤاد باشـــا) وأطباء والدهما – الذين كانوا يرافقونه في الآستانة بأنه ظهر من المـــباحث الطبية التي أجريت أخيرا أن إسماعيل فوق الاستسقاء بالالتهاب والسرطان المعويين ، وأنه لابد من انتقاله إلى بلد حار كمصر لتغيير الهواء ، وهم يرجو الخديو – عباس حلمي الثاني – التصريح لجده المريض بأن يعود إلى الوطن ..

ولقد بدا على وجه سموه شديد الكدر عند قراءة هذه البرقيات ، وتشاور في الأمر مـــع رجـــال المعيـــية مظهراً ميله الشديد للموافقة ، وأستقر الرأي على دعوة مجلس

النظار ليبحث هذه المسألة .. ولكن المجلس ما كاد ينعقد حتى أصر على قراره الأول .. لأن إنجلترا تأبى مثل هذا التصريح فضلا عن أن السلطان لا يريده ..

وورد البـرق بنعي إسماعيل في صباح ٢ مارس .. وتنفيذا لوصية الفقيد – أن يـدفن فـي مصـر – صـدرت الارداة إلى مصلحة البوسته الخديوية أن تعد إحدى بواخرها لنقل الجثمان ..

ووصـلت الباخـرة فـي ٩ مـارس تتبعها بارجة حربية عثمانية وبقيتا تحت الحجر الصـحي مـدة يومين .. ثم نقلت الجثة إلى القاهرة ، لتشييع الجنازة في القاهرة يوم ١١ مارس ١٨٩٥ ..

[عـن كـتاب : مذكراتي في نصف قرن / أحمد شفيق باشا .. الجزء الثاني .. ص ١٨٠ وما بعدها]

٢ خروج .. عباس ..

** منذ بضعة أيام – أثناء الحرب بين تركيا وبلغاريا – أرسل الخديو (عباس) يخـته الخصوصي (المحروسة) إلى (قولة) ، وأمر الربان أن يحضر معه كل من يسـتطيع إحضـاره مـن الهاربين بدون تفرقه في الجنسية أو الدين ، وأعدت سراي (رأس التـين) مأوى لهؤلاء الهاربين .. أنني هنا لا أريد أن أكتب عن الحب وإنما أكـتب عـن البغضاء ، عن الحرب .. عن التشريد .. عن الجوع .. كم سيكون عدد الهاربـين الـذين ستنقلهم (المحروسة) ؟ والآخرون المتخلفون في (قولة) ما هو حالهم ؟

عندما أهدت القيصرة " أويجينا " يخت المحروسة إلى إسماعيل باشا جد عباس حلمي – هكذا اعتقدت الأميرة / جويدان .. نظراً لتأثرها الشديد بقصة الحب التى كانت بين (إسماعيل) و (أوجيني) .. م.ع– لم تكن تفكر في أن هذا اليخت سينقل جماعة من الهاربين ، وأن أقدامهم الحافية ستدوس على فراشه الفاخر .. ولطالما أقلنا هذا اليخت في رحلات جميلة ..

أمـــس وصـــلت (المحروسة) .. هل كان ذلك أمس ؟ .. هل تستطيع العين أن ترى هذا البؤس الكبير في مثل هذا الوقت القصير ؟ . وقفنا على سلم (رأس التين) ننظـــر إلى البحر ، وقد نشرت صفحته تحت أشعة الشمس ، وظهرت في الأفق سفينة تجرى .. (المحروسة) .. وبالرغم من بعد المسافة فقد كانت أصوات الركاب تصل إلـــى إذانـــنا ، وكأنما كانت السفينة تحمل بكاء ودموع .. واقتربت السفينة ووضحت الأصـــوات .. وألـــف البؤس بين مئات الأنفس .. فأرسلت موجه مظلمة من صيحات الألـــم تشـــق طريقها بين أمواج البحر إلى قلوب من يواسيهم ، ويشفق عليهم فشعرت بانقباض في قلبي ،وكأنما كانت تسيل منه الدموع ، فمددت يدي لأمسك بيد (الخديو) .. قلت له : " هيا بنا نساعدهم " .. ولكني لم أجد (الخديو) إلى جانبي .. إذ كان قد ذهب .. وكنت في مكاني وحيدة وقد كان (الخديو) أكثر مرانا على البحر أحسن من أي قـــبطان .. وكـــم ســـن عاصفة أجتازها بيخته (المحروسة) .. وقد تولى القيادة بنفسه..

[عن كتاب : مذكرات الأميرة جويدان / مرجع سابق ص ٢٩ وما بعدها]..

**قام الخديو (عباس الثاني) بجولة واسعة النطاق في الوجه البحري – من ٢٨ إبـــريل حتـــى ٥ مايو سنة ١٩١٤ – يزور مديريات القليوبية والمنوفية والدقهلية والغـــربية والبحيـــرة .. وقد راحت المديريات تتنافس في إقامة الحفلات والزينات ..

وألهـب (الخديـو) المشاعر بأن راح يزور أعيان البلاد في دورهم وقراهم ، فكان الجمـيع يتسـابقون للحظوة لهذا الشرف الكبير ويبذلون كل مرتخص وغال لارضاء (الخديو) ..

وخلاصة القول أن هذه الجولة بدت كما لو كانت غزوة يعيد بها (الخديو) سـلطانه المفقود وظهر فيها (كتشنر) – عدوه اللدود – بمظهر المخذول .. امتلأت مصر بالأقاويل أن (كتشنر) آلي على نفسه أن لا يألوا جهدا في (لندن) في صيف هذا العام عن خلع (الخديو) ..

ونحن نعلم اليوم أن القدر كن يضحك من الرجلين معا ، فعندما غادرا (مصر) .. (الخديو) إلى (استنبول) و (كتشنر) إلى • لندن) .. كان ذلك أخر العهد بهما فلم يرجع إلى (مصر) لا هذا ولا ذاك .. وكما جرت العادة أصدر (الخديو) أمره فـي ٢٠ مايو وهو يبرح (مصر) إلى (استنبول) أن يكون (حسين رشدي باشا) قائمقامـا عنه في حكم (مصر) أثناء غيابه و ولا شك أنه لم يمر بخاطره ولو لحظه واحدة أن هذا القائمقام سيكون هو الذي يكرس خلعه ، ويقوم هو دون غيره على بناء النظام الجديد الذي سوف يوضع لمصر .. وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى (فـي ٢٨ يوليو ١٩١٤) كان (الخديو) لا يزال يعالج من جراحاته الخطيرة – من محاولة اغتياله في (استنبول) – ومع ذلك فقد فكر في العودة .. وأبرق إلى (حسين رشـدي باشا) يطلب منه عمل الترتيبات اللازمة لعودته .. وكم كانت مفاجأته وخيبة أمله معا عندما تلقى ما يفيد بأن (إنجلترا) ترى أن يؤجل هذه العودة ..

وبيـنما كان (الخديو) يعيش في حلمه الكبير بقرب عودته إلى مصر بعد طرد الإنجليز منها ، وكان الأتراك يعدون أنفسهم لدخول مصر و استعادة سلطانهم بها بعد طرد الإنجليز .. كان الإنجليز يضربون ضربتهم التي طال انتظارها ، فأعلنوا الحماية

علـــى (مصر) رسميا .. وخلعوا الخديو) وأقاموا البرنس (حسين كامل) سلطانا على مصر ..

....

....

وفي يوم (٥ يونيو ١٩١٦) غرقت المدمرة التي كانت تحمل (كتشز) الذي كـــان يقـــوم بمحاولـــة للاتصال بالروس .. وهكذا طويت صفحة الرجل الذي ارتبط تاريخـــه بمصر وظل حتى آخر لحظة يتلفت صوبها حتى قيل كما قدمنا أنه كان هو الذي أختار (مكماهون) ليمكن إزاحته في الوقت المناسب ..

[عن كتاب : موسوعة تاريخ مصر / أ. أحمد حسين .. الجزء الثالث ص ١٤١٩ وما بعدها] ..

وفاة عباس ..

أنـــتقل (عباس) من (الآستانة) إلى (لوزان - بسويسرا) .. وظل معتقداً بأنـــه حاكم (مصر) حتى أجبر على التنازل رسميا للملك (أحمد فؤاد) عام ١٩٣١ ... وظـــل مغتـــربا هـــناك .. حتى توفى عام ١٩٤٤ وتم نقل جثمانه بإحدى السفن المؤجرة ليدفن في مدافن العائلة العلوية في مصر ..

٣ خروج .. فاروق ..

** وأنتقل الملك (فاروق) - يوم الجمعة يوليو ١٩٥٢ - في سيارته ومعه الملكة (ناريمان) وولى العهد (أحمد فؤاد) وتولى بنفسه قيادة السيارة وتبعتها سيارة

أخـــرى فيها الأميرات بناته إلى (قصر رأس التين) ولم أعلم سببا لهذا الانتقال من (قصر المنتزه) الذي لم يره الملك بعد ذلك ..

وفـــي الســـاعة التاسعة من صباح السبت (٢٦ يوليو) قدم الرئاسة اللواء (محمد نجيب) لمقابلة على ماهر باشا وكان رفعته قد توجه إلى قصر(رأس التين) حـــيث طلبه (الملك) من (سان ستفانو) بعد أن أطلق جنود الحركة الرصاص على قصر (رأس التين) رداً على رصاص صدر من الحرس الملكي ظنا منه أن الجنود يهدفون الاستيلاء على اقصر ..

وبعـــد فترة حضر (على ماهر باشا) حيث قابله اللواء نجيب ، وقدم له إنذار الجيش للملك بالتنازل عن العرش قبل الساعة الثانية عشرة ظهراً ومغادرة البلاد قبل السادسة مساءً .

وغـــادر اللـــواء نجيب الرئاسة ، وقصد على ماهر باشا قصر (رأس التين) وقابل (الملك) وأبلغه الإنذار ونصحه بالقبول ..ووافق (الملك) دون أي مناقشة ..

وقـــد ســـأله علـــى ماهر باشا عن وسيلة السفر وهل يكون جوا أو بحراً فقال (الملـــك) انــــه يفضل السفر على الباخرة (المحروسة) على أن يحرسها الأسطول المصري حتى (إيطاليا) ، وأن تصحبه زوجته (ناريمان) وأبنهما الأمير أحمد فؤاد ، وبـــنات الملك من الملكة (فريدة) وأن يودع بصورة تليق بملك تنازل عن عرشه بإختـــيارة ، وتشترك الحكومة في وداعه ، ممثله في رئيسها والجيش ممثلا في اللواء محمد نجيب وأن يقابل السفير الأمريكي (جيفرسون كافري) قبل السفر ..

وأنكـــر أن اللـــواء نجيب وافق على جميع الطلبات ماعدا حراسة الأسطول المصري للباخـــرة المحروسة (الحرية فيما بعد) فقد رأى أن تكون حتى نهاية المياه الإقليمية المصرية وليس حتى (إيطاليا) – ورضخ (الملك)..

وأعــدت الباخـــرة (المحروسة) ونقلت أمتعة الملك إليها تمهيداً للرحيل حسب رغبة (الملك) ..

وقبيل الساعة السادسة غادر (فاروق) قصر رأس التين الى رصيف الميناء ، ولم يكن اللواء نجيب قد وصل ..

ومـــا إن غادر الملك القصر حتى أنزل العلم الملكي وطوى وسلمه قائد الحرس الملكي إلى على ماهر باشا ، الذي قدمه بدوره والدموع تنزل من عينيه إلى (الملك) الــذي قبل العلم .. وأستقل اللنش إلى (المحروسة) ..ز وأطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية لرحيله .. وأدى حرس الشرف التحية العسكرية ..

وكان الملك قد تحادث لدقائق مع على ماهر باشا . والسفير (جيفرسون كافري) سفير أمريكا ثم نظر إلى ساعته وقال : " يجب أن أذهب الآن فالساعة قاربت السادسة " ..

ثــم صافح مودعيه (على ماهر باشا) والسفير الأمريكي ، ومستشار السفارة ، وإســماعيل شــيرين ومحمد على رؤوف (زوج الأميرة فائزة أخت الملك) وبعض ضـــباط الحــرس وكان المودعون وخدم القصر يجهشون بالبكاء والدموع تنهار من مآقيهم ..

ووصل بعد ذلك إلى القصر اللواء محمد نجيب حيث كان قد أخره زحام المرور وهــتاف الجماهيــر وتحيتها له (ولم تكن قد علمت بعد بتنازل الملك) كما أن سائق السيارة الــ (جيب) ، توجه إلى ميناء خفر السواحل بد لا من الميناء الملكي بقصر (رأس التــين) الذي كان (فاروق) قد غادرة منذ خمس دقائق مرتدياً ملابس القائد الأعلــى للقــوات البحــرية و أســتقل اللــواء محمــد نجيب لنشاً عسكريا دار حول (المحروسة) دوره كاملة على الأسلوب المتبع في تقاليد القوات البحرية للتحية ، ثم

صـــعد إلى (المحروسة) ومعه القائمقام أحمد شوقي والبكباشي حسين الشافعي وقائد الجناح جمال سالم واليوزباشي إسماعيل فريد .. حيث التقى بالملك وبناته وأدى اللواء نجيب التحية العسكرية .. ورد فاروق ..ثم صافحه بيده ..

[عن كتاب : ذكرياتي في عهدين / أ.. صلاح الشاهد .. ص ٢٣١ وما بعدها] .

وفاة فاروق ..

عـــاش (فاروق) وعائلته في المنفى بإيطاليا .. إلى أن مات عام ١٩٦٥ .. وتـــم السماح لأسرته بنقل جثمانه الى مصر بالطائرة على أن يصل في ساعة متأخرة من الليل .. وتم دفنه إلي جوار أعمامه وأجداده بمدافن العائلة العلوية ..

ثانياً (الحرية) و أيامها ..

(المحروسة) التي عاشت في (الحرية)...

بعد أن عاد يخت (المحروسة) من رحلة إقصاء الملك (فاروق) إلى (إيطاليا) .. ثم تسمية (اليخت) بأسم (الحرية) تيمناً بنجاح ثورة (٢٣ يوليو ١٩٥٢) ..

** و حـين نلجـأ إلى المزيد من التفاصيل عن هذا اليخت، يتوقف بنا التاريخ عند سنة ١٨٦٥ عندما أتمت شركة (سامودا) الإنجليزية بلندن صناعتها تلبية لرغبة الخديو إسماعيل..

و كـان طولها حينئذ ٤١١ قدماً و عرضها ٤٣ قدماً.. أما حمولتها فكانت ٣٥٠٠ طن و سـرعتها ١٦ عقدة.. و كان بها ثمانية مدافع للتسليح.. وفي عام ١٨٧٢ عدلت في (لندن) بزيادة طولها ٤٠ قدما أخرى.. و في عام ١٨٩٤ تم تغيير خزانتها في ورشة (حسـبو) بالإسـكندرية.. و فـي عام ١٩٠٥ أدخل عليها تعديل آخر حيث تم تغيير الماكيـنات بالتورباين و أصبحت بمدخنة واحدة.. و لم تقف الإصلاحات التي أضيفت إلـى يخـت (المحروسـة) عـند هذا الحد .. بل زودت في عام ١٩١٢ بالتلغراف اللاسلكي.. و في عام ١٩١٩ زيد طولها ٢٧ قدماً أخرى .. ثم طليت باللون الأسود، و جـدد أثاثهـا . و فـي عام ١٩٢٥ أعيد دهانها باللون الأبيض، ثم زيدت حمولتها فأصبحت ٤ آلاف طن.. و صارت تستهلك ٣٥٠ طن مازوت بدلاً من ٧٠٠ طن فحم .. و في عام ١٩٥١ أجري عليها آخر الإصلاحات في (إيطاليا) ..

بخلاف ذلك تتكون (المحروسة) من ثلاثة أدوار:

الـــدور العلـــوي .. حجـــرتان للنوم صيفاً، أحدهما للملك و الآخر للملكة.. ثم مكتبان ملحقان بالحجرتين و صالون و قاعة شاي..

أما الدور الثاني.. ففيه الصالون الملكي الخصوصي و صالة الطعام، و صالة تدخين، ثم البهو الفرعوني، و غرف نوم الأميرات و الأمراء.. ثم قسم خصوصي للملك يشمل على غرفة نومه، و غرفة نوم الملكة، و مكتباً و حماماً لكل من الغرفتين..

أما الدور الأخير.. و هو الدرجة الأولى .. فتم إعداده للضيوف وبه عشر قمرات، و دورة مـــياه خاصـــة.. و في كل هذه الأدوار صنعت أرضية (اليخت) كله من خشب الورد..

[عن كتاب: ناهد و الملك فاروق / أ. حنفي المحلاوي] ..

** قـــام العقـــيد بحـــري/ ماجـــد الزرقانـــي .. (قائـــد اليخت الملكي الحرية [المحروسة سابقاً])..

– خلال الجولة التي نظمتها جريدة الأهرام و هيئة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة لقاعـــدة الإسكندرية البحرية للصحفيين العرب (في اليوبيل الفضي لحرب أكتوبر) – بشـــرح كامـــل للـــيخت بدأه بانبهار بحريات العالم لقدرة البحرية المصرية على هذه القطعة البحرية الغالية التي مازالت تبحر حتى الآن... و بدأ ببهو الاستقبال و هو يقع بالـــدور الخـــامس للمـــركب و يسع لأكثر من مائة شخص.. و قال أن المركب قطع نصف مليون ميل بحري (كيخت خاص) ... و لعب دوراً بارزاً في تاريخ مصر بدءاً مـــن ١٨٦٥ و شـــارك في الافتتاح الأول لقناة السويس عام ١٨٦٩ ... و ركب على ظهره العديد من الشخصيات العالمية.. كالأباطرة و الملوك و الأمراء و الرؤساء..

و شارك في العيد المائتين (منذ ٢٢ عاماً) للولايات المتحدة الأمريكية..

و المركب يبلغ نحو ١٤٥ متراً و عرضه ١٤ متراً و الغاطس الخاص به ٥,٢ متراً و هو مكون من ٥ طوابق.. تقع غرفة القيادة البحرية – النادرة في العالم – أعلاه..

و من أشهر المؤتمرات العالمية التي شارك فيها المركب في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. مؤتمرات .. بريوني .. الدار البيضاء.. باندونج.. اللاذقية..

كما شارك في عهد الرئيس الراحل أنور السادات في الافتتاح الثاني لقناة السويس عام ١٩٧٥ .. و في رحلة حيفا للسلام عام ١٩٧٩ .. و رفع العلم المصري على مدينة العريش عام ١٩٨٠ ... ثم قام (العقيد الزرقاني) بشرح للجماليات و الزخارف و التحف الفنية التي يتمتع بها المركب في الأدوار الخمسة له.. كان أولها قطعة السجادة (التبريزي) التي لا توجد منها إلا اثنتان فقط في العالم.. حتى أن (حفيدة نابليون) خلعت حذائها و جلست على كنبتها من شدة إعجابها بالسجادة.. و استعرض الصحفيون العرب الأجنحة الخاصة بالملك و الملكة و الأميرات و الوصيفات و الأجنحة الصيفية و الشتوية و غرفة الطعام التي تتميز بأنها قطعة واحدة و تسع ٣٠ مقعداً..

و شاهد الزوار الألبوم السحري للصور.. و أدوات التراب المنقوش عليها اسم المحروسة و العائلة المالكة.. و البهو الفرعوني و البهو الإسلامي و البهو الروماني حيث صمم خبراء الفن في العالم آنذاك جميع أشكال و رموز الحضارات الإسلامية و الفرعونية و الغربية..

(عن مقالة : الصحفيون العرب على ظهر الحرية / أ. عادل الدندراوي)..

جريدة الأهرام ١٩٩٨/١٠/٩

** كنا في (بريوني)..

و كان محدداً لرجوعنا يوم ١٤ يوليو ١٩٥٨، و هو اليوم الذي أطاح فيه الجيش بــالحكم الملكــي في العراق.. و قد وصلت أخبار الانقلاب الدموي عندما كنا نتناول الغــداء علـــى الباخــرة الحرية (المحروسة سابقاً) .. و كان الرئيس قد أقامه تكريماً للرئيس اليوغسلافي (جوزيب بروز تيتو) و السيدة قرينته..

و قــد رجــا الـــرئيس تيتو – بحرارة – الرئيس المصري البقاء في (بريوني) حتى تتكشــف أبعاد الموقف الملتهب في الشرق الأوسط، أثر أحداث العراق و نزول جنود الأسطول الأمريكي في لبنان و احتلال القوات البريطانية لجزء من الأردن..

و دام اجــتماع الرئيسين أكثر من ساعتين في صالون الباخرة، و كان الرئيس (تيتو) يحذر الرئيس المصري من السفر بسبب أخبار قد وصلته عن طريق المخابرات اليوغسلافية بأن مؤامرة تدبرها بعض الدول لضرب الباخرة التي تقل (عبد الناصر) و إغراقها و من عليها، و كان في لهجة الرئيس اليوغسلافي الخوف و التحذير.. و لكن الرئيس المصري لم يعبأ بالمخاطر و صمم على مغادرة (يوغسلافيا) و طمأن الرئيس اليوغســلافي أن الباخرة تحرسها طرادتان هما : الناصر و القاهر لرد أي اعتداء و أمر الرئيس اليوغسلافي بإعداد بارجتين يوغوسلافيتين لحراسة الباخرة المصرية..

و أبحرنا في رعاية الله..

و مضت الباخرة (الحرية) في طريقها إلى الإسكندرية بعد أن صدرت الأوامر بإطفاء الأنوار و إعلان حالة الطوارئ فيها..

و كانت الباخرة تضم أفراد عسكريين ماعدا ثلاثة مدنيين هم : الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية و الأستاذ هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام و أنا، و أطلقت صفارة الإنـــذار على سبيل التجربة لكي يأخذ كل منا مكانه في قارب الإنذار بما فيهم الرئيس و أسرته عند وقوع أي غارة على الباخرة . و كان قاربي يحمل الرقم (٤).

و على مسمع من الرئيس عبد الناصر قلت لقائد السفينة:

– هل هذا معقول . إنه عندما تغرق الباخرة ، أبحث عن قاربي رقم (٤) ؟ بل أنني سأركب أول قارب على اليمين..

فقال : هذا القارب للرئيس و أسرته..

فقلت : و أنا من أسرته..

فضحك عبد الناصر .. و انتهت التجربة و عدنا كلنا إلى أمكنتنا و الأنوار مطفأة..

و حاولت أن أستفسر من بعض الضباط عن كيفية ضرب البواخر في عرض البحار

فقال : في منتصف الباخرة و على سطح المياه..

و قمت بمعاينة رسم الباخرة ... و هالني أن حجرتي في منتصف الباخرة تماماً و أنها – أيضـــاً – علـــى سطح الماء... و أيقنت أنني سوف أكون الضحية الأولى أو شهيد (الحرية) في حالة الاعتداء على الباخرة..

(عن كتاب : ذكرياتي في عهدين / أ. صلاح الشاهد.. صـــ٣٢٢-٣٢٣)

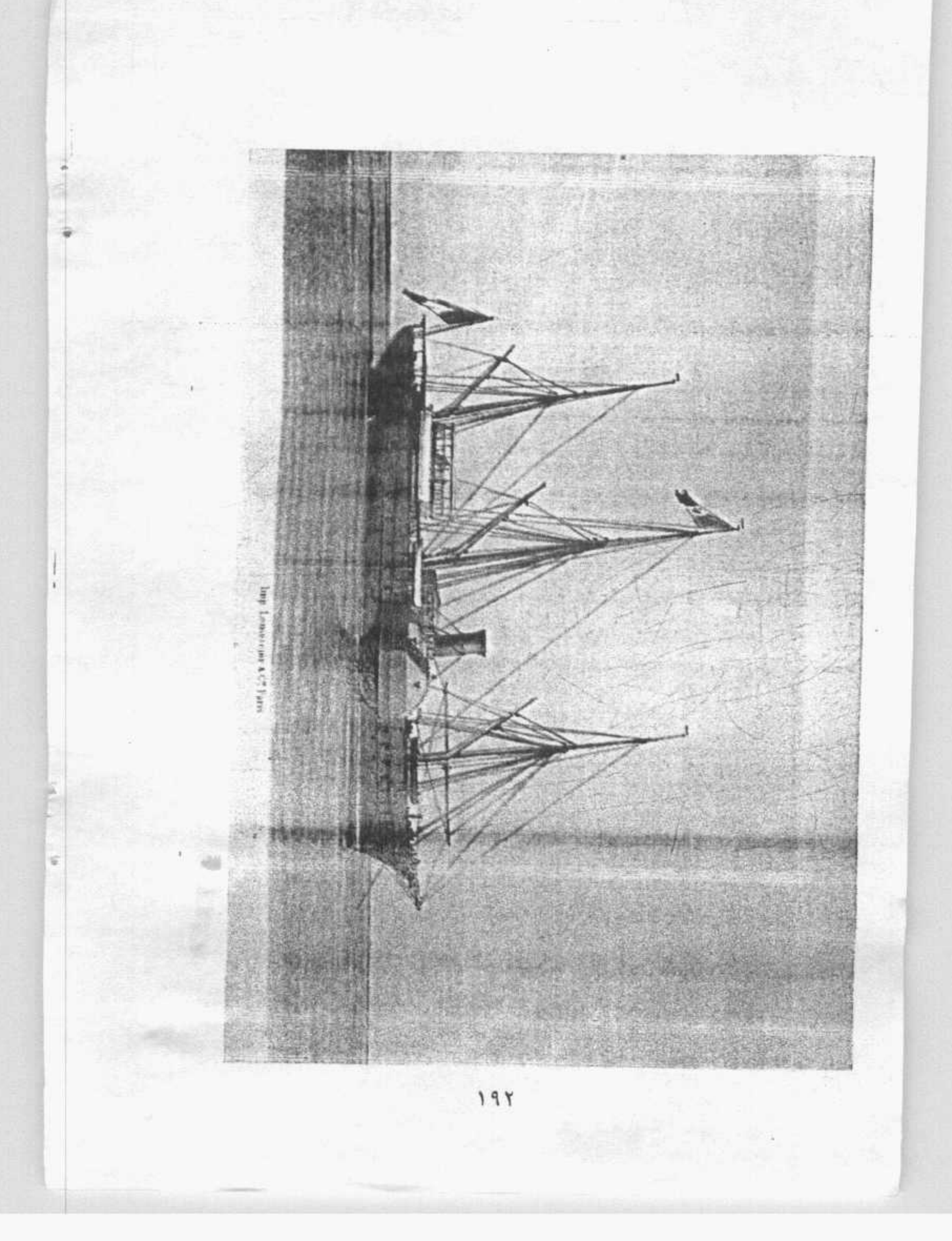
(الحرية) .. و السادات..

** كـــان اختـــيار السادات للمحروسة – اليخت الشهير للخديو إسماعيل – لكي يدخل به (قناة السويس) بعد إعادة فتحها سنة ١٩٧٥ .. و قد ناقشته في ذلك طويلاً، و اقتـــرحت علـــيه أن يدخل قناة السويس بإحدى قطع الأسطول البحرية، و لا بأس من تغييـــر اســـمها إلى اسم جديد له معنى كالعاشر من رمضان – مثلاً – و هو مرادف لتاريخ ٦ أكتوبر الشهير..

و كـــان من بين الحجج التي سقتها للرئيس السادات لتعزيز اقتراحي ، إن دخوله قناة السويس على (المحروسة) سوف يعيد للأذهان ذكرى الخديو (إسماعيل)..

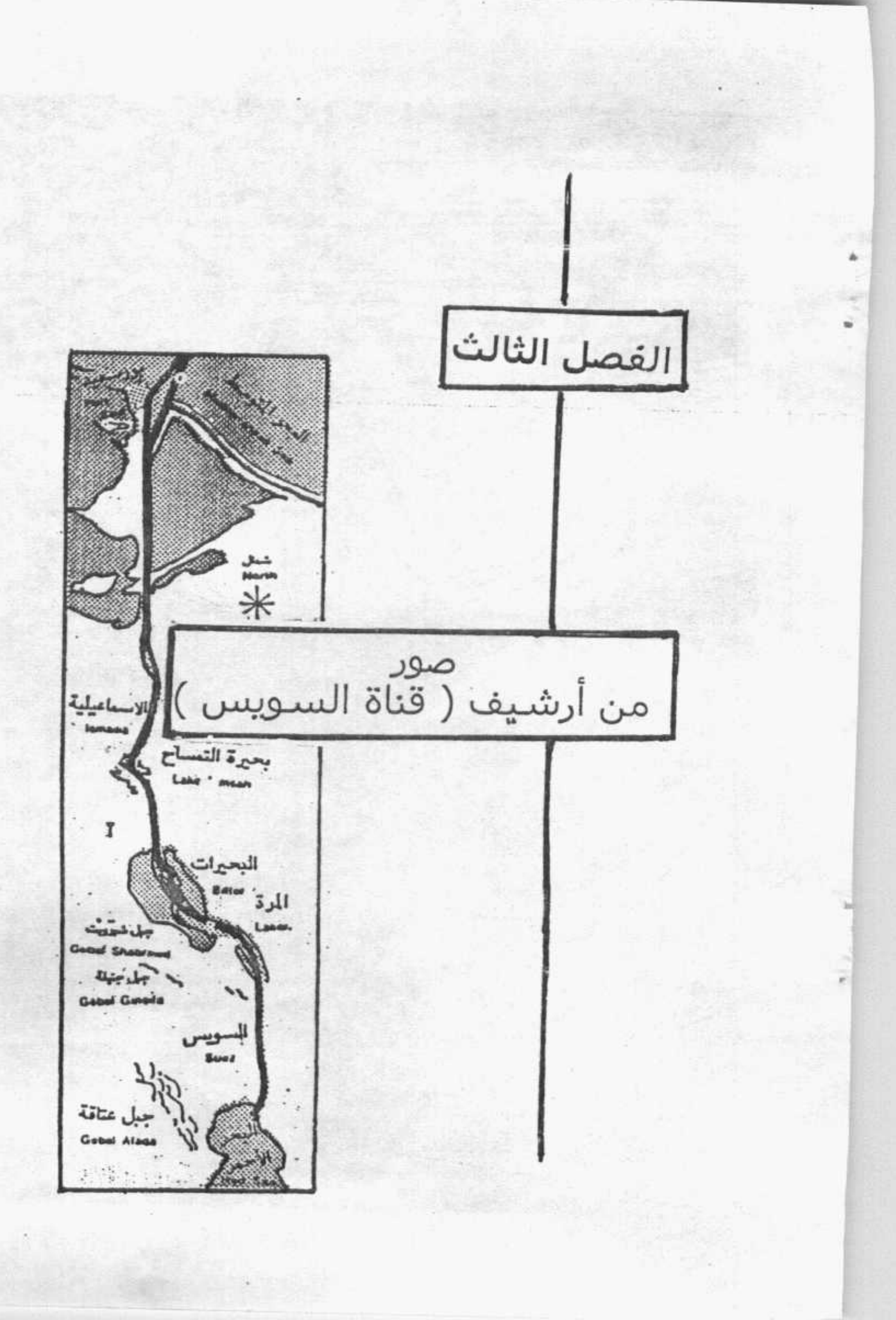
و راقت للرئيس (السادات) فكرة دخول (قناة السويس) على ظهر مدمرة حربية، لكنه لـــم يستطع أن يتخلى عن أبهة (المحروسة).. فأمر أن تتبع مدمرته عبر قناة السويس من الشمال إلى الجنوب ..

(عن كتاب : خريف الغضب / أ. محمد حسنين هيكل.. صـــ١٩٦)..



الفصل الثالث

صور
من أرشيف (قناة السويس)





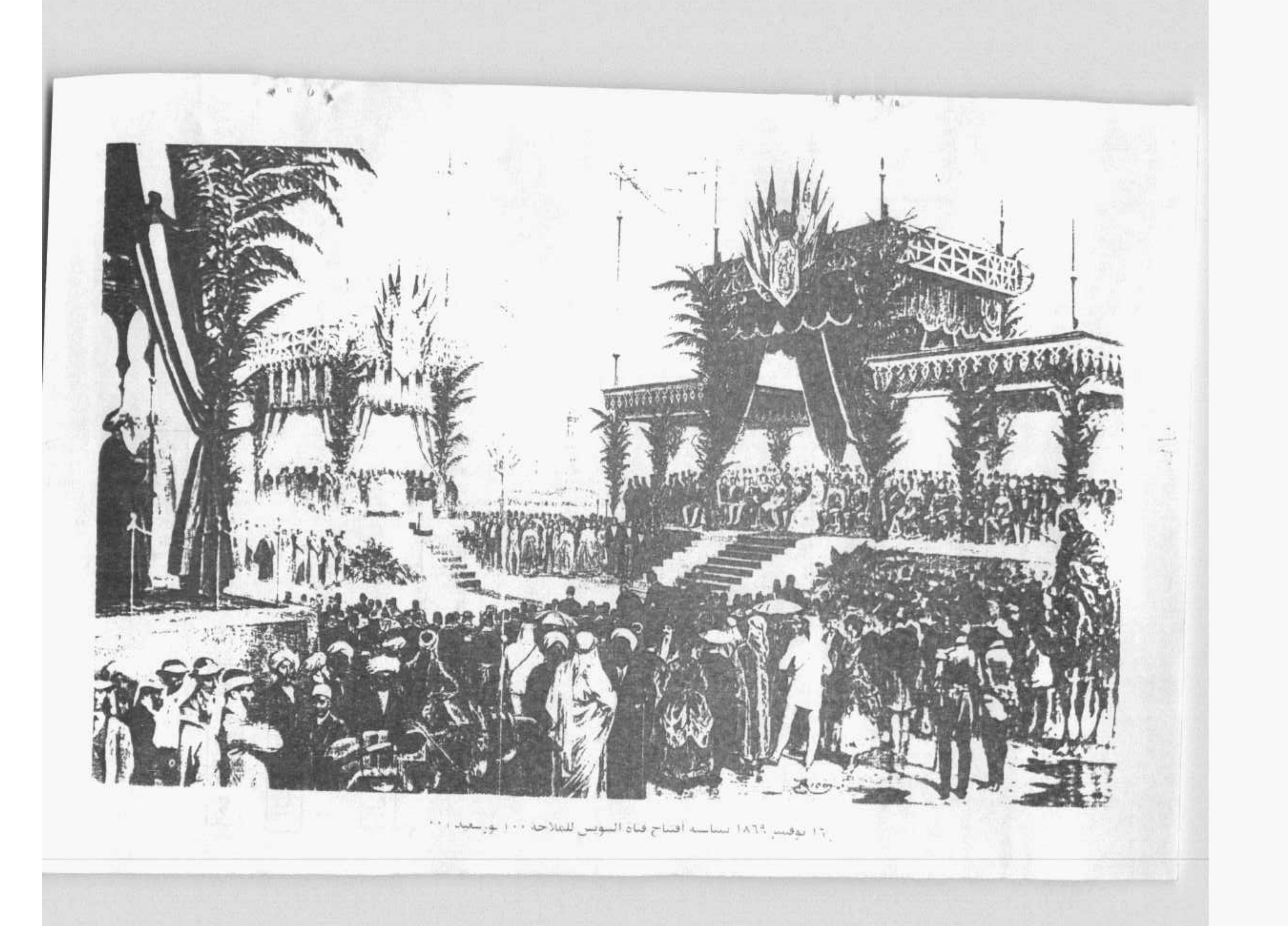
ـ الرئيس جمال عبدالناصر ٠٠ و٠٠ وتأميم قناة السويس (٢٦ يوليو ١٩٥٦) ٠٠



- الرئيس جمال عبدالناصر .. و .. مجلس ادارة هيئة قناة السويس..



- الرئيس السادات وأفتتاح قناة السويس للملاحة فى (٥ يونيه ١٩٧٥) ..



١٦ نوفمبر ١٨٦٩ بمناسبة افتتاح قناة السويس للملاحة ١٠٠ بورسعيد ١٠٠

الفهرست

الباب الثالث

الباب الرابع

صدر للمؤلف

١	الطاحونة	مجموعة ١٩٨٢	ثقافة الإسماعيلية
٢	الخروج	رواية ٨٢/١٩٨٦	المؤلف
٣	القبو	رواية ١٩٨٦	أشراقات أدبية
٤	العطارين	رواية ١٩٩٠	المؤلف
٥	حدث في يوم الزينة	مجموعة ١٩٩٢	المؤلف
٦	من أروقة الغابة	مجموعة ١٩٩٣	أصوات أدبية
٧	عباس السابع	رواية ١٩٩٤	المؤلف
٨	حلم امرأة...........	مجموعة ٢٠٠٠	المؤلف
٩	المسائل	مجموعة ٢٠٠١	أشراقات جديدة
١٠	بانوراما الكلب	قراءة ٢٠٠٣	المؤلف
١١	أجنده الحركة الروائية ..	قراءة ٢٠٠٤	المؤلف

تحت الطبع

١	و الأشياء أيضا تفعل ذلك..	مجموعة ..
٢	الكارنتينة................	رواية ..

عنوان المؤلف

هيئة قناة السويس – مبنى الإرشاد – الإسماعيلية

رقم الإيداع الكتب
١٧٥٧٦ / ٢٠٠٤